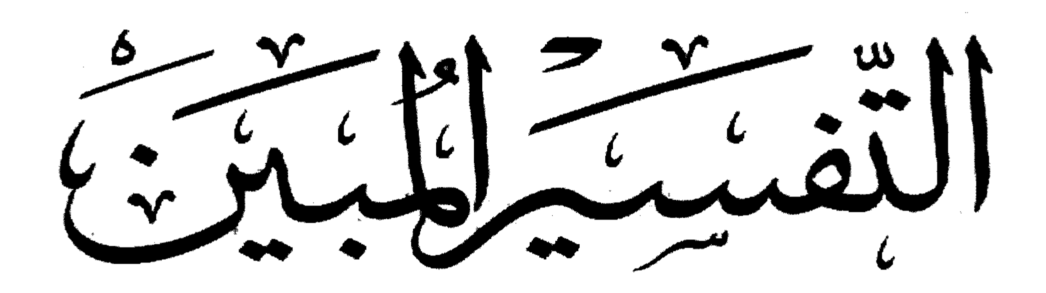


التفسير المبين

ألّفه وكتبه:

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الثالث

ح مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن
التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ
٦مج
ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٨-٣-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)
١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٢٩/٣٦١٤

رقم الايداع : ١٤٢٩/٣٦١٤
ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٨-٣-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المائدة

مدنية وآياتها مائة وعشرون آية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾.

بيان الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ هذا أمر من الله للمؤمنين أن يوفوا بعقودهم وهي على نوعين: الأول: ما عقده الله عليهم من التكاليف، وهي عبادته وحده وتحليل ما أحله وتحريم ما حرمه في كتابه وما جاء به رسوله محمد ﷺ. النوع الثاني عقود بين العباد فيما يتعلق بأمور دنياهم، كالمبايعات والأمانات ونحوها. فالوفاء بالعقود في هذين النوعين مما أمر الله به، وإن كان المراد في هذه الآية هي عقود الله؛ لأن الأمر انصب على حل بهيمة الأنعام.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ المراد بها الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يدخل في الحل المبين في السنة، وهذا نفي لما كان للعرب في الجاهلية من أعراف فاسدة في الأنعام كالوصيلة والسائبة والبحيرة. ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ والمراد به ما سيأتي في الآية بعدها من الميتة

والدم وما ورد في السنة من تحريم كل ذي ناب من السباع. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: أن كل ما كان صيداً فهو حلال لكم في الحل دون الحرم؛ لأن صيده محرم في الإحرام والإحلال. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: أنه جل ذكره حكم بهذا فلا معقب لحكمه.

أحكام ومسائل الآية:

الوفاء بالعقود واجب وجوب عين على من دخل فيها، فهو في العبادات واجب على كل مكلف من ذكر وأنثى، وهو في المعاملات واجب على كل طرف فيها. والعقد يكون بالقول والفعل فإذا قال المرء قولاً يقصد منه الإقرار بعقد أو عهد لزمه عقده، وقد يسمى هذا نذراً، فمن نذر - مثلاً - أن يتصدق بصدقة إذا رزق بولد لزمه هذا النذر.

والعقود يجب أن تكون متفقة مع كتاب الله ومع سنة رسوله محمد ﷺ، والأصل في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (**ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ؟ من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله ليس له وإن كان مائة شرط**)[1]. ومن الأحكام في الآية:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله، برقم (٢٧٣٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص٤١٦ .

تحريم الصيد في الحرم في الإحرام والإحلال وما لم يكن صيداً فهو حلال في الحل والحرم. ومن الأحكام في الآية: تحريم القتال في الأشهر الحرم، ولكن هذا نسخ بقول الله تعالى ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(١). ومن الأحكام: حل أكل بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم. ومنها: تحريم صيد البر بعد الإحرام وإباحة صيده بعد التحلل منه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

بيان الآية:

﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تحلوا حرمات الله وهي جميع ما أمركم به ونهاكم عنه قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(٢). ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ والمراد به جميع

---

(١) سورة التوبة من الآية ٥، وينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٤ ص٦١، وتفسير الضحاك ج١ ص٣١٥ .

(٢) سورة الحج الآية ٣٢ .

الأشهر الحرم وهي أربعة: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. والمراد ما كان يفعله أهل الجاهلية من النسيء في الديون. ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ الهدي كل ما يتقرب به إلى الله، كالهدي في الحج، أو الأضحية، أو العقيقة. القلائد: جمع قلادة وهي ما يوضع في عنق الهدي ليُعلَم أنه هدي. ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ قيل: إنها نزلت في شريح بن ضبيعة البكري الملقب بالحُطَم، أخذه جنود رسول الله ﷺ وهو آت للعمرة. وقيل: إنه سبق أن أتى رسول الله ﷺ في المدينة وترك خيله خارجها فقال: إلام يا محمد تدعو الناس؟ فقال: (**إلى شهادة ألا إلَه إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**) فقال: حسن، إلا أن لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم. وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه: (**يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان**) ثم خرج من عنده فقال: (**لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر**)، فمر بمال المسلمين فساقه معه فلما خرج رسول الله ﷺ لقضاء العمرة التي أحصر عنها، سمع تلبية حجاج اليمامة فقال: (**هذا الحطم وأصحابه فتوجهوا في طلبه**) فنزلت الآية، والمراد أي لا تحلوا ما أُشْعِر لله وإن كانوا مشركين[1]. وقيل: إنها نزلت عام الفتح ورسول الله ﷺ بمكة حين جاء أناس من المشركين يحجون ويعتمرون فقال المسلمون:

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٣٣، والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص٤٥٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٤ ص٥٩، ومعالم التنزيل للبغوي ص٣٥٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص٣٥١ .

يا رسول الله إنما هؤلاء مشركون فلن نتركهم إلا أن نغير عليهم. فنزل قول الله تعالى ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾[١]. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ قد يكون المراد من الفضل طلب الأجر من مجيئهم إلى البيت الحرام، وقد يكون القصد التجارة. ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ أي: يبتغون رضا ربهم بسبب حجهم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ المراد أنكم إذا فرغتم من الإحرام وتحللتم منه، فقد جاز لكم ما حرم عليكم من الصيد.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ المراد ألا يحملنكم بغض الذين صدوكم عن المسجد الحرام (أي يوم الحديبية) أن تعتدوا وتتخلوا عن العدل الذي أمركم الله به. وفي هذا روي أنه لما صُدَّ رسول الله ﷺ وأصحابه عن الوصول إلى بيت الله عام الحديبية صعب ذلك على الصحابة فلما مر بهم بعض من المشركين قاصدين الحرم قالوا لم لا نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم من قبل فأنزل الله هذه الآية[٢].

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ فيه: أمر من الله لعباده المؤمنين أن يكون تعاونهم على البر، والمحبة، وفعل الخيرات، وترك المنكرات. ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وهذا نهي لهم عن التعاون على الباطل والمحرمات أو الاعتداء على غيرهم بالظلم ونحوه. وشاهده: قول

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٤ ص٥٩، والدر المنثور ج٢ ص٤٥١، وزاد المسير ص٣٥٢.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٣٤، والدر المنثور ج٢ ص٤٥٠ .

رسول الله ﷺ (**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**)(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيه وعيد لمن أحلّ شعائر الله وتعاون على الإثم والعدوان.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب احترام شعائر الدين كلها وهذا يقتضي أداء الواجب وترك المحرم، كما قال عز وجل ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٢). ومن أحكام الآية: تحريم قتال المشركين في الأشهر الحرم كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾(٣). ومنها: نسخ هدي المشركين، وما يقلدون به هديهم فلا يسمح لهم، ولا لهديهم بدخول البيت الحرام وإن كانوا متقلدين بلحاء شجر الحرم كما كانوا يفعلون. ومن الأحكام: أن بغض الإنسان لعدوه لا يبيح له الاعتداء عليه بغير حق؛ لأن الإسلام دين أمن وسلام. وقد حرم الله الاعتداء في آيات كثيرة من كتابه المبين منها: قوله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم (١٠١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٤٩ .

(٢) سورة الحج من الآية ٣٢ .

(٣) سورة التوبة من الآية ٥ .

عز ذكره ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[١]. وقال جل ثناؤه ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]. ومن الأحكام: وجوب التعاون بين الأمة على البر والتقوى، وهذا يشمل إقامة شرع الله، وتحريم التعاون على الإثم والعدوان، وهذا يشمل كل ما يؤثر على الدين.

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾

بيان الآية:

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ أي: كل ما مات من الإبل أو البقر أو الغنم وكل ما أبيح أكله دون تذكية شرعية. ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي: كل ما خرج من هذه الحيوانات قبل ذبحها أو بعده من الدم المسفوح. ﴿وَلَحۡمُ

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠.

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٢٩.

﴿ٱلۡخِنزِيرِ﴾ وهو الحيوان المعروف بقذارته. ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: كل حيوان أو طير ذكر عليه عند ذبحه اسم غير اسم الله سواء كان ذلك لنبي، أم رسول، أم ولي، أم شيخ، أم صنم، أم أي اسم آخر. ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ أي: البهيمة أو الطير الذي يموت خنقاً كما هو الحال في البلاد التي تستعمل الخنق أو الصعق في الذبح. ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ وهي البهيمة التي تقذف بحجر أو عصا أو نحو ذلك حتى تموت. ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ أي: البهيمة التي تسقط من علو المكان إلى أسفله فتموت. ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المراد بها البهيمة التي تُنطح أو تتصارع مع بهيمة أخرى فتموت قبل تذكيتها. ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: كل ما افترسه ذو ناب من الحيوان كالنمر، أو الذئب، أو الأسد.

قوله ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ استثناء من الحكم، فكل ما تمت تذكيته من هذه البهائم التي تعرضت للخنق وغيره تعد حلالاً إذا كانت روحها لم تمت. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ هذه النصب كانت حجارة حول الكعبة، وكان العرب في الجاهلية يذبحون عندها، ويضعون اللحم عليها تبركا بها، فحرم الله هذا الفعل. ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾ وهي القداح، فقد كان العرب في جاهليتهم إذا أراد أحدهم السفر للتجارة، أو الغزو، أو أي أمر من أمور الدنيا ضرب بالقداح المكتوب على بعضها: (أمرني ربي)، وعلى بعضها الآخر: (نهاني ربي)، وبعضها: مجرد من

الكتابة، فإن ظهر له الأمر عزم على فعله، وإن ظهر له النهي توقف. وإن خرج المجرد من الكتابة أعاد الضرب مرة أخرى فسمي هذا استقساماً؛ لأنهم كانوا يستقسمون به ما يريدون من أمور الدنيا. ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي: إن هذه المحرمات التي ذكرت يعد ارتكابها خروجاً عن الطاعة وتعدٍّ على ما حرمه الله.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ إخبار من الله للمؤمنين أن الكافرين يئسوا من رجوع المؤمنين عن دينهم الإسلام فقد دخل المسلمون مكة وهزموا الوثنية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وأنزل الله على عباده قوله العزيز ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]، فلم يبق للكافرين في ذلك اليوم (يوم فتح مكة) أو ما سيأتي بعده من الأيام إلا التسليم، إما بالدخول في دين الله ليكونوا بذلك من المسلمين، أو ليلقوا جزاءهم الذي وعدهم الله به. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ أي: يا أيها المسلمون لا تخشوا الكافرين فإن النصر من عندي، فأنا القادر على نصركم وعزتكم إذا حافظتم على دينكم.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذه من نعم الله العظيمة على هذه الأمة فقد كمل لها دينها الذي ارتضاه الله لها، وجعلها به أمة

---

(١) سورة الصف الآية ٨ .

وسطاً بين الأمم وخيرها، وجعل رسولها خاتم النبيين وشفيع الناس يوم القيامة عند رب العالمين؛ ذلك أن رسول الله ﷺ لما كان في المدينة توالت عليه أحكام الله من بيان الحلال وبيان الحرام، فلما حج رسول الله عليه الصلاة والسلام حجة الوداع نزلت عليه هذه الآية في عرفات سنة عشر وهو واقف عصر يوم الجمعة على ناقته البيضاء في صعيد عرفات، فكانت هذه آخر آية - كما قيل - ولم ينزل بعدها حكم. وقد روى البخاري في صحيحه: أن اليهود قالت لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر: إني أعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة[1]. ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ أي: بفتح مكة ودخولها كما قال عزوجل. ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[2] فأصبحت مكة آمنة وأنتم فيها آمنون وتطهرت من الأوثان وأصبحت منارة للمسلمين، فهذا من تمام نعمة الله، وقد يراد بإتمام النعمة أنه ليس هناك من نعمة عليكم أتم من نعمة الإسلام. ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي: هذا هو الدين الذي رضيته لكم بمعنى اخترته لكم أنه لا دين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ برقم (٤٦٠٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١١٩، وينظر في أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٣٤ .

(٢) سورة الفتح من الآية ٢٧ .

أعظم من هذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ لما بيَّن الله ما حرم على عباده من أكل الميتة ومافي حكمها من بهيمة الأنعام يسَّر عليهم رحمة بهم فأباح لهم الأكل منها عندما يكونون في حال الاضطرار، كحال المجاعة مما يكون فيه خطر على أنفسهم. وشاهده من السنة: ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي واقد الليثي أنهم قالوا: يا رسول الله إنا بأرض تصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا بها الميتة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (**إذا لم تصطبحوا ولم تغتبقوا ولم تحتفوا بقلاً فشأنكم بها**)[1]. أما الأصل العام في الرخصة: فهو قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: (**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته**)[2].﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ أي: غير مائل له كقوله:﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾.﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: يغفر لعباده ويرحمهم لتناولهم المحرمات بسبب اضطرارهم.

أحكام ومسائل الآية:

تحريم أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب، فهذه عشر محرمات حرم الله على عباده الأكل منها،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٥ ص٢١٨، والدارمي في كتاب الأضاحي، باب في أكل الميتة للمضطر، برقم (١٩٩٦)، سنن الدارمي ج٢ ص١٢٠ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٢ ص١٠٨، وابن خزيمة برقم (٩٥٠)، ج٢ ص٧٣ .

ويستثنى منها: الأكل عند الضرورة في حال المجاعة. ومن الأحكام: تحريم الاستقسام بالأزلام، وهذا التحريم يشمل كل أنواع الشعوذة والطلاسم كقراءة الكف، وقراءة مافي الإناء، وأنواع الكهانة ونحو ذلك. ومن الأحكام في الآية: تحريم الذبح عند القبور للأولياء، والمشايخ، والصالحين، أو النذر عندها، أو نحو ذلك فهذا كله من الشرك الأكبر الذي حرمه الله ووعد بعدم المغفرة منه. ومن هذه الأحكام أن الله أكمل لهذه الأمة دينها وأتم عليها به نعمته وأمرها أن تخشاه وتخافه وحده ولا تخشى أو تخاف أحداً غيره.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾.

بيان الآية:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ قيل: إنها نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير قالا: يا رسول الله: إنا نصيد بالكلاب والبزاة وإن الكلاب تأخذ البقر والحمر والظباء فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا ؟ فنزلت هذه الآية[(١)]. ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ﴾ أي: أحل

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٣٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص٣٥٨، والدر المنثور ج٢ ص٤٥٩ .

لكم مالم يحرمه الله أو كل ما ليس خبيثاً في ذاته. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ أي: يحل لكم صيد ما علمتموه من الجوارح وهي الكواسب من سباع البهائم كالكلب والنمر، أو الكواسب من الطير كالصقر والعقاب والبازي. ﴿مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ المراد به الجوارح المعلَّمة، أي: التي علمها صاحبها وأدّبها وروَّضها وعلّمها كيف تعمل. ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: تعلمونهنّ العلم الذي علمكم الله إياه بما تعرفونه بعقولكم حتى تكون هذه الجوارح تأتمر بما أمرت به، وتنتهي عما تنهى عنه. ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ المراد أنه متى ما كان الجارح قد تعلم وأمسك على صاحبه وكان قد ذكر اسم الله عليه عند إرساله حل الصيد الذي اصطاده. وفي هذا روى عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، إني أرسل الكلاب المعلَّمة وأذكر اسم الله فقال: (**إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك**) قلت: وإن قتلن؟ قال: (**وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره**) قلت: فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب؟ فقال: (**إذا رميت بالمعراض فخرق فكله وإن أصابه بعرض، فإنه وقيذ فلا تأكله**)[1]. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: في جميع ما أمرتم به من أكل الطيبات وتحريم ما حرم عليكم. ﴿إِنَّ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة، برقم (١٩٢٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٣٠٧ .

﴿ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: يجازي على الامتثال لأحكامه بالحسنى وعلى السيئات بالوعيد.

أحكام ومسائل الآية:

جواز سؤال من لا يعلم لمن يعلم بل يجب عليه هذا السؤال إذا كان مناطه أمور الدين التي خفيت عليه كما قال عز وجل ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١). ومن الأحكام: إباحة الصيد إذا كان الذي جرحه معلَّماً وذكر المرسِل اسم الله عند إرساله وهذا يقتضي إباحة الصيد الذي صيد بسلاح حاد وذكر اسم الله عند إطلاقه.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ بعد أن بيَّن الله جل ذكره ما حرم من الخبائث كالميتة، والدم، بيَّن أنه أحل لعباده الطيبات وهي

---

(١) سورة النحل من الآية ٤٣ .

كل ما أباحه لهم وأباح لهم أكله. ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ قيل: إن المراد ذبائحهم وقيل: هو كل أطعمتهم فإذا كان المراد هو كل أطعمتهم فلا يدخل فيها ما ورد نص بتحريمه كلحم الخنزير، والخمر ونحو ذلك مما هو محرم على هذه الأمة. ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي: وطعام المسلمين حل لأهل الكتاب فلا منافاة. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: أحل لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: أنه أحل لكم المحصنات من نساء اليهود والنصارى، وقد تزوج بعض الصحابة من نساء أهل الكتاب، كحذيفة بن اليمان أخذاً بدلالة هذه الآية. ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: كما أحل لكم نكاح هذه المحصنات فقد وجب عليكم منحهن مهورهن. ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي: أن الشرط الأول في نكاح المحصنات يقابله شرط بالنسبة للأزواج وهو أن يكونوا عفيفين. ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي: غير زناة. ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ أي: صديقات أو عشيقات. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: أن من ينكر شرائع الإسلام، فيرتكب ما حرمه الله عليه، ويجتنب ما أحله. ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ أي: خسر كل ما عمله من عمل صالح. ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: أنه خسر أعماله السابقة فلم يكن له من عمله إلا الخسران.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير حلّ ذبائح أهل الكتاب إذا كانت مذكاة، ولا يلزم السؤال عما إذا كانوا قد سموا عليها أم لا؛ أما إذا كانت قد ماتت عن طريق الخنق أو الصعق فتعد ميتة حكمها حكم الميتة. ومن الأحكام في الآية: حلّ نكاح المحصنات من نساء أهل الكتاب مع شرط الإحصان للأزواج وعدم اتخاذهم صديقات أو أن يكونوا زناة؛ لأن الزاني يختص بالزانية.

قلت: ويحرم ما شاع في هذا الزمان من زواج المتعة، وزواج الصداقة، والصحبة، والزواج المؤقت بمرحلة معينة كزواج السفر، وزواج الراحة، وكل زواج يراد منه مجرد الاستمتاع؛ ذلك أن الله عظّم أمر الزواج؛ لكونه أساس الأسرة التي هي أساس الأمة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾.

بيان الآية:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في هذه الآية الأمر للمؤمنين بأنهم إذا قاموا إلى الصلاة وجب عليهم الوضوء إذا كانوا محدثين فإن كانوا غير محدثين لم يلزمهم ذلك. وقد روى بريدة عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر: يا رسول الله إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله قال: (**إني عمداً فعلته يا عمر**)[1]. وتجب النية عند الوضوء دون ذكرها باللسان، والأصل في ذلك قول رسول الله ﷺ: (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**)[2]. كما تجب التسمية لقول رسول الله ﷺ: (**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**)[3]. ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ حد الوجه: ما بين منابت شعر الرأس إلى آخر اللحيين والذقن من الطول، ومن الأذن إلى الأذن من العرض، ويجب تخليل اللحية حتى يبلغ التخليل الجلد.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ أي: غسل اليدين مع المرفقين، بحيث

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٥ ص٣٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم (١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١٥.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء برقم (١٠١)، سنن أبي داود ج١ ص٥١، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في التسمية عند الوضوء، برقم (٢٥)، سنن الترمذي ج١ ص٣٧، وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب ما جاء في التسمية، برقم (٣٩٧)، سنن ابن ماجة ج١ ص١٣٩، والدارمي برقم (٦٩١)، سنن الدارمي ج١ ص١٨٧، وأحمد في المسند ج٢ ص٤١٨.

يقوم المتوضئ بغسل عضده مع ذراعيه؛ لقول رسول الله ﷺ: (**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**)[١]. ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ ومعناه: أن يمسح المتوضئ رأسه بيديه، فيقبل بهما ويدبر بادئاً بمقدمة رأسه، ثم الذهاب بهما إلى قفاه ثم يردهما حتى يرجع إلى المكان الذي بدأ منه. ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ القراءة بنصب ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ والمراد غسلهما مع الكعبين، وهذا هو الأصل؛ لأن حكمهما معطوف على قوله ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ ومن قال بقراءتها بالكسر (وأرجلِكم) قال بمسحهما؛ لأن الحكم معطوف على ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ﴾ والأصل في وجوب غسل الرجلين ما ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث منها: قوله عليه الصلاة والسلام: (**أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار**)[٢]. ومنها: ما رواه عمر بن الخطاب أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره رسول الله ﷺ وقال: (**ارجع فأحسن وضوءك**)[٣]. وما رواه عبدالله بن عمرو قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفر فأدركنا وقد أرهقتنا صلاة العصر

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، برقم (٢٥٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص١١٩٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، برقم (١٦٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٣٢١ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة، برقم (٢٤٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص١١٧٧ .

ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: (**أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار**)[١].

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي: إذا جامعتم نساءكم أو احتلمتم وجب عليكم الغسل وهو قوله ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ سبق الحديث عن هذا في سورة النساء، والمراد هنا إباحة التيمم عند فقد الماء لمن ذكرهم الله، وهم: المريض، والمسافر، ومن جاء من الغائط، ومن لامس النساء؛ ذلك أن المريض غالباً ما يكون في حالة عجز لا يقدر على مباشرة الماء، أو لكون الماء يسبب له ضرراً لوجود جروح فيه. والسفر حالة استثنائية قد لا يتيسر فيها الماء للمسافر. والغائط: كل ما خرج من السبيلين من عذرة وغيرها. وملامسة النساء والمراد بها الجماع، فهذه كلها موجبات للتيمم عند فقد الماء ويكون ذلك بالتراب الطاهر الذي عبر الله عنه بالصعيد الطيب. ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ وفي هذا بيان لصفة التيمم وهي أن يضرب بكفيه على الأرض فيمسح بهما وجهه وكفيه في ظاهرهما وباطنهما مرة واحدة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص٢١١، بدون ذكر «أسبغوا الوضوء»، والبخاري عن أبي هريرة في كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، برقم (١٦٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٣٢١.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: أن الله لا يريد أن يجعل عليكم حرجاً في دينكم بل يريد بكم اليسر. ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: ينقيكم من الذنوب. ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أن ما يسره الله لكم من التيمم بالتراب من تمام نعمته عليكم، فلم يكلفكم ما لا تطيقون. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: يريد منكم أن تشكروه على هذه النعمة.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب النية في الوضوء وفي الطهارة عموماً؛ لأن من شروط العبادة النية، ولكن لا يلزم التلفظ بها، وإنما محلها القلب، ووجوب غسل الوجه من منابت شعر الرأس إلى أسفل الذقن وغسل اليدين مع المرفقين، ومسح جميع الرأس؛ لما روي أن رسول الله ﷺ مسح رأسه حتى بلغ إلى قفاه، ومسح الأذنين كمسح الرأس، وغسل الرجلين مع الكعبين(١) ولا عبرة لقول من قال بجواز مسحهما. ومن الأحكام في الآية: إباحة التيمم للمريض، والمسافر، والآتي من الغائط، والمجامع عند فقد الماء، بشرط أن يكون بتراب طاهر.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ، برقم (١١٨-١٢٣)، سنن أبي داود ج١ ص٥٧-٥٨ .

بيان الآية:

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ المراد بها نعمة الإسلام فهي أعظم نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة. ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ أي: العهد والوعد الذي عاهد عليه رسول الله ﷺ المسلمين حين بايعهم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره كما حدث ذلك ليلة العقبة تحت الشجرة. ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي: المراد به حين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم، وأن يرحل إليهم هو وأصحابه وكان أول المبايعين له البراء بن معرور رضي الله عنه وقال حينئذ: فبايعنا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر(١).

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: الزموا تقواه فيما أمركم به ونهاكم عنه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم ما في قلوبكم.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب ذكر نعم الله على أمة المسلمين، وأول هذه النعم دين الإسلام والذي أرسل الله به نبيه ورسوله محمداً ﷺ. ومن الأحكام: و جوب ذكر الميثاق والعهد الذي تعاهد عليه رسول الله ﷺ مع صحابته، ومنهم: الأنصار حين بايعوه في ليلة العقبة؛ ذلك أن تذكر

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٩٦.

هذه النعم والعهود يجعل قلب العبد متعلقاً بالله وحريصاً على الوفاء بما عاهد عليه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ﴾

بيان الآيات:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ لما ذكر الله عز ذكره أنه أتم نعمته على عباده المؤمنين بالإسلام وذكَّرهم بالعهد والميثاق الذي تم بينهم وبين رسول الله ﷺ أمرهم أن يقوموا بالعدل، وإحقاق الحق لأهله، وأن تكون شهادتهم دون حيف ولا ظلم.

وشاهده: حديث النعمان بن بشير قال: نحلني أبي نخلاً فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله ﷺ فجاءه

ليشهده على صدقتي فقال: (**أكل ولدك نحلته مثله؟**) قال: لا، قال: (**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**) وقال: (**إني لا أشهد على جور**) قال: فرجع أبي فرد تلك الصدقة(١).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟﴾ في هذه الآية: أمر من الله للمؤمنين ألا يحملهم بغضهم للمشركين على عدم العدل فيهم، سواء بالقضاء أو غيره. ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وهذا أمر عام للعدل في الكفار وغيرهم؛ لأن إقامة العدل مما يقرب للتقوى. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ توكيد على إقامة العدل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يعلم أعمالكم وسوف يجازيكم عليها.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هذا وعد من الله ووعده الحق بأن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله واتبعوا ما جاء به وعدلوا في أمورهم سوف يغفر لهم ذنوبهم، ولهم أجر عظيم هو الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ لما وعد الله المؤمنين بالمغفرة والأجر العظيم وعد الذين كفروا وكذبوا بآيات الله وما جاء به رسوله من الدلائل والبينات ونقضوا عهودهم بأنهم سيكونون من أهل الجحيم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، برقم (١٦٢٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٤١٧ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية إنّ رسول الله ﷺ أتى بني قريظة ومعه أبو بكر وعلي يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما من المشركين فقال اليهود: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه وهمّوا بقتله وعمد عمرو بن جحّاش إلى رحى كبيرة يريد طرحها عليه فأنزل الله جبريل وأخبره بما هموا به[1]. وقيل: إنها نزلت في غورث بن الحارث (الذي سبقت الإشارة إليه) حين نزل رسول الله ﷺ منزلاً وتفرق الناس يستظلون تحت الشجرة فعلق رسول الله ﷺ سيفه على شجرة فانحدر غورث من جبل قريب منه، فاستل سيف رسول الله وقال: من يمنعك مني؟ قال: **(الله)** قالها ثلاثاً فأغمد السيف أو سقط منه ونادى رسول الله ﷺ أصحابه فأخبرهم وأبى معاقبته[2].

﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ أي: نجاكم مما كان يبيّت لكم. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أمر منه عز ذكره لعباده بالتقوى؛ لأنها العاصمة من السوء. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ المراد أن من وكل أمره إلى الله واتقاه عصمه من كل سوء وحفظه من كل شيطان وكان له ناصراً من كيد الكائدين وغدر الغادرين.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٤٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص٣٦٥ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٣٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص٣٦٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب العدل بين الناس، وأن تكون الشهادة بالقسط أي: بالعدل، وتحريم الشهادة على الظلم أو الجور، ووجوب العدل بين الناس كافة بصرف النظر عن ديانتهم، فكما يجب العدل للمسلم يجب العدل لغيره، وسوء معاملة الكافر للمسلم لا يوجب عدم العدل فيه، فلو قتل الأعداء أطفالاً للمسلمين لا يجوز قتل أطفالهم، ولو مثّلوا بأحد منهم لا يجوز التمثيل بأحد منهم؛ لأن الإسلام دين أدب وخلق ودين عدل ورحمة وليس دين ظلم وجور.

ومن الأحكام: تقرير وعد الله للمؤمنين بالمغفرة والأجر العظيم، وتقرير الوعيد بالعذاب للكافرين والمكذبين. ومنها: وجوب ذكر نعم الله على عباده والالتزام بتقواه والتوكل عليه.

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هذا بيان لما أخذه الله من المواثيق على بني إسرائيل أن يطيعوا نبيهم موسى. ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ المراد به أن موسى عليه السلام أخذ من كل سبط من بني إسرائيل نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به فبعثهم ليطلعوا على قوة العمالقة (الجبارين) قبل غزوهم، فلما ذهبوا واطلعوا على قوتهم رأوا أنه لا قِبَلَ ولا طاقة لهم بهم، فاتفقوا على أن يخفوا ما رأوه عن بني إسرائيل وأن يعلموا به موسى وحده، فلما رجعوا إلى قومهم خان منهم عشرة فأبلغوا أقاربهم بما شاهدوه عن العمالقة فانتشر الخبر حتى اختلفوا فيما بينهم إلى أن قالوا: لن نذهب إلى قتالهم لجبروتهم وقوتهم وعليك يا موسى أن تقاتل أنت وربك. ومصداقه قول الله عز ذكره ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾(١).

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: سأكون لكم نصيراً ومعيناً إن أقمتم الصلاة. ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهذه من أركان الإسلام. ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ أي: جميعهم. ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٤ .

أي: نصرتموهم. ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: أنفقتم في سبيله زكاة أموالكم وصدقاتكم. ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي: سوف أكفر سيئاتكم السابقة وأستر عيوبكم. ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: ستكونون نزلاء الجنة. ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: من نقض الميثاق فقد أخطأ طريق الحق والهدى.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، وقد عظم الله أمرها في قوله عزوجل ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾(١). ومن الأحكام: وجوب إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ووجوب الإنفاق في سبيل الله، والإيمان برسل الله كافة، وآخرهم وخاتمهم رسول الله محمد ﷺ.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤.

ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ أي: بسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم. ﴿لَعَنَّٰهُمْ ﴾ اللعن الطرد والإبعاد عن رحمة الله. ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ ﴾ المراد أنه بسبب هذا النقض وما ترتب عليه من لعن لهم صارت قلوبهم صلبة، لا تقبل الحق ولا تفعله. ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ ﴾ أي: بسبب هذه القساوة في قلوبهم صاروا يؤولون الكتاب وآياته على غير حقيقتها. ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ ﴾ أي: نسوا ما جاءهم في التوراة من الآيات والبينات، ومنها: صفة محمد ورسالته. ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: خيانتهم بتحزبهم مع المشركين ضدك، وهمهم بقتلك، وخيانتهم للعهد الذي كان بينك وبينهم كما فعل أسلافهم مع أنبيائهم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ ﴾ أي: إن قلة منهم لم يخونوا مثل ما فعل الكثيرون منهم. ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ ﴾ قد يكون المراد الأمر بالعفو عنهم؛ لوجود العهد معهم، وقد يكون المراد العفو عمن آمن منهم، وعدم مؤاخذتهم بما سبق منهم من

العداوة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إنه يحب الذين يعفون ويصفحون عند المقدرة.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ﴾

لما ذكر الله جل ذكره أنه أخذ الميثاق على بني إسرائيل بيّن أنه أخذ كذلك الميثاق على النصارى بأن يؤمنوا برسالة محمد ﷺ ويتبعوه. ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: نسوا الإيمان بمحمد ﷺ جهلاً وضلالاً وكفراً. ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ أي: ألقينا بينهم العداوة فيما بينهم فأصبحوا فرقاً متباينة متباعدة ومعادية لبعضها. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: أن هذه العداوة ستبقى بينهم إلى أن تقوم الساعة ومصداقه قول الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾(١).

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ أي: إن الله سوف يبين لهم سوء عملهم وكفرهم ويجازيهم عليه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم نقض العهود وما يترتب على هذا من الطرد من رحمة الله. وشاهده قول الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٩.

مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1]. ومن الأحكام: بيان سلوك أسلاف اليهود في نقضهم ما عاهدوا نبيَّهم ﷺ عليه. ومنها: الندب إلى العفو عند المقدرة. ومنها: بيان سوء سلوك النصارى وعدم إيمانهم برسالة رسول الله محمد ﷺ رغم ما أخذ الله عليهم من الميثاق في كتابهم فكان عدم إيمانهم بهذه الرسالة سبباً في تفشي العداوة بينهم. وهذا هو ما حصل في تاريخ المسيحية من الفرق المتناحرة من الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ المخاطب: هم اليهود والنصارى ﴿ قَدۡ

(١) سورة البقرة الآية ٢٧ .

جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ أي: محمد ﷺ. ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: يبين ويظهر لكم ما كنتم تخفونه من كتبكم ومن ذلك ما ورد فيها من وجوب الإيمان به وبرسالته ومن ذلك الرجم للزناة وقصة أصحاب السبت ومسخهم قردة وخنازير. ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي: أنه لم يبين لكم كل ما يعلمه عنكم وعن تاريخكم. وروي أن رجلاً من أحبارهم جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله فقال: يا هذا قد عفوت عنا، فأعرض عنه عليه الصلاة والسلام ولم يبين، وإنما أراد اليهودي أن يظهر مناقضة كلامه فلما لم يبين له، قام من عنده وذهب وقال لأصحابه: أرى أنه صادق فيما يقول؛ لأنه كان وجد في كتابه أن لا يبين[1].

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ المراد به القرآن الذي أنزله الله ضياء للناس يبيِّن لهم طريق الحق، ويبعدهم عن طريق الضلال.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي: أن الله أنزل هذا القرآن؛ ليهدي به من آمن به واتبع مافيه. ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: طرق الهداية. ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: ينتشلهم من ظلمات الشرك والكفر ويهديهم إلى نور الحق والهدى.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص١١٨ .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أمر الله لأهل الكتاب اليهود والنصارى أن يؤمنوا برسالة رسول الله محمد ﷺ ويتبعوا ما جاء به كتاب الله. ومن الأحكام: أن من آمن بالقرآن وآمن برسالة رسول الله ﷺ يهديه الله إلى سبيل الحق ويخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ

مَرْيَمَ ﴾ المراد بهؤلاء الكفرة: النصارى؛ فهم إن لم يقولوه على سبيل الاعتقاد فقد قالوه على سبيل المعنى حين اعتقدوا أنه يتصرف كتصرف الله من القدرة والتدبير. ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ﴾ أي: لا أحد يقدر على أن يرد الله إذا أراد أن يهلك المسيح وأمه وكل من في الأرض؛ ذلك أن هؤلاء كلهم مخلوقون، والله هو الذي خلقهم وكما أنه قادر على خلقهم فهو قادر على إهلاكهم. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ توكيد لربوبية الله، وأنه المالك المتصرف في السموات والأرض ومن فيهما. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ أي: يخلق بقدرته ذكوراً وإناثاً، ويخلق من الإناث الذكور ومن الإناث الإناث ويخلق الذكور من غير إناث كما خلق آدم، وخلق عيسى بالكلمة. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: هو القادر على كل شيء يريده، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ لما كان رسول الله ﷺ يدعو اليهود إلى الإسلام كان يخوفهم من عذاب الله إذا استمروا على كفرهم فردوا عليه ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ واستدلوا على زعمهم الباطل أن الله أوحى إلى إسرائيل (أن ولدك بكري من الولد)؛ لما ورد في الإنجيل حكاية عن عيسى (اذهبوا إلى أبي

وأبيكم) وقيل: إنهم استدلوا على زعمهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه؛ لكونهم أبناء رسل الله وهم بنوه، فرد الله زعمهم وكذبهم بقوله ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ أي: قل لهم يامحمد: لو كنتم أبناء الله -وحاشاه أن يكون له ولد- لما عذبكم حين مسخكم قردة وخنازير. ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: قل لهم يا محمد: أنتم مجرد بشر خلقكم الله مثل خلقه. ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ إذا تاب من ذنوبه وأخلص في توبته. ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يعذب من يستمر على كفره. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: أنه الرب الواحد الأحد لا شريك له ولا ولد. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع في الآخرة.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ لما أنكر اليهود نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ قال لهم سعد بن معاذ ومعاذ بن جبل: يامعشر يهود، اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته. فقالوا: ما قلنا هذا لكم ولا أنزل الله من كتاب من بعد موسى ولا أرسل رسولاً من بعده، فأنزل الله هذه الآية[١] ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ والخطاب لليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص٣٦٩ .

﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ المراد أن الله جل ذكره يقول لليهود والنصارى: لقد أرسلنا رسولاً بعد فترة انقطاع الوحي بعد عيسى بأكثر من خمسمائة سنة وهذا الرسول هو محمد ﷺ يبين لكم دين الله بالبينات الدالة عليه حتى لا تقولوا﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ فبرسالته جاءكم بشير يبشركم برضا الله إن آمنتم به وأخلصتم العبادة له وحده وصدقتم رسوله وما جاء به من الكتاب الذي نسخ ما قبله من الكتب وينذركم بسوء العاقبة إن أنتم كذبتموه، وجحدتم، وعاندتم رسالته. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: في مجازاتكم على أعمالكم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بكفر من ينسب إلى الله الولد أو يتقول عليه بأنه من خاصته وتكذيب اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه فتنزه الله عن الولد وتقدست أسماؤه وصفاته عما يقوله الظالمون وينسبونه إليه زوراً وبهتاناً. الحكم بأن عيسى وأمه من مخلوقات الله وأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً .

الحكم بقيام الحجة على اليهود والنصارى بإرسال رسول الله محمد ﷺ إلى الناس كافة يبشرهم برحمة الله إذا أطاعوه وينذرهم عقاب الله إذا عصوه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

بيان الآيات:

كان نبي الله موسى يدعو بني إسرائيل إلى طاعة الله واحترامهم للميثاق الذي أخذ عليهم، ويذكرهم بنعم الله عليهم بقوله ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ومن هذه النعم قوله ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ فكان بنو إسرائيل أكثر الأمم التي أرسل إليها أنبياء ولعل ذلك دليل على عدم امتثالهم وعدم طاعتهم، فأرسل الله إليهم العديد من الرسل لإقامة الحجة عليهم. ومن هذه النعم قوله ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أي: جعل فيكم ملوكاً كثيرين. ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والمراد أن الله أعطاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين

في زمانهم. ومن ذلك: إغراق فرعون، وإنزال المن والسلوى عليهم لما كانوا في التيه، والغمام الذي ظللهم الله به.

ثم قال لهم: منادياً ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ أي: الأرض المطهرة المباركة ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: كتب لكم دخولها فقوموا بذلك وافتحوا المدينة. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾ أي: لا تنكصوا وترجعوا على أعقابكم عن قتال الجبارين أهل الأرض. ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ في دينكم ودنياكم.

قيل: إنهم لما خرجوا من مصر لقتال أهل الأرض المقدسة بعث موسى اثني عشر نقيباً من كل سبط منهم؛ ليتحسسوا واقع الجبارين فيها وقوتهم، ولما رأوا ما رأوه من شدتهم أخبروا قومهم عن بأسهم وما يتميزون به من طول الأجسام وفخامتها، فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقالوا: ياليتنا متنا في مصر ولم نخرج منها وقالوا لبعضهم: دعونا نرجع إلى مصر؛ لأنه لا قبل لنا بهؤلاء الجبارين[1].

وشاهد هذا قول الله على لسانهم ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ المراد بهم العمالقة. ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا ﴾ أي: لن ندخل هذه الأرض ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ﴾ أي: يتركوها لنا بلا قتال منا؛ وذلك لخوفنا منهم. ﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ أي: إن

(١) معالم التنزيل ص٣٦٨ .

خرجوا منها وتركوها لنا دخلناها وكان هذا مستحيلاً إذ إنهم أمروا بالقتال لدخولها، فلما لم يفعلوا عصوا أمر نبيهم.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ قيل: إنهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهما من عداد النقباء الاثني عشر يخافون الله[1]. ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي: بالإيمان أو بالصلاح في أمرهما ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ﴾ أي: لا تخافوا؛ فإنكم إذا دخلتم باب البلدة المقدسة فستغلبون العمالقة؛ لأنكم مؤمنون وهم غير ذلك. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا كنتم مؤمنين ومصدقين بوعد الله لكم فسوف تغلبونهم، ولكنهم رغم موعظتهم ظلوا على خوفهم وجبنهم وعصيانهم لأمر نبيهم.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان سلوك اليهود وعصيانهم لنبيهم موسى وما اتصفوا به من الخوف من القتال، وتهويل نقبائهم لشأن عدوهم العمالقة مما جعلهم يرتدون على أدبارهم ويبكون خوفاً من عدوهم. وهذا يقتضي سوء عاقبة الكذب عن شأن العدو، وتهويل قوته. ومن مسائل الآية: أن الأمم رغم ما قد يكون فيها من الإثم لا تخلو من مصلحين ومؤمنين بالله يأتمرون بأوامره، وينتهون عن نواهيه.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ص٣٧١ .

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

بيان الآيات:

رغم هذا النصح لهم من رجلين صالحين منهم ورغم دعوة موسى لهم ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ﴾ وهذا نفي قاطع منهم بألا يدخلوها أبداً ما دام العمالقة فيها. ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ أي: كما تأمرنا بقتال الجبارين عليك أنت وربك أن تذهبا وتقاتلا وحدكما. وفي هذا سوء أدب مع الله جل ذكره (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً).

﴿قَالَ رَبِّ﴾ لما عجز نبي الله موسى عنهم وتأكد له أنهم لن يقاتلوا لجأ إلى ربه قائلاً ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ﴾ يقصد أخاه هارون أي: إني لست قادراً على إقناعهم، ومالي فيهم من حيلة. ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أي: لا تؤاخذني وأخي بما فعل هؤلاء، فاجعل بيننا وبينهم فرقاً في المعاملة؛ لأنهم عصوك ونحن طائعون لك.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ لما دعا موسى عليهم استجاب الله له فتركهم يتيهون في الأرض أي: صاروا متحيرين في قطعة من الأرض يبدؤون فيها من حيث انتهوا، وكان الغمام يظللهم من وهج الشمس، وينزل عليهم المن والسلوى، ومع أن هذه نعمة من الله عليهم مع أنهم عصاة إلا أنهم لم يشكروها، والله جل ذكره يرحم عباده، ولو كانوا عصاة لعلهم يرجعون إليه، فهو ذو رحمة واسعة ولو يؤاخذ عباده بما كسبوا ما ترك على الأرض من دابة تمشي عليها، ولكنه يرحمهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى. ولما كان الله قد حرم عليهم الأرض المقدسة لم يدخلوها، وقيل: إنهم دخلوها بعد انتهاء مدة التيه، وقيل: إن هؤلاء بادوا جميعاً، وإن الذي دخلها هو يوشع بن نون وبعض من أصلابهم. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ في هذا تسلية لموسى عليه السلام فيما أصابه من قومه، أي: لا تكن آسفاً عليهم فإنهم سيلقون جزاء فسقهم وعصيانهم.

قلت: ومن ذلك الحين تفرق بنو إسرائيل أشتاتاً في الأرض فما من بلد إلا وفيها منهم، ورغم ما فرضته الأمم لهم في فلسطين بعد قسر أهلها وظلمهم، إلا أن بني إسرائيل لا يزالون متفرقين، منهم: من ذاب في الشعوب فأصبح منهم، ومنهم: من تمسك بادعائه

اليهودية، وقد دخل فيهم أقوام ليسوا منهم تأثروا بدعاواهم عن أنفسهم حين جعلوا لهم راية الصهيونية ينطلقون منها في تعزيز دور سياسي لهم، كحال الخزر الذين جاؤوا إلى فلسطين بحجة يهوديتهم وهم ليسوا كذلك، والله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، وله في كل خلقه شؤون.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء أخلاق أسلاف اليهود مع ربهم ونبيهم بقولهم له ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾. ومن الأحكام: وجوب البراءة من المعرضين عن أوامر الله من أهل الفسق ونحوهم. ومنها: عدم جواز الأسى والحزن على أهل الظلم والفسق إذا تعرضوا لنقمة الله.

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ

أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

لما قص الله على نبيه محمد ﷺ قصة اليهود مع نبيهم موسى كان ذلك تسلية له عما أصابه منهم أثناء دعوتهم إلى الله حين شتموه وآذوه وسخروا من دعوته، بل وهمّوا بقتله ودسّوا السم له، ذكر قصة ابني آدم قابيل وهابيل وما تعرض له هابيل من ظلم أخيه قابيل له بقتله، وهذا الظلم مشابه لفعل اليهود وظلمهم وعصيانهم لنبيهم موسى ثم عصيانهم لرسول الله محمد ﷺ فقال عز وجل لنبيه ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: حدثهم عن قصة قابيل مع أخيه هابيل، وأن قتل قابيل لأخيه هابيل كان ظلماً وأن عاقبة القاتل النار. والمراد: حدثهم بهذه القصة وذكّرهم ما حصل منهم نحوك من همهم بقتلك، وأن الله نجاك وأنك كنت معهم رحيماً وقد وفيت بعهدك معهم. ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ أي: إن كلا منهما قرب قرباناً فكان قربان أحدهما وهو هابيل أزكى من قربان أخيه قابيل؛ ذلك أن من حكم الله في الأمم الغابرة أن من قرب قرباناً إلى الله فقبله أرسل عليه ناراً من السماء فتحرقه ومن لم يتقبل قربانه يترك. ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وكان هذا حسداً وحقداً فقال

هابيل: ولم تقتلني وأنا لم أرتكب محرماً؟ وقبول الله لقرباني؛ لأني اتقيته. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ أي: إن أردت يا قابيل أن تمدَّها ﴿لِتَقْتُلَنِى﴾ دون ذنب مني ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ أي: أنه امتنع عن قتل أخيه مع أنه كان يعرف أنه قاتله. فإن قيل: ولماذا لم يقتله دفاعاً عن نفسه؟ قيل: إن الدفاع عن النفس لم يكن جائزاً في ذلك الوقت. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: إني أتورع عن قتلك خوفاً من عقاب الله؛ لأنه لم يأمرني بالدفاع عن نفسي. ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ أي: إنك إذا قتلتني سوف يترتب عليك إثم قتلي ظلماً، والإثم الذي كان يلزمني لو كنت أنوي قتلك فأنت بهذا سوف تحمل الإثمين معاً. وشاهده قول الله جل ذكره. ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[1]. ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أي: أنك بقتلك إياي ظلماً سوف تكون من أصحاب النار. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن النار هي الجزاء لظلمك إياي. وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه سن القتل أولاً**)[2].

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ١٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب إثم من دعا إلى الضلالة أو سن سنة سيئة، برقم (٧٣٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٣١٤ .

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ ﴾ أي: سولت وحسنت له قتل أخيه فقتله. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ أي: من الخاسرين في الدنيا بقتله رَحِمَه ومن الخاسرين في الآخرة؛ لما يناله من العذاب المضاعف لأن كل قتل في الدنيا عليه وزر منه؛ لكونه أول من سنّه.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا ﴾ لما قتل قابيل أخاه هابيل جهل ما يفعل به وقد رويت روايات كثيرة في قصته، فقيل: إنه تركه في العراء وقيل: إنه حمله خوفاً عليه من السباع والواضح أنه لم يعرف كيف يتصرف في جثته فأرشده الله ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ أي: دله على الطريقة التي يدفن بها أخاه في الأرض، فلما رأى ما يفعل الغراب بالبحث في الأرض رأى أن يقلده فيما يفعل فقال في نفسه ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ أي: لماذا لا أكون مثل هذا الغراب فأدفن في الأرض عورة أخي كما فعل الغراب. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ أي: أنه فكر فيما فعل بأخيه فتحسر في نفسه عليه وأصابته الندامة على ما فعل.

قلت: وهذا في كل خطيئة يفعلها الإنسان من قتل وغيره، وذلك حين يغويه الشيطان على فعلها فينزع به ضعف الإيمان إلى الخطيئة ثم يجد نفسه بعد فعلها تتحسر ندامة على ما فعل. وإذا كانت هذه

الخطيئة في حق الله فإن مرتكبها قد يلجأ إلى الله بالتوبة فيتوب عليه إذا صلحت توبته، أما إذا كانت في حق غيره كما في حال القتل والظلم واغتصاب الحقوق والأعراض وقتل النفس فإن الحكم في ذلك هو القصاص، إما في الدنيا، أو في الآخرة وفي كلتا الحالتين: يندم الفاعل حين يجزى على مافعل.

أحكام ومسائل الآيات:

ندب التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة كالبر والإنفاق في سبيله، والصدقة على الفقراء والمحاويج، وذبح الأضاحي ونحو ذلك من أعمال الخير. ومن الأحكام: الحكم بأن الحسد من أشد الخطايا حيث يدفع بالحاسد إلى قتل من حسده، إما بقتله مباشرة كما فعل قابيل مع أخيه هابيل أو بقتله بعينه. والأصل فيه قول رسول الله ﷺ لأحد الصحابة لما أصاب صاحبه بعين: (**ألا بركت، إن العين حق**)[١].

ومنها: الحكم بوجوب دفن الميت لمواراة عورته، وتحريم تركه دون دفن. والأصل فيه إرشاد الله لقابيل للكيفية التي يدفن بها أخاه. الحكم بأن القاتل يكون خاسراً ويستوفى منه القصاص في الدنيا أو في الآخرة.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»، أخرجه مسلم في كتاب الطب، باب الطب والمرض والرقى، برقم (٢١٨٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٨٧٩ .

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

بيان الآية:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بسبب هذه الجريمة الشنعاء من قتل قابيل لأخيه هابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: شرعنا أو أوحينا وقد يكون فرضنا على بني إسرائيل؛ وذلك لكثرة القتل فيهم وقتلهم للأنبياء ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: من قتل نفساً على غير قصد الاقتصاص ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: قتلها بسبب ظلم كقطع الطريق ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: أن من يقتل نفساً ظلماً فكأنه قتل كل الناس. ذلك أن كينونة الواحد وكرامته عند الله مثل كينونة الجماعة وكرامتهم عنده كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[1] فمن يقتل أحدهم يكون آثماً كمن قتل كل الناس. وقد يقال: إن هذا مجاز؛ لأن قتل نفس واحدة ليس كقتل الناس كلهم على وجه الحقيقة. وأيّاً كان الخلاف حول

(١) سورة الإسراء من الآية ٧٠.

المراد فإن عقوبة القتل عظيمة، وقد اقتضى عظمها تشديد العقوبة حقيقة ومعنى؛ لأن من يستهين بنفس واحدة يستهين بغيرها من الأنفس. وقد روى أبو هريرة قال: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: جئت لأنصرك وقد طاب الضرب يا أمير المؤمنين فقال: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي معهم ؟ قلت: لا. قال: فإنك إن قتلت واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً، فانصرف مأذوناً لك مأجوراً غير مأزور. قال: فانصرفت ولم أقاتل[1].

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ والمعنى في ذلك واحد، أي: أن من أنقذ نفساً بالكف عن قتلها فكأنه أحيا الناس جميعاً؛ لأنهم سلموا من شره فهو على سبيل التشبيه كأنه أحياهم لأن حرمة النفس الواحدة وكرامتها مثل حرمة وكرامة الأنفس كلها.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المراد بهم اليهود وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ عما تعرض له من التآمر عليه من أسلاف اليهود بقتله والمراد أن الله جل ذكره يقول لرسوله: إن هؤلاء سبق أن جاءتهم رسلنا بالبينات التي تدلهم على الخير وتنهاهم عن الشر ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ أي: أنه رغم ما جاءهم من البينات، إلا أن الكثير منهم ظالمون ومستمرئون للشر والفساد.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢٨ ص٢٠٤ .

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتعظيم أمر النفس وشناعة التعرض لها بالقتل؛ فمن يقتل نفساً واحدة كأنه يقتل كل الناس؛ لأن التعدي على حرمة النفس تعدٍّ على حرمة الله الذي خلقها وخلق كل الناس، والحال كذلك بالنسبة لمن أحياها. ومن مسائل الآية: بيان الله أنه أرسل الرسل إلى بني إسرائيل بالبينات والهدى ومع ذلك كان الكثيرون منهم مسرفين في الفساد.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ محاربة الله ورسوله بارتكاب حرماته، وقد نزلت هذه الآية في العرنيين فيما روي أن قوماً من عكل أو من عرينة قدموا على رسول الله ﷺ فاستوخموا المدينة، فأمر لهم عليه الصلاة والسلام بلقاح وأمرهم أن يشربوا من

أبوال إبل الصدقة وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا النعم فأرسل في أثرهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم واقتص منهم مثل ما فعلوا بالراعي[1].

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ والمراد أن من قَتَل قُتِل، ومن قتل وسلب المال وأخاف الناس قتل وصلب[2]. ومن أخذ المال قطعت يده؛ لأخذ المال ورجله؛ لإخافته للسبيل، ومن أخاف السبيل نفي من الأرض. وهذا حكم عام في كل من يقطع الطريق. ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أن قتلهم وصلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفيهم فيه ذل ومهانة لهم في الدنيا. ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: يدخر لهم الله العذاب الشديد لقاء عدوانهم وجرأتهم على حدوده.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ هذا استثناء من الحكم فيما مناطه عقوبة قطع الطريق وهو ما يسمى الحق العام فالإمام فيه بالخيار، إن شاء عاقب فاعله، وإن شاء عفا عنه، وقد روي أن علياً الأسدي حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال فطلبه الأئمة والعامة، فامتنع ولم يقدروا عليه حتى جاء تائباً وذلك أنه سمع رجلاً

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٤٠، والقصة أخرجها مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب حكم المحاربين والمرتدين، برقم (١٦٧١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٥٧٣ .

(٢) هذا هو رأي الجمهور من العلماء.

يقرأ هذه الآية ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١]. فوقف عليه فقال: يا عبد الله أعد قراءتها فأعادها عليه فغمد سيفه ثم جاء تائباً حتى قدم المدينة من السحر فاغتسل، ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصلى الصبح، ثم قعد إلى أبي هريرة في غمار أصحابه، فلما أسفروا عرفه الناس فقاموا إليه فقال: لا سبيل لكم علي جئت تائباً من قبل أن تقدروا علي. فقال أبو هريرة: صدق وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم وهو أمير على المدينة في زمن معاوية فقال: هذا علي جاءنا تائباً ولا سبيل لكم عليه ولا قتل، فترك من ذلك كله. قال: وخرج علي تائباً مجاهداً في سبيل الله في البحر فلقوا الروم فقربوا سفينته إلى سفينة من سفنهم فاقتحم على الروم في سفينتهم فهربوا منه إلى شقها الآخر فمالت به وبهم فغرقوا جميعاً[٢].

أما ما مناطه القتل والجراح والسرقة أو ما يسمى بالحق الخاص: فهذا حق للأولياء ومنه: القصاص، ولا يسقط إلا إذا عفوا عنه. ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: يغفر ذنوب التائبين ويرحمهم إذا صدقوا في توبتهم.

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٤ ص٢٢٣ .

أحكام ومسائل الآيتين:

هذه الآية: في الحرابة وهي إشهار السلاح، والخروج على ولي الأمر؛ قصد السلب، وإخافة الطريق، ولولي الأمر الخيار فيما يراه لتأمين الطريق، وتأمين الناس وحفظ أموالهم وأرواحهم، فقد يرى المصلحة في سجن المحارب، وقد يراه في حكم الآية، فمن قتَل قُتِل، ومن قتل وأخذ المال وأخاف الناس قُتِلَ وصُلِبَ، ومن أخذ المال وأخاف السبيل قطعت يده؛ لأخذه المال ورجله؛ لإخافته السبيل، ومن أخاف السبيل فقط نفي، ومن تاب قبل القدرة عليه عُفي عنه ما لم يكن أخذ مالاً؛ فإنه يرده إلى أهله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هذا نداء للمؤمنين يقتضي الأمر ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: الزموا طاعته واتركوا نواهيه. ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ

﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي: اطلبوا كل ما يتقرب به إليه من الأعمال الصالحة، والوسيلة: أعلى درجة في الجنة وفيها قال رسول الله ﷺ: **(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)**(١).

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ هذا أمر آخر للمؤمنين بأن يجاهدوا المشركين والكفار ومن في حكمهم ممن يحارب الله ورسوله. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: لعلكم تبلغون الدرجة التي أعدها الله للمجاهدين وهي السعادة في الآخرة.

قلت: والجهاد حكم قائم إلى أن تقوم الساعة وإن لم تستطع الأمة القيام به في ظرف من ظروفها؛ لعجز في طاقاتها أو وسائلها إلا أنه حكم قضى به الله وأوجبه عليها، فهي مسؤولة عنه يوم تشهد على الأمم التي كانت قبلها ويشهد عليها رسولها محمد ﷺ كما قال عزوجل ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم (٣٨٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص١٥١١ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ في هذا وعيد شديد للكافرين، فلو جاء أحدهم بكل ما في الأرض وضعفه -وهذا مستحيل- لكي يفتدي به من العذاب الذي يواجهه ما قبل منه وشاهده أيضاً: قول رسول الله ﷺ: (**يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك**)[١]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: شديد الألم.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ المراد أن الكفار حينما يلاقون من العذاب وحر جهنم يريدون الخروج منها، ولكنهم لا يستطيعون الخروج. وشاهده أيضاً قول الله جل ذكره ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾[٢]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي: دائم لا ينقطع.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه يجب على العبد تقوى الله وطاعته والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، كالجهاد في سبيله، وهذا مطلب قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن الأحكام: وجوب التوسل إلى الله بالأعمال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، برقم (٦٥٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٤٠٧ .

(٢) سورة الحج من الآية ٢٢ .

الصالحة. ومنها: استحالة الفداء يوم القيامة من العذاب وتقرير خلود الكفار في العذاب يوم القيامة.

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱلسَّارِقُ ﴾ من يأخذ المال خفية من حرز بمقدار ربع دينار فأكثر ﴿ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ كذلك. وهذه الآية ذات صلة بما قبلها، فلما بيَّن الله عقوبة المحارب بيّن عقوبة السارق بياناً واضحاً؛ لما يجب من حفظ أرواح الناس وأموالهم بوصف انتهاكها انتهاكاً لحرمات الله. ﴿ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾.

قلت: وقد يقال: لماذا القطع؟ ولماذا هذه العقوبة الشديدة؟ كما يصفها الذين يصعب عليهم فهم أحكام الله وحكمته في خلقه أو يصفها الذين يريدون النيل من الإسلام؟ فيقال لهؤلاء: إن الله لما خلق الإنسان لعبادته جعل المال أحد الوسائل التي يستعين بها في حياته

إلى أن يبلغ أجله المسمى، ومن حكمة الله: أن قضى لصاحب المال باختصاصه فيه؛ ذلك أنه لما جمعه بجهده أصبح حقه فيه على وجه الإطلاق، فلا يجوز إذاً لغيره أن يتعدى عليه دون إذنه فإن تعدى عليه صار له حق الدفاع عنه.

والدفاع عن الأنفس والأموال والأعراض من واجبات الولاية، وهذه تستمد أحكامها مما أمر الله به، ولأن الله بحكمته قضى أن منع السرقة لا يكون إلا بهذه العقوبة، فقد وجب على عباده القضاء بها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1]. ولو كانت عقوبة السارق على نحو أخف مما يقوله الجاهلون بحكم الله لكانت السرقة أمراً سهلاً، وكان الناس يتنازعون ويقتتلون من أجل حفظ أموالهم فتستباح عندئذ حرمات فيحمي الأقوياء أموالهم وتستباح أموال الضعفاء فحكم الله وحكمه الحق أن تكون عقوبة السرقة هي القطع ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن قطع أيديهما؛ جزاء لتعديهما على أموال الناس ونكال لهما وعبرة لغيرهما فتمنعه هذه العقوبة من السرقة. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في شرعه.

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٣٦ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٥٠ .

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ أي: من تاب بعد سرقته وأخلص توبته ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ﴾ وفي هذا وعد منه جل ذكره بقبول توبته. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده سيئاتهم ويرحمهم إذا أنابوا إليه.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا خطاب لرسول الله ﷺ، ولكل واحد من عباده أن الله هو المالك لكل من في السموات والأرض وما بينهما ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده إذا سرق ﴿وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ من عباده إذا تاب من السرقة وأصلح. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم السرقة؛ لما فيها من التعدي على حقوق الناس، وعقوبتها: القطع ويكون القطع في ربع دينار فأكثر؛ لما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً**)[1].

ومن الأحكام في الآية: قبول توبة السارق. وتقبل هذه التوبة قبل بلوغ جرمه إلى الحاكم، فإذا بلغه وجبت العقوبة، والأصل فيه حديث

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب قول الله تعالى ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾، برقم (٦٧٩٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٩٩ .

عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت في غزوة الفتح فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ قالوا: فمن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبّ رسول الله فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فيها، فتلون وجه رسول الله وقال: (**أتشفع في حد من حدود الله عز وجل؟**) فقال أسامة: استغفر لي يارسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فخطب في الناس وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (**يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**) ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها. قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ(١).

ومن أحكام الآيات: أن الحكم لله وحده لا ينازعه فيه منازع، فهو في حكمه للسارق أعلم وأرحم بخلقه.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، مختصراً برقم (٦٣٨٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٨٩ .

هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد لا تهتم بأولئك المنافقين وتهافتهم على الكفر. ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: هؤلاء الذين يكذبون فيقولون بألسنتهم آمنا وصدقنا. ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أن قلوبهم لم تؤمن بل هي خاوية وخالية من الإيمان. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: ولا تهتم، ولا تبال، ولا تحزن على اليهود الذين يسمعون الكذب من أحبارهم، وما يقولونه من الافتراء على الله. ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: أن

هؤلاء اليهود الذين يسمعون الكذب من أحبارهم يأتون إلى مجلسك ليسمعوا ما تقول؛ لينقلوه إلى اليهود الآخرين الذين لم يأتوا إلى مجلسك. والمراد بهم بنو قريظة كانوا يأتون إلى مجلس رسول الله ﷺ ليسمعوا ما يقول ليبلغوه إلى يهود (خيبر) و(فدك)[1]، لكونهم جواسيس وعيوناً لهم.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي: يؤولون ويبدلون الكلام ويحرفونه عن حقيقته. ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ أي: إن أفتاكم محمد بهذا الكلام الذي قلناه فخذوه؛ لأنه الحق وإن أفتاكم بخلافه فلا تعملوا به؛ لأنه باطل. وشاهد هذا ماروي أن رجلاً وامرأة منهم زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ: **(ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟)** قالوا: نسخم وجوههما ونخزيهما فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأْتوا بالتوراة، فأتوا بها فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده

---

(١) قرية من أكبر قرى خيبر تقع في شمال خيبر كان يسكنها طائفة من اليهود، ولما فتح رسول الله ﷺ خيبر في السنة السابعة من الهجرة، سارع أهل فدك إلى طلب الصلح وأن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال فوافق ﷺ فكانت فدك خالصة له لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري ج١ ص٣٢٦ .

وتسمى فدك اليوم «الحائط» فيها مركز حكومي ومحكمة ومدارس، وطريقها إلى المدينة على طريق النخيل والصويدرة ثم المدينة وأرض فدك مقسمة بين السكان كأية قرية أخرى، معجم معالم الحجاز لعاتق بن غيث البلادي ج٧ ص٢٨ .

فإذا آية الرجم فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما[١].

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ أي: إن من أراد الله إضلاله بسبب إعراضه عن الله وتحريفه لكلامه فلن تملك له من الله شيئاً. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أي: بسبب أعمالهم الظالمة وجحودهم لدين الله، وكتابه، وحسدهم، وعنادهم، وتآمرهم على رسوله لم يطهر الله قلوبهم. ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ أي: يلحقهم في الدنيا الذل والمهانة. ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ أي: بسبب كفرهم.

﴿سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ توكيد لحال اليهود المشار إليهم في الآية السابقة. ﴿أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ السحت: الرشا أو الربا أو كل مال حرام وسمي سحتاً؛ لأنه عديم البركة فيسحته الله أي: يمحقه. وشاهده من السنة قول رسول الله ﷺ: **(إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به)**[٢]. ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ أي: إذا جاءك أهل الكتاب وطلبوا منك أن تحكم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب الرجم في البلاط، برقم (٦٨١٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص١٣١ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الجمعة، باب ما ذكر في فضل الصلاة، برقم (٦١٤)، سنن الترمذي ج٢ ص٥١٢، والدارمي في كتاب الرقاق، برقم (٢٧٧٦)، سنن الدارمي ج٢ ص٤٠٩، وأحمد في المسند ج٣ ص٣٢١ .

بينهم فأنت مخير بين أن تحكم بينهم، أو لا تحكم. وقيل: إن هذه الآية منسوخة لقول الله تعالى ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[1]. ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ أي: أنهم حين أرادوا التحاكم إلى رسول الله ﷺ كانوا يريدون أن يحكم لهم بما يوافق أهواءهم، فإذا أعرض عنهم فسوف يكون ذلك عسيراً عليهم وقد يتعرضون له جزاء إعراضه عنهم فذكر الله له أنهم لن يضروه؛ لأن الله هو الذي يحميه من شرورهم. ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ أي: إن اخترت أن تحكم بينهم فيكون حكمك عليهم بالعدل؛ ذلك أن بني النضير يدعون أنهم أشرف من بني قريظة، فإذا قتل رجل من قريظة رجلاً من بني النضير قتل به، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة أعطى ذويه الدية، فلما قتل رجل من بني النضير رجلاً من قريظة قال هؤلاء: أعطونا القاتل لنقتله، فقالوا: نتحاكم عند محمد، فنزلت هذه الآية. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ أي: الذين يقولون الحق وبه يعدلون.

﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ﴾ أي: إن من العجب أنهم يحكمونك في الزناة وهم لا يصدقونك مع أن الحكم لديهم في التوراة. ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ ﴾ أي: يعرضون عن الحكم

---

(١) فتح القدير للشوكاني ص٤٤٢، والآية في سورة المائدة من الآية ٤٩ .

الذي حكمت به وهو الرجم مع أنه موافق لما جاء في التوراة التي بين أيديهم. ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنهم ليسوا بمؤمنين بما حكمت به، ولا بما عندهم في التوراة، وإنما يريدون الحكم بأهوائهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم تحريف الكلام، أو تأويله، أو تبديله عن مواضعه. ومن الأحكام: أن لأهل الكتاب المقيمين بين المسلمين أن يتفقوا بينهم فيما مناطه أحوالهم الشخصية، كالزواج، والإرث، ونحو ذلك؛ أما مايتعلق بالقضايا العامة فيرى الإمام أبو حنيفة: أنهم إذا احتكموا إلى المسلمين حملوا على حكم الإسلام، فلو زنى أحدهم بمسلمة أو سرق أقيم عليه الحد، وإن كان الزانيان من أهل الذمة فليس عليهما حد، وهو مذهب الإمام مالك[١]. وفي قول للإمام أبي حنيفة: يجلدان ولا يرجمان[٢]. ويرى الإمام الشافعي وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة وأبو ثور: إذا أتيا راضيين بحكم الإسلام فعليهما الحد[٣].

قال ابن خويز منداد: «ولا يرسل الإمام إليهم إذا استعدى بعضهم على بعض، ولا يحضر الخصم مجلسه إلا أن يكون فيما يتعلق بالمظالم التي ينتشر منها الفساد كالقتل، ونهب المنازل، وأشباه

---

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين ج٤ ص١٦، وحاشية الدسوقي لمحمد عرفة الدسوقي ج٤ ص٣١٤-٣٢١ .

(٢) حاشية رد المحتار لابن عابدين ج٤ ص١٦ .

(٣) مغني المحتاج للشربيني الخطيب ج٤ ص١٤٧، وحاشية ابن عابدين ج٤ ص١٦ .

ذلك. فأما الديون والطلاق وسائر المعاملات: فلا يحكم بينهم إلا بعد التراضي والاختيار، وله ألا يحكم ويردهم إلى حكامهم فإن حكم بينهم حكم بحكم الإسلام، وأما إجبارهم على حكم المسلمين فيما ينتشر منه الفساد، فليس على الفساد عاهدناهم وواجب قطع الفساد عنهم منهم ومن غيرهم؛ لأن في ذلك حفظ أموالهم ودمائهم ولعل في دينهم استباحة ذلك فينتشر منه الفساد بيننا ولذلك منعناهم من بيع الخمر جهاراً، وأن يظهروا الزنى وغير ذلك من القاذورات؛ لئلا يفسد بهم سفهاء المسلمين، وأما الحكم فيما يختص به دينهم من الطلاق والزنى وغيره، فليس يلزمهم أن يتدينوا بديننا وفي الحكم بينهم - بذلك - إضرار بحكامهم وتغيير ملتهم وليس كذلك الديون والمعاملات؛ لأن فيها وجهاً من المظالم وقطع الفساد»(١).

ومن الأحكام في الآية: وجوب العدل في الحكم سواء كان الخصم مسلماً أم غير مسلم.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص١٨٥ .

وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

بيان الآية:

قوله ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ أي: فيها بيان للحق لما أنزلت على موسى، وهذا من مدح الله له عليه السلام وللذين جاؤوا من بعده من النبيين الذين أسلموا واتبعوه ولم يعصوه. ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: حكم بها أنبياء بني إسرائيل الذين أتوا بعد موسى على الذين هادوا وهم اليهود الذين انقادوا واستجابوا لما جاء به النبيون من بعد موسى. ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ أي: يحكم بها أيضاً أهل العلم والمعرفة من بني إسرائيل ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: بما حفظهم به أنبياؤهم للكتاب دون تبديل أو تحريف فيه. ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ﴾ أي: كان هؤلاء شهداء على الكتاب بمعنى رقباء وأمناء عليه من التبديل والتحريف .

ولعل المعنى الإجمالي للآية هو: أن النبيين من بني إسرائيل من بعد موسى حكموا بأحكام التوراة على الذين هادوا دون تبديل أو تعديل فيها كما أن الربانيين والأحبار من بني إسرائيل حكموا بالتوراة بسبب استحفاظهم لها كما نزلت فلم يبدلوا فيها ولم يحرفوا، وأنهم

أي: النبيين والربانيين والأحبار كانوا عليها شهداء من التبديل خلافاً لليهود الذين حرفوها، وبدلوا فيها حسب أهوائهم كما حدث في آية الرجم التي أخفوها .

﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ وهذا أمر لليهود بأن لا يخشوا الناس في إظهار ما ورد في التوراة من صفة محمد ﷺ وصدق رسالته وإظهار آية الرجم. ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ فيه إشارة إلى تأويلهم للأحكام؛ لأخذ الرشى عليها أي: لا تخفوا أحكام الله من أجل عرض من الدنيا تأخذونه، أو مجاملة لأحد منكم كما فعلتم بعدم رجم الزاني والزانية؛ لكونهما من أشرافكم كما تدعون. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ أي: إن من يعطل أحكام الله، أو يحكم بهواه فهو كافر.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من حكم بغير ما أنزل الله كالذي يحكم بهواه أو يشرع خلاف شرع الله، فهو كافر؛ فإن كان هذا الحكم عن قصد وعلم فهو كفر محض يخرج عن الملة. وإن كان عن معصية فهو ذنب أمر العفو عنه، أو عقابه إلى الله.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ

وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ ﴾ أي: وفرضنا عليهم فيها أن ﴿ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ أي: تقتص بها. ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ أي: تؤخذ بها. ﴿ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ ﴾ أي: يجدع به. ﴿ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ ﴾ أي: تقطع بها. ﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ ﴾ أي: إن كان الاعتداء كسراً كسرت السن وإن كان قلعاً قلعت. ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ أي: يتساوى بعضها في القصاص. ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ أي: من تصدق على من جنى عليه، ففي هذه الصدقة تكفير لذنوبه، وإن لم يتصدق بأن اقتص ممن جنى عليه يكون قصاصه ممن جنى عليه مقابل جنايته. ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: المعاندون لأمر الله المعارضون لأحكامه.

أحكام ومسائل الآية:

بيَّن الله تعالى أن النفس تقتل بالنفس ثم بين القصاص في أساسيات الأعضاء وهي: العين، والأنف، والأذن، والسن. ثم بيَّن أن في الجراحات

القصاص أي: تقتص الجراح بالجراح، ومن الأحكام في الآية: المماثلة في القصاص، فلا يكسر المجني عليه سنَّين مقابل سن واحدة ولا عينين مقابل عين واحدة وهكذا.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: أتبعنا أنبياء بني إسرائيل موسى ومن بعده بعيسى ابن مريم. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: متبعاً لها في أحكامه. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ أي: أنزلنا عليه الإنجيل فيه هداية وبيان. ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: إنه أنزل غير معارض لأحكام التوراة سوى أنه أباح لبني إسرائيل ما كان محرماً عليهم، وشاهده قول الله على لسانه ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[1].

(١) سورة آل عمران من الآية ٥٠ .

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: أنه أنزل؛ ليبين للنصارى طريق الهداية. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: ليعتبروا بما فيه من الأحكام: من النهي عن المحرمات.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ أي: أن هذا الكتاب أنزل على النصارى؛ ليحكموا بما أنزل الله فيه من الأحكام: والبينات والدلائل، ومنها: البشارة بنبوة ورسالة محمد ﷺ. وشاهده قول الله جل ذكره ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] والمراد به القرآن. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: أن من يحكم بهواه، ويترك ما أنزل الله من الأحكام، فهو فاسق خارج عن حكم الله معادٍ للحق، وناصر للباطل، متبع لهواه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الإنجيل مصدق للتوراة كما هو حال الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً. ومن أحكامهما أن الإنجيل أنزل على النصارى؛ ليحكموا بما فيه، ومنه البشارة بنبوة ورسالة محمد ﷺ ودينه الذي نسخ كافة الأديان، وأصبح هو المرجع في الأحكام. ومن أحكام الآيتين: أن من لم يحكم بما أنزل الله من الأحكام: يعد فاسقاً معادياً للحق، ومناصراً للباطل.

---

(١) سورة المائدة من الآية ٦٨ .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر الله أنه أنزل التوراة على موسى، وأنزل الإنجيل على عيسى وهما الكتابان الشهيران اللذين أنزلا على اليهود والنصارى ختم ذلك بذكر القرآن فقال جل ذكره ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: أنزلنا عليك القرآن يأمر بالحق، وينهى عن الباطل وفيه: الآيات، والدلائل، والبينات. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ المراد به الكتب أي: من جنسها وهي التي أنزلت على الأنبياء السابقين ومنها: التوراة، والإنجيل. ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ أي: حاكماً عليها

بصدق ما جاء فيها من عند الله، ونافياً لما دخل عليها من التحريف، أو فساد التأويل.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: احكم بين الناس كلهم بما جاء في القرآن من أحكام الله وشرعه. وقيل: إن هذه الآية نسخت قول الله ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام مخير بين الحكم بينهم، والإعراض عنهم. ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ أي: احكم بينهم بما في القرآن، واترك أهواءهم؛ فإنها ضلال وفساد. ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ أي: طريقاً يختص به. ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ وفي هذا بيان من الله أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة، يدينون بدين واحد، ويتحدثون بلسان واحد، وأحكام واحدة، ولكنه بحكمته جعل لكل رسول شريعة، كشريعة نوح، وشريعة موسى، وعيسى، وغيرها من الشرائع التي أنزلت على الرسل، ثم نسخ هذه الشرائع وجعل شريعة الإسلام شريعة لكل الناس، وجعل رسوله ونبيه محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته خاتمة الشرائع وآخرها. ﴿وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ أي: أنه لما جعل الشرائع متعددة قبل الإسلام كان من أجل اختبار من أنزلت إليهم هذه الشرائع فيحاسبهم بالحسنى على إيمانهم بها، أو بالعقاب على عدم اتباعها.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا بفعل الطاعات واتباع ما شرعه الله في كتابه العظيم، وما جاء به رسوله ونبيه محمد ﷺ.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: أن مصيركم إليه. ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سوف يجزي المطيعين له ولرسوله بما يستحقونه من الأجر العظيم وسيجزي المكذبين المنكرين للحق بالعذاب الأليم.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ كعادة اليهود في تكذيب الأنبياء والرسل ومجادلتهم بالباطل اجتمع -كما سبق ذكره- عدد من أحبارهم منهم: عبد الله بن صوريا الأعور، وكعب بن أسيد، وشاس بن قيس، وقالوا:نذهب إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه؛ فإنما هو بشر فأتوه فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وسادتهم، وإن اتبعناك سوف يتبعك اليهود وأن بيننا وبين قوم خصومة فنحتكم إليك فاقض لنا عليهم حتى نؤمن بك فأنكر رسول الله ﷺ قولهم(١). فنزل قول الله تعالى ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي: احكم بينهم بالكتاب، وبما أنزل الله إليك من شرعه. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: لا تطع ما قالوه من الهوى والضلال فحكمك يجب أن يكون بالعدل الذي بينه الله لك. ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٤٦، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٤ ص٢٧٤، وتفسير البغوي ص٣٨٢، والدر المنثور ج٢ ص٥١٤ .

﴿يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ومن ذلك إنكارهم للرجم، فاحذر إذاً كيدهم، ودسائسهم، وتدليسهم؛ فهم أعداء لك، ولما جئت به من دين الله وحاشا أن يقبل رسول الله منهم ما طلبوه منه، ولكنه تنبيه من الله لنبيه وهو في مقام الرسالة أن يكشف له نوايا هؤلاء الأحبار وأباطيلهم. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي: اعلم أن الله سوف يصيبهم ببعض ذنوبهم ومنها: إعراضهم عن حكم الله وفيه دليل على أن لهم ذنوباً كثيرة، وأن إعراضهم عن حكم الله واحد منها. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ المراد بهم اليهود وغيرهم ممن لا يقبل حكم الله ويريد التحاكم بالهوى.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ ما زال السياق في أعمال اليهود وقيل: إن اليهود أو طوائف منهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بالتفاضل بين القتلى فقال عليه الصلاة والسلام: (**القتلى بواء**)[1] أي: سواء، وقيل: إن حيين من العرب طلبوا ذلك، وقد يكون المراد أن اليهود يريدون الحكم بينهم كالحكم في الجاهلية القائم على الجهل والضلال والهوى، وأيّاً كان التأويل؛ فإن هذا عام في كل من يريد أن يحتكم إلى حكم غير حكم الله. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: لا أحد

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٩ ص٤٣٤ .

أحسن ولا أعدل من الله في حكمه، ولكن هذا لا يعرفه إلا أهل العقول الذين نوّر الله بصائرهم؛ بسبب إيمانهم فأيقنوا ورضوا بأحكامه، وتدبيره في خلقه بالعدل وأنكروا كل حكم وكل شرع يخالف حكمه وشرعه. وفي هذا روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(أبغض الناس إلى الله عز وجل ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه)**[1].

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن القرآن هو: المصدق للكتب السابقة والحاكم لها، ووجوب الاحتكام إليه وإلى سنة رسول الله محمد ﷺ في مختلف القضايا، وتحريم الاحتكام إلى ما يخالفهما من الشرائع أو القوانين. ومن مسائل الآيات: أن الحكمة من اختلاف الشرائع بين العباد قبل الإسلام هو ابتلاؤهم ليتبين من هو الذي يطيع أمر الله ومن هو الذي يعصيه. ومن الأحكام: أن ما يحصل للعباد من البأساء والضراء هو بسبب ذنوبهم. ومنها: أن أحكام الجاهلية أحكام فاسدة، وأن دين الإسلام وأحكامه هدى ورحمة للمؤمنين.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، برقم (٦٨٨٢)، صحيح البخاري ج١٢ ص٢١٩ .

﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لا توالوهم أو تنصروهم أو تستنصروا بهم أو تحابوهم أو يكون بينكم وبينهم مودة كما توادون بعضكم بعضاً؛ لأنهم على غير دينكم ولا يحبونكم كما قال تعالى ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾[1]. ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وسبب النهي عن موالاتهم هو عداوتهم للدين ومعاندتهم لرسول الله وهو معنى قوله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: أنهم يحصرون موالاتهم فيمن هم من دينهم وملتهم. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: إن من يواليهم منكم أيها المسلمون فهو منهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إنه لا يهديهم؛ بسبب كفرهم ومعاندتهم لما جاءهم به كتاب الله، وما بلغهم به رسوله، فمن يواليهم فهو في حكمهم؛ لأنه يكون ظالماً مثلهم.

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٩ .

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ المراد بهم المنافقون. ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: يسرعون في موالاتهم ومودتهم. ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: نخشى أن تدور الأيام ويكون النصر لليهود وللنصارى فتكون عندئذٍ لنا يد عندهم؛ ذلك أن المنافقين ومعهم اليهود كانوا يشكون في أمر رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه لن ينتصر. ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ أي: فتح مكة وانتصار المسلمين في معاركهم ضد المشركين. ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ قيل: المراد به الفصل في أمر اليهود. ﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ أي: عندئذٍ يندم المنافقون على ما كانوا يسرونه في أنفسهم من موالاة اليهود والكفار وشكهم في انتصار رسول الله ﷺ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ﴾ المراد أنه حينما يأتي النصر من عند الله وينهزم اليهود ومن معهم يندم المنافقون على موالاتهم لهم، وعندئذٍ يتعجب المؤمنون منهم وكيف كانوا يظهرون إيمانهم ومودتهم للمؤمنين وهم على خلاف ذلك. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ أي يقول المؤمنون: لقد حبطت أعمال هؤلاء المنافقين، فأصبحوا خاسرين في الدنيا بما أظهره الله من نفاقهم وكشف أسرارهم، وخاسرين في الآخرة بما

يجازيهم به الله من العذاب. وقد ذكر ابن إسحاق سبب نزول هذه الآيات بقوله: كانت أول قبيلة نقضت ما بينها وبين رسول الله ﷺ بنو قينقاع فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه، قال: فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: (**أرسلني**) وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً ثم قال: (**ويحك أرسلني**) قال: لا والله، لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني امرؤ أخشى الدوائر قال: فقال رسول الله ﷺ: (**هم لك**) قال محمد بن إسحاق: فحدثني أبو إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم

وقال: يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم، ففيه وفي عبدالله بن أبي نزلت الآيات في المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(١).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم موالاة اليهود والنصارى ونحوهم، ولكن هذا فيما يتعلق بأمور العقيدة؛ أما التعامل معهم في أمور الدنيا فهذا مما يجوز، ولا خلاف فيه بين المسلمين. وقد كان رسول الله ﷺ يتعامل مع اليهود رغم ما كانوا يبيتون له من المكايد والدسائس وموالاة أعدائه، ولم يتعرض لهم عليه الصلاة والسلام إلا بعدما نقضوا العهد الذي بينهم وبينه. وينبني على الحكم الأول: أن من والى الكافر على المسلم أصبح مثله. ومن مسائل الآيات: كشف سلوك المنافقين وممالأتهم لأعداء المسلمين وهذا هو شأنهم في كل زمان يظهرون مودتهم للمسلمين ومحبتهم لهم وهم على خلاف ذلك.

قلت: والبيان الذي بينه الله لرسوله محمد ﷺ في شأن أهل

(١) سيرة ابن إسحاق ج١ ص٣٩٢-٣٩٣، والآيات في سورة المائدة من الآية ٥١-٥٦ .

الكتاب والمنافقين هو نفس البيان الذي شهده المسلمون في فترات عدة من التاريخ؛ ذلك أن موالاتهم لبعضهم وعدم موالاتهم للمسلمين شيء طبيعي؛ لأن صاحب الدين لا يوالي إلا من هو على دينه، فلا يتصور إذاً أن يوالي أهل الكتاب المسلمين بل إن هذه العداوة - بكل أسف - متأصلة في النفوس وقد ظهرت آثارها فيما حدث في الأندلس بعد تشكل الدويلات الإسلامية وضعفها وتهافتها في كينوناتها، كما ظهرت آثارها في الحروب الصليبية التي دامت سنوات طوالاً، ثم ما أعقب ذلك من عهد الاستعمار القديم المتمثل في الاحتلال بالقوة وما يعقبه اليوم من الاستعمار المتمثل في الثقافة والفكر تارة، والاحتلال بالقوة لبعض البلاد الإسلامية تارة أخرى.

وكما بيّن الله أن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ يظهرون للمؤمنين أنهم منهم ثم يذهبون إلى أهل الكتاب فيمالئونهم، ويودونهم، ويؤكدون لهم مودتهم، ثم يشككون في أمر رسول الله ﷺ، فإن هذا الزمان وما قبله من الأزمنة التي كانت محلاً للصراع لم يعدم مثل أولئك المنافقين الذي كانوا في المدينة، كحال عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يكون مع العدو من يساعده من الأمة فيتلون بلون المؤمنين وهو في سريرته مع عدوها وهذا مشاهد في (العيون) التي تعمل اليوم معه ومشاهد

في (المتعاونين معه) وغيرهم من الذين يعملون لحسابه بأجر أو عن طواعية، مصدرها الحب له، والكره لدينهم، وهذا بلا شك ابتلاء؛ ليعلم الله من هم المؤمنون؟ ومن هم المنافقون؟ كما علم الله إيمان عبادة بن الصامت وعبد الله بن سلام ونفاق عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، والقول ما قاله الله عز وجل في كتابه المبين ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ المراد من يتولى عن دينه، إما أن يعود إلى الشرك كما كان عليه من قبل، أو يعتنق دين أهل الكتاب. وقد حدث في تاريخ الإسلام ارتداد بعض الأعراب وأخبر عنه الله في هذه

الآية قبل وقوعه، ففي عهد رسول الله ﷺ ارتد بنو مذحج ورئيسهم الأسود العنسي[١]. كما ارتد طليحة بن خويلد الأسدي وقومه[٢]، وارتد مسيلمة الكذاب[٣] وقومه وزوجته سجاح، وارتدت قبائل وأقوام، وقد قضى جنود المسلمين عليهم في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قيل: إن هذه الآية لما نزلت أشار رسول الله ﷺ إلى أبي موسى الأشعري فقال: (**قوم هذا**)[٤]. وقيل: هم الأنصار وقيل: هم أقوام من سائر المسلمين جاهدوا يوم القادسية وقيل: إن رسول الله ﷺ لما سئل عنهم ضرب يده على عاتق سلمان

---

(١) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي بالنون، وعنس بطن من مذحج، وكان يلقب ذا الخمار لما عاد رسول الله ﷺ من حجة الوداع وتمرض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك فادعى النبوة، وكان مشعبذاً يريهم الأعاجيب فاتبعته مذحج، وكانت ردة الأسود أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ. الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٢٠١.

(٢) طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ فكان طليحة يقول: إن جبريل يأتيني وسجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة وتبعه كثير من العرب عصبية، فلهذا كان أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطيئ. الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٢٠٦ .

(٣) هو مسيلمة الكذاب واسمه ثمامة بن قيس من بني حنيفة وفد مع بني حنيفة إلى النبي ﷺ واجتمع مسيلمة برسول الله ﷺ ثم عاد إلى اليمامة، وتنبأ، وتكذب لهم، وادعى أنه شريك رسول الله ﷺ في النبوة فاتبعه بنو حنيفة. الكامل في التاريخ ج٢ ص١٦٦ .

(٤) الدر المنثور ج٢ ص٥١٨، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٤ ص٢٨٤، وتفسير البغوي ص٣٨٥ .

الفارسي وقال: (هذا وذووه) ثم قال: (**لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجل من أبناء فارس**)(١).

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يحبون المؤمنين ويرحمونهم ويودونهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: غلاظ عليهم لا يخافونهم. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يبذلون أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله لإعلاء كلمته. ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ أي: أنهم لا يخشون ولا يخافون إلا الله، فهم بهذه الصفة خلاف المنافقين الذين يخشون الناس ولا يخشون الله. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي: إن هذه الصفة التي هم عليها كانت فضلاً من الله لهم. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: واسع في فضله، عليم بحاجات خلقه.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قيل: إن هذه الآية وما قبلها نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ من اليهود ورضي بولاية الله ورسوله -كما سبق ذكره-. وقيل: إنها نزلت في عبد الله بن سلام حيث قال لرسول الله ﷺ: إن قومنا من قريظة والنضير قد هجرونا

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ج٢ ص٢٥٥، والحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج١٠ ص٦٤، وأخرجه الإمام أحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان وقال «لو كان ...» فذكر الحديث، ج٢ ص٤١٧، والبخاري في كتاب التفسير، برقم (٤٨٩٧)، صحيح البخاري مع الفتح ج٨ ص٥١٠، برقم (٤٨٩٧). ومسلم ج٧ ص١٩١ .

وأقسموا ألا يخالطونا ولا نستطيع مخالطة أصحابك لبعد منازلهم. فأنزل الله هذه الآية فقال: رضينا بالله ورسوله(١). وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب فقد سأل سائل في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطه أحد شيئاً وكان علي قائماً يصلي وفي يمينه خاتم فأشار إلى السائل بيده حتى أخذه واستدل من قال بذلك بقول الله ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٢).

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ المراد أن من يرضى بولاية الله ورسوله والمؤمنين كما رضي بها عبادة بن الصامت وعبد الله بن سلام وغيرهم من المؤمنين فإنه سيكون من حزب الله وهذا الحزب وأهله هم الغالبون المنتصرون. وشاهده أيضاً قول الله جل ذكره ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٤٧، ومعالم التنزيل للبغوي ص٣٨٥، وزاد المسير ص٣٩٢، وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٣٠٧ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٤٨، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٤ ص٢٨٨، والدر المنثور ج٢ ص٥١٩، وزاد المسير ص٣٩٢، وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٣٠٧.

(٣) سورة المجادلة الآية ٢٢ .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بكفر من يرتد عن دين الإسلام. الحكم بأن من أحب الله أحبه، وهذا حكم عام. أما من حيث الخصوص فقد أحب الله أبا بكر الصديق وصحابة رسول الله ﷺ والأشعريين قوم أبي موسى الأشعري كما أحبوه. ومن الأحكام: أنه يجب على العبد محبة المؤمنين وإظهار عزة الإسلام على الكافرين. ومنها: فضل الجهاد في سبيل الله وعدم الخشية في قول الحق وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن الأحكام: أن من تولاه الله ورسوله والمؤمنون كانت له الغلبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾.

بيان الآيتين:

قيل: إن هذه الآية نزلت في سويد بن الحارث ورفاعة بن زيد كانا يظهران الإسلام ثم صارا من المنافقين، وكان رجال من المسلمين يوادونهم ويصاحبونهم فنزل قول الله جل ذكره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾[1] أي: أنهم لما كانوا على هذه

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٤٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص٣٩٣، ومعالم التنزيل للبغوي ص٣٨٥.

الحال من الاستهزاء بالدين فلا يجوز لكم أن توالوهم أو تصادقوهم، بل يجب عليكم البعد عنهم، وقد عمم الله الحكم بقوله ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ﴾ أي: لا توالوا أيّاً من هؤلاء؛ بسبب استهزائهم بدين الله. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في موالاة الكفار الذين اتخذوا دين الله هزواً. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم حقاً مؤمنين، فلا تتخذوا هؤلاء أولياء لكم.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ هذا بيان لما ورد في الآية قبلها عن الذين يتخذون دين الله هزواً ولعباً، وهم على وجه التحديد من الذين أوتوا الكتاب والكفار عموماً، ويدخل فيهم المنافقون، فهؤلاء إذا سمعوا النداء للصلاة سخروا منه، وإذا رأوا المصلين يركعون ويسجدون سخروا منهم. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أي: أنهم بهذا المستوى القبيح من الفعل جهلة وغفل وسفهاء؛ لأنهم لو كانوا على عقل لما استهزؤوا بنداء الله وعبادته.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم موالاة من يستهزئ بدين الله أو يسخر من عباده المؤمنين.

ومن أحكامهما أن الأذان واجب في حضر المسلمين وسفرهم؛ لأنه تنبيه للمسلمين لأداء ركن هام من أركان دينهم، وهو الصلاة ولم يترك رسول الله ﷺ الأذان في سفر ولا حضر، وكان رسول الله ﷺ إذا غزا

قوماً لم يغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً أغار بعدما يصبح[١]. وقال عليه الصلاة والسلام لمالك بن الحويرث وصاحبه: (**إذا سافرتما فأذنا وأقيما وليؤمكما أكبركما**)[٢]. قال ابن المنذر: فالأذان والإقامة واجبان على كل جماعة في الحضر والسفر؛ لأن رسول الله ﷺ أمر بالأذان وأمره على الوجوب[٣]. أما في فضائل الأذان: فما رواه أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر إلا شهد له**)[٤].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، برقم (٢٩٤٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص١٣٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الأذان في السفر، برقم ٢٠٥، سنن الترمذي ج١ ص٣٩٩، والنسائي في كتاب الأذان، باب أذان المنفردين في السفر، برقم (٦٣٣)، سنن النسائي ج٢ ص٣٣٥، والبخاري في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة، برقم (٦٣)، بلفظ قريب للترمذي، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص١٣١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٢٦ .

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأذان والسنة فيها، باب فضل الأذان وثواب المؤذن، برقم (٧٢٣)، سنن ابن ماجة ج١ ص٢٣٩ .

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية أن نفراً من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال:﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1]. فلما ذكر اسم عيسى عليه السلام جحدوا نبوته وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شرّاً من دينكم فنزلت هذه الآية ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ والمراد قل يا محمد لأهل الكتاب -اليهود- خاصة هل تسخطون علينا؛ لأننا آمنا بالأنبياء عليهم السلام؟ أي: أنه لا ذنب لنا، إلا أن آمنا بالأنبياء، وبالكتب التي

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٥٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٤ ص٢٩٢، والدر المنثور ج٢ ص٥٢٢، وزاد المسير ص٣٩٣، وتفسير البغوي ص٣٨٦، والآية في سورة البقرة الآية ١٣٦ .

أنزلت إليهم، وبالقرآن الذي أنزله الله علينا. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: إنكم بهذه النقمة علينا فاسقون وعاصون لله.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد لأهل الكتاب -وهم هنا اليهود- كيف تقولون إنكم ما تعرفون ديناً شرّاً من ديننا وأننا أقل حظاً في الدنيا والآخرة، وأنتم قد وصفكم الله بأسوء الأوصاف؛ بسبب كفركم، وضلالكم وذلك في قوله ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: من طرده وأبعده من رحمته. ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ أي: جعله مغضوباً عليه ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ أي: حولهم وصيَّرهم بهذه الصورة البشعة. ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي: وجعل منهم من عبد الطاغوت أي: الشيطان؛ فجعله إلَهاً من دون الله. ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: أن أولئك الملعونين هم في أشر مكان وهو النار. ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ أي: إنهم أضل الناس عن الطريق المستقيم فكيف تقولون هذا وأنتم قد كان منكم من وصفهم الله بهذه الأوصاف ؟

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ المراد بهم المنافقون من اليهود. قوله ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ أي: أنهم عندما يدخلون مجلس رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان، ومحبة الله ورسوله، والمؤمنين كذباً ونفاقاً، ثم يخرجون من المجلس ولم ينتفعوا بشيء مما سمعوه من التذكير والمواعظ؛ لأنهم دخلوه وهم كافرون، وخرجوا منه وهم

كافرون. ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ أي: أن الله أعلم بما في سرائرهم من النفاق وإن أبدوا خلافه.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ أي: إن هؤلاء الموصوفين بهذه الأوصاف يسارعون ﴿فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾ أي: في اكتساب الآثام والخطايا بأفعالهم ونفاقهم. ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ أي: في ارتكاب الظلم. ﴿وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾ أي: تعاطيهم للربا، وأخذهم الرشا، وما حرم الله من الأموال. ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: لبئس عملهم هذا الذي يرونه صحيحاً، وهو باطل ومردود عليهم.

﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ المراد بالذين يُنْهَونَ اليهود أي: أفلا ينهاهم الربانيون القائمون عليهم بالولاية ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ أي: العلماء منهم عن تعاطيهم لهذه الآثام والخطايا. ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ أي: لبئس عمل هؤلاء حين لم ينصحوهم ولم ينهوهم عن آثامهم وعدوانهم وخطاياهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء أدب أسلاف اليهود مع الأنبياء، ووصف أكثرهم بالفسق، وكذلك تقرير وصفهم بأكل الرشا. ومن الأحكام: ذم العلماء الذين لا ينكرون على من يفعل المنكر، ولا يبينون له وجه الحق وشاهده في هذه الآية قوله تعالى ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ أي: أفلا

ينهاهم، وهذا استفهام إنكاري عليهم ثم قال ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين سكتوا عن منكرهم وشاهده أيضاً قوله ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1]. ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2]. ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية[3] وسيأتي تفسيرها إن شاء الله.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)﴾.

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

(٣) سورة المائدة الآية ٨٠ .

بيان الآيات:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن وصف اليهود له جل ذكره بالبخل (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) والواصف بهذا فنحاص اليهودي وقد سبق أن قال: إن الله فقير ونحن أغنياء ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ دعاء عليهم بأن يغل الله أيديهم ويلعنهم ويطردهم من رحمته؛ جزاء ما قالوه. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ في هذا رد عليهم وتكذيب لهم وتقبيح لقولهم؛ فيداه عز ذكره مبسوطتان وهو المتفضل على خلقه المتكفل برزقهم لقوله عز وجل ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1]. وقوله جل ثناؤه ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2].

وقول رسوله محمد ﷺ: **(قال الله عز وجل: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك وقال: يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار. وقال: أرأيتم ما أَنْفَقَ منذ خلق السماء والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع)**[3].

---

(١) سورة الذاريات الآية ٢٢ .

(٢) سورة إبراهيم من الآية ٣٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب وكان عرشه على الماء، برقم (٤٦٨٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٠٢ .

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: أن ما آتاك الله يا محمد من نعمة النبوة والنصر والتمكين في الأرض لأمتك سوف يزيدهم حسداً وكرهاً ﴿ طُغْيَٰنًا ﴾ أي: سيتجاوزن في القول أكثر مما قالوه ﴿ وَكُفْرًا ﴾ أي: تكذيباً وجحوداً. ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: أن قلوبهم لن تجتمع على حق، بل سيظلون متباعدين فيما بينهم. وشاهده أيضاً قوله جل ذكره ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(١).

﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ أي: أنهم كلما أرادوا أن يكيدوا لك بالاتصال بالمشركين وبأعدائك للتأثير عليك وعلى رسالتك رد الله كيدهم وحاق بهم سوء صنيعهم. ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ في هذا بيان لسلوكهم بأنهم يسعون في الأرض بالفساد، وهذا لا يزال مشاهداً عبر أدوار التاريخ.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: أن الله يبغض ويمقت كل من يفسد في الأرض .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ وفي هذا يقول الله جل ذكره ورغم ما ذكرنا من سيئات أهل الكتاب، وخاصة اليهود لو أنهم آمنوا بما جاء به الرسول من البينات، واتبعوه، واتقوا الله في سلوكهم

---

(١) سورة الحشر من الآية ١٤ .

﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: لتجاوزنا عن تلك السيئات. وشاهد هذا أنه عز وجل واسع الرحمة، يحب من عباده أن يتوبوا إليه حتى يتوب عليهم ويرحمهم ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أي: ولجعلت لهم الجنة بما فيها من النعيم المقيم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ أي: لو أنهم أقاموا وطبقوا أحكامهما ومنها: ما ورد من صفة رسول الله ﷺ وبشارته. ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: القرآن. ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ أي: لأنزل الله عليهم المطر وأنبت لهم الأرض، وبارك لهم في أرزاقهم. وشاهده قوله جل ذكره ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١). وقوله ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾(٢). قوله ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: أن من أهل الكتاب من اقتصد في سلوكه فلم يقولوا في محمد أو في عيسى ما قاله غيرهم من المكذبين والمنافقين، ومن هؤلاء المقتصدين: عبدالله بن سلام وصحبه من اليهود المؤمنين، ومنهم: النجاشي من النصارى ومن كان معه من الذين آووا المسلمين ولم يقولوا فيهم سوءاً. وقيل: أريد بالاقتصاد أقوام لم يؤمنوا، ولكنهم لم يؤذوا رسول

---

(١) سورة الأعراف الآية ٩٦ .

(٢) سورة الجن الآية ١٦ .

الله ﷺ ولم يستهزئوا بالمسلمين في عبادتهم[١].

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: أن كثيراً من أهل الكتاب على خلاف الأمة المقتصدة، وقد ساء ما يعملونه من النفاق والمكايد كحال بن فنحاص وكعب بن الأشرف ومن على شاكلتهما.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء أدب أسلاف اليهود وقبح سلوكهم مع الله عز وجل ووصفه بما لا يليق بعظمته وسلطانه (تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً). تقرير عقابهم وهو الطرد من رحمة الله؛ بسبب سوء أدبهم. ومن الأحكام: إثبات صفة اليدين لله عز وجل بما يليق به دون تشبيه، أو تمثيل بأحد من مخلوقاته. ومنها: أن أهل الكتاب لو طبقوا أحكام التوراة والإنجيل لرزقهم الله أين توجهوا في البسيطة، ولو آمنوا بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ لكفر الله عنهم سيئاتهم، وقد أثنى الله على المؤمنين منهم: كعبد الله بن سلام وصحبه والنجاشي ومن كان معه ممن آووا المسلمين حين هجرتهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٤١، وتفسير البغوي ص٣٨٨ .

بيان الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ في هذا أمر من الله لنبيه أن يبلغ رسالته إلى الخلق أجمعين، إنسهم، وجنهم، مؤمنهم، وكافرهم، ذكرهم، وأنثاهم، حتى تقوم الحجة عليهم، وقد قام عليه الصلاة والسلام بهذا البلاغ خير قيام. وفي هذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب[1]. كما قالت رضي الله عنها: لو كان محمد كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾[2].

نعم: وحاشا أن يكون رسول الله ﷺ غافلاً عن مسؤوليته في إبلاغ الرسالة؛ فقد واجه في سبيلها الكثير من العنت حين حاربه قومه وبعض من خاصته كأبي لهب. كما واجه كيد المنافقين وسفاهة السفهاء وجهل الجاهلين. وفي حجته التي ودع فيها أمته قال: (**أي يوم هذا؟**) قالوا: يوم حرام. قال: (**فأي بلد هذا؟**) قالوا: بلد حرام، قال: (**فأي شهر هذا؟**) قالوا: شهر حرام. قال: (**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ برقم (٤٦١٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٢٤ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٧، والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ برقم (٧٤٢٠) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٤١٥.

كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا). فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: (**اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت**)[١].

قلت: ونحن نقول إلى يوم نلقى الله ما قاله صحابته عنه عليه أفضل الصلاة والسلام في حجة الوداع أنه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وكان لأمته خير ناصح، وكان لها خير نبي وخير أمين فنسأل الله بكل أسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجزيه عن أمته خير الجزاء، وأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة، وأن يرفعه المقام المحمود الذي وعده به.

﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ**﴾ أي: إن كتمت أي شيء مما أوحي إليك فأنت لم تبلغ الرسالة. ﴿**وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**﴾ والمراد عليك يا محمد أن تبلغ الرسالة التي أتتك وأنا حافظك ومعينك وناصرك على أعدائك فلا تخشَ أحداً غيري، ولا تخف إلا مني، ولا تحزن على ما تواجه من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين فأنت في حرز مني. وفي هذا المعنى كان رسول الله ﷺ يحرس من قبل بعض أصحابه خاصة في أول هجرته إلى المدينة، فلما نزلت هذه الآية لم يكن أحد يحرسه؛ لأن الله حرسه وعصمه من الناس. وفي هذا روى أنس أن رسول الله ﷺ كان يحرس حتى نزلت الآية

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى برقم (١٧٣٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٦٧٠.

فأخرج رأسه[١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: ما عليك إلا البلاغ؛ أما الهداية فهي من الله فهو الهادي وشاهده قوله عزوجل ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾[٢]. ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾[٣].

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن جميع الرسل ومنهم: رسول الله محمد ﷺ ملزمون بتبليغ رسالة الله إلى خلقه يبشرونهم وينذرونهم كما قال عز وجل ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٤]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٥]. وقد قام رسل الله عليهم السلام بما أوجب الله عليهم وبلغوا أممهم رسالة الله، كما قام رسول الله ﷺ بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٠٤٦)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٣٤ .
(٢) سورة الأنعام من الآية ١٠٧ .
(٣) سورة الغاشية الآية ٢٢ .
(٤) سورة النساء من الآية ١٦٥ .
(٥) سورة النحل من الآية ٣٦ .

وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: قل يا محمد لليهود والنصارى: لستم على شيء من الدين أي: لا دين لكم. ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ ﴾ أي: حتى تؤمنوا بما ورد في التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم أي: القرآن. ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ أي: أن ما آتاك الله من نعمة النبوة وآتاه أمتك من الفضل والنصر سوف يزيدهم طغياناً وكفراً أي: حسداً وتمادياً في الكفر. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: لا تحزن عليهم فهم كافرون عاصون لله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هم المسلمون ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ هم أهل التوراة ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ سبق الحديث عنهم وسيأتي مفصلا ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ أهل الإنجيل ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أي: أن كل جماعة أو فرقة آمنت بالله أي: أطاعته ووحدته وآمنت باليوم الآخر

أي: يوم القيامة وعملت صالحاً وهو كل عمل ابتغت به وجه الله فلا خوف عليهم يوم القيامة من العذاب ولا هم يحزنون على الدنيا، ولكن هذا الإيمان لا يكون صالحاً ولا متقبلاً إلا إذا كان وفق ما جاء به رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم: بكفر أهل الكتاب إلا من آمن منهم برسول الله محمد ﷺ كما قال تعالى ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾. ومن الأحكام: تقرير أن الأشقياء لا ينتفعون بالآيات البينات، بل يزدادون طغياناً. ومنها: الأمر لرسول الله ﷺ بألا يحزن على الكافرين المعاندين. ومن الأحكام: أن من آمن بالله وبالبعث وعمل الصالحات فلا خوف عليه من العذاب ولن يحزن من فراقه للدنيا.

﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ يخبر الله عز ذكره أنه

أخذ المواثيق على بني إسرائيل أن يعبدوه ويصدقوا ما أنزل إليهم من الكتاب ويؤمنوا بما فيه ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ لكي يبينوا لهم وجوب عبادة الله وطاعته وإخلاص العبادة له وحده ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: كل ما جاءهم رسول لا يوافق رغباتهم ولا يتبع أهواءهم ولا يطيع انحرافهم ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ أي: أنهم قد كذبوا عيسى وهموا بقتله لولا أن الله رفعه إليه، وقتلوا يحيى وزكريا وغيرهم من الأنبياء.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: ظنوا أنهم لن يحاسبوا ولن يلزمهم شيء مما أخذ عليهم من المواثيق كقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[1]. ﴿فَعَمُوا۟﴾ أي: عميت أبصارهم عن الحق ﴿وَصَمُّوا۟﴾ أي: صمّت آذانهم، فلا يسمعون إلا ما تمليه عليهم رغباتهم، أو يقوله لهم الفاسدون من أحبارهم. ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: غفر لهم ما كان من خطيئاتهم، ومنها: عبادة العجل وعصيان أنبيائهم ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ مرة ثانية ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: أن هذا سلوك الكثير منهم ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أنه يعرف أحوالهم وما يعملونه من المعاصي وسوف يجازيهم على سلوكهم.

(١) سورة مريم من الآية ١٨.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل أن يعبدوه ويوحدوه ويتبعوا ما أنزل إليهم من الكتاب، ومنه البشارة بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ إلى الناس كافة. ومن الأحكام: تقرير اتباع اليهود لأهوائهم فقد كذبوا فريقاً من رسلهم وقتلوا فريقاً آخر. ومن الأحكام: تقرير حلم الله عليهم؛ لأنه حليم بعباده رحيم بهم.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

أي: كفر أولئك الذين قالوا هذا القول وهم اليعقوبيون من النصارى يقولون باتحاد الأب والابن فالمسيح حسب هذا الاعتقاد الزائف هو الله (تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً) وقد رد الله عليهم بقوله ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ أي: إن المسيح الذي نسبوا إليه قولهم الباطل تبرأ منه ومنهم وقال لهم: إن الله هو ربي وربكم، فلا رب لنا غيره، وأنا لست إلا عبداً له كما قال ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾[1]. ثم بيَّن لهم جريمة اعتقادهم وبطلانه فقال ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ أي: أن من يشرك مع الله غيره سواء عيسى أو غيره فسيحرم من الجنة ويكون مصيره النار. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي: ولن يكون له نصير ولا ولي.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ المراد بهم النصارى، فكثير منهم يقولون: هناك في الكون أب وابن وروح القدس، ويؤلهون كل واحد منهم، فبيَّن الله أنهم بقولهم هذا قد كفروا وضلوا طريق الحق والهداية ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: أنه لا إلَه في الكون إلا إلَه واحد هو الله وأن من يقول خلاف ذلك يعد كافراً.

---

(١) سورة مريم الآية ٣٠ .

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: إن لم يتركوا قولهم بالتثليث ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: سوف ينالهم العذاب فإما أن يعجل لهم في الدنيا أو يؤجل لهم إلى الآخرة.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيه توبيخ وتعجيب أي: ألا يتوبون إلى الله بعد كفرهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ أي: يطلبون منه المغفرة من ذنوبهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر لعباده إذا تابوا إليه لأنه رحيم بهم.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ أي: ليس المسيح إلا أحد الرسل الذين بعثهم الله إلى الناس؛ لإبلاغهم رسالة الله بتوحيده، وطاعته واجتناب معاصيه، وتصديق رسوله محمد ﷺ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي: ما هو إلا من جنس الرسل الذين قبله فلا صفة له غير هذه الرسالة. ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: أنها مؤمنة. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ وذلك لما لهما من صفة المخلوقين في الحاجة إلى الطعام والشراب، ومن كانت هذه صفتهما فلا يمكن أن يكونا إلَهين كما زعم النصارى في جهالاتهم. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ أي: انظر يامحمد كيف نبين لأهل الكتاب الآيات الدالة على أن عيسى وأمه عبدان من عباد

الله، ثم انظر بعد هذا البيان كيف يعدلون عن الحق وينصرفون عنه إلى الباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بكفر من يدعي ألوهية المسيح أو يدعي أن الله ثالث ثلاثة. ومن مسائل الآيات وأحكامها تبرؤ عيسى وأمه من الذين ألهوهما أو قالوا فيهما خلاف كونهما عبدين من عبيد الله. ومنها: الحكم بأن عيسى عليه السلام وأمه مخلوقان مثل المخلوقين الآخرين، ولكنه رسول من رسل الله، وأن أمه صدّيقة وقد ولدته بكلمة الله. ومنها: وجوب الاستغفار والتوبة بكمال شروطها في حال المعاصي. ومنها: تقرير أن الله يبين لعباده الآيات، ومنهم من ينصرف عن الحق ويتبع الباطل.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الجاهلين: أتعبدون من دون الله ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا

﴿نَفْعًا﴾ هذا استفهام إنكاري وتوبيخ للنصارى ومن على شاكلتهم أن من يؤلهونه ويعبدونه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فمن كان على هذه الصفة فهو لا يستطيع أن يضر غيره ولا ينفعه، فالنافع هو الله، والضار هو الله، وإذا كان أحد من المخلوقين يستطيع أن ينفع في الدنيا أو يضر فيها، فهو بإرادة الله وقدره؛ أما البشر فكلهم عاجزون عن النفع والضرر. ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: هو السميع العليم الذي يملك وحده النفع والضر كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾(١).

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ هذا توجيه لرسول الله ﷺ أن يقول لليهود والنصارى: إياكم والغلو فإنه شر وفساد، وفي هذا توبيخ لهم حين غلوا في دينهم، فاليهود أفرطوا في حب نبيهم عزير فجعلوه ابناً لله وأفرطوا في كراهية عيسى، فاتهموا أمه بما لا يليق بها، والنصارى أفرطوا في حب عيسى، فجعلوه إلَهاً يعبد من دون الله ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ المراد به الغلو الباطل. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: لا تتبعوا من كان قبلكم من أحباركم وعلمائكم الذين ضلوا في أنفسهم ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ أي: أضلوا غيرهم ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي:

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٦١ .

كما أضلوا أنفسهم وغيرهم ضلوا كذلك عن اتباع ما جاء به الرسول من الهدى والحق.

أحكام ومسائل الآيتين:

التنديد بكل من يعبد غير الله؛ لأن كل الخلق لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، بل كلهم يلجأون إلى الله. ومن الأحكام: الحكم بسوء الغلو في الدين، وقد نهى رسول الله ﷺ أمته عن الغلو فيه فقال: (**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**)[1]. كما قرر عليه الصلاة والسلام أن الدين يسر وأنه لن يشاده أحد إلا غلبه[2]، ولما سمع عليه الصلاة امرأة من الليل تصلي قال: (**من هذه؟**) قالت عائشة: فلانة تذكر من صلاتها لا تنام الليل كله فكره عليه الصلاة والسلام فعلها حتى عرفت الكراهية في وجهه وقال: (**مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا**)[3]. وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) برقم (٣٤٤٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥٥١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم (٣٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١١٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، برقم (٤٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١٢٤ .

أما أنا: فأنا أصلي الليل أبداً وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: (**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**)(١). وروي أنه ﷺ قال: (**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**)(٢). ومعنى أوْغِل: أي: سِرْ فيه وبالغ مبعدا برفق.

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٣ ص١٩٩ بدون ذكر (فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهر أبقى)، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بهذا اللفظ، ج١ ص٦٢ .

بيان الآيات:

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: طردوا من رحمة الله ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ أي: كانت لعنتهم على لسان داود في الزبور، وهو الكتاب الذي أنزل عليه، وكانت لعنتهم على لسان عيسى في الإنجيل، وهو الكتاب الذي أنزل عليه وقيل: إنهم لما اعتدوا في السبت قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة. ولما كفر أصحاب عيسى بعد نزول المائدة قال عيسى: اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير[١]. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ أي: كان اللعن لهم بسبب معصيتهم وعدوانهم، ومن ضمن هذه المعصية والاعتداء تكذيبهم لأنبيائهم وقتلهم لهم كما قال عز وجل ﴿فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾[٢].

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ أي: لم يكن بعضهم ينهى البعض الآخر حين يراه يرتكب إثماً وخطيئة. وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان**

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٤ ص٣١٧-٣١٨، والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٥٢، والكشاف للزمخشري ج٢ ص٢٧٨، وزاد المسير لابن الجوزي ص٤٠١ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٧٠ .

الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع؛ فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض) ثم قال (**..كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعننكم كما لعنهم**)[1]. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أي: تعس ما كانوا يفعلونه من عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ المراد بهم المنافقون من اليهود الذين كانوا يوالون المشركين ويصادقونهم مع أنهم ليسوا على دينهم، وإنما نكاية برسول الله محمد ﷺ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تعس ما زينته لهم أنفسهم ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إن ما زينته لهم أنفسهم ستكون عاقبته سخط الله عليهم. ﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ أي: أنهم سيخلدون في العذاب بعد سخط الله عليهم.

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ أي: لو كانوا يؤمنون

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٦-٤٣٣٧)، سنن أبي داود ج٤ ص١٠٦، والترمذي في كتاب التفسير، باب من سورة المائدة، برقم (٣٠٤٧-٣٠٤٨)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٣٥-٢٣٦، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٦)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٧ .

بالله ونبيه وما أنزل إليه، وهو القرآن والوحي ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لما والوا المشركين وصادقوهم ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي: أن كثيراً من اليهود والمنافقين عاصون لله وعاصون لرسوله.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه قول الله عزذكره ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١). ومن الأحكام: وجوب ردع مرتكب المنكر حتى يتوب، فإن لم يكن بالاستطاعة ردعه وجب اجتنابه، وعدم مخالطته، وعدم محبته؛ لأن من جالسه أو أحبه صار في حكمه. وقد سبق الحديث عن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يجب على الأمة في ذلك. ومن الأحكام: تحريم موالاة من لم يؤمن بالله ورسوله وبالقرآن، ومن فعل ذلك فهو في حكمه.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ لما كان الله يعلم حال اليهود وسلوكهم، سواء مع أنبيائهم أو مع رسول الله محمد ﷺ أخبر عنهم بأنهم أشد عداوة للمؤمنين، وجعل بعدهم في العداوة المشركين عبدة الأصنام والأوثان، ثم بيَّن حال النصارى وسلوكهم فقال عز ذكره ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ والغالب في القرآن أن الذم والتشنيع ينصب على اليهود؛ بسبب سلوكهم النفسي وعداوتهم الظاهرة والباطنة للمؤمنين وحقدهم عليهم بينما ينصب الذم على النصارى؛ بسبب جهلهم ثم بين جل ذكره أن سبب مودة النصارى للمؤمنين ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: بسبب أن فيهم علماء ومتدينين ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: غير متعالين على المؤمنين ولا مبغضين لهم، وذلك على خلاف اليهود.

وقد روي في سبب نزول هذه الآية: عدة روايات فقيل: إنها نزلت في النجاشي وقومه لما وفد عليهم المسلمون في هجرتهم الأولى فراراً من ظلم المشركين(١). وقيل: إن السبب هو أن سبعين رجلاً من قوم النجاشي وفدوا على رسول الله ﷺ منهم: اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فنزلت فيهم هذه الآية(٢).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: إذا سمعوا القرآن ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ أي: من كثرته يخرج من عيونهم إلى وجوههم وفي هذا دلالة على رقتهم ﴿مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: أنهم لما عرفوا الحق من جراء سماعهم القرآن، تأثروا ففاضت عيونهم بالدمع. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ أي: أننا ياربنا آمنا بما أنزلت على نبيك محمد ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: اكتبنا عندك مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون على الناس يوم القيامة كما قال عز وجل ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٣).

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٥٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص٢، والدر المنثور ج٢ ص٥٣٨-٥٣٩، وتفسير البغوي ص٣٩٢، وتفسير البيضاوي للقاضي ناصر الدين البيضاوي ج١ ص٢٨٠.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٥٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢ ص٤، وتفسير البغوي ص٣٩٢، ومجمع التفاسير ص٣٣٥، وتفسير البيضاوي ج١ ص٢٨٠.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ قالوا ذلك في أنفسهم لما سمعوا القرآن، وفيه دلالة على استجابتهم للحق أو أن أحداً من قومهم أو من غيرهم لاموهم فأجابوه: لماذا لا نؤمن بالله وما جاء به رسوله من الحق؟ وقيل: إن قوم النجاشي لما قاموا من عند رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء به اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيّبكم الله من ركب! بعثكم أهل دينكم ترتادون لهم، فتأتونهم بخبر الرجل فلم تظهر مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركباً أحمق منكم، فقالوا: لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، أو قالوا ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وحتى تكون حجتهم أقوى في وجه الذين لاموهم ﴿ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: مع أمة محمد ﷺ التي هي على الحق وأنتم على الضلال.

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ ﴾ أي: جازاهم بإدخالهم الجنة التي ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾. ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: إن هذه الجنات جزاء للذين أحسنوا في أقوالهم، وأفعالهم، فاتبعوا ما جاءهم من ربهم على لسان رسوله ونبيه محمد ﷺ.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ المراد بهم اليهود والمشركون والنصارى، وكل من كان على ملتهم. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي:

هؤلاء هم نزلاء الجحيم وهي اسم من أسماء النار.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عداوة أسلاف اليهود والمشركين للمسلمين. تقرير أن النصارى المخلصين الصادقين في نصرانيتهم أقرب للمسلمين كما فعل النجاشي وصحبه. ومن الأحكام: ذم الكبر وأهله كما قال عز وجل في ذم أسلاف اليهود ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[١]. ومن الأحكام: تقرير ثواب الله لأهل الكتاب الذين يؤمنون برسالة رسول الله ﷺ وتقرير الوعيد بالعقاب للذين يكذبون بآيات الله وما جاء به نبيه ورسوله محمد ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: لا تحرموا أنفسكم من أكل شيء أحله الله لكم من المطعومات أو المشروبات وفي هذا المعنى روي أن رسول الله ﷺ وصف القيامة

---

(١) سورة البقرة من الآية ٨٧ .

لأصحابه فتأثروا لذلك واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على ألا يزالوا صائمين، قائمين، وألا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفرش، ولا يقربوا النساء، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: (**إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**)[١]. ونزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ أي: لا تؤذوا أنفسكم بتحريم ما أحل الله لكم، فكلوا مما أحل الله لكم دون إسراف كما قال عز وجل: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾[٢]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: يمقت من يعتدي سواء على نفسه أو غيره.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ توكيد لما ورد في الآية السابقة، والأكل يشمل كل ما يحتاجه المرء لضروراته من لباس، وفراش، وركوب، ونحو ذلك، وجاء التعبير بالأكل؛ لكونه في مقدمة حاجة المرء. ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ توكيد أيضاً لقول الله عز ذكره في الآية السابقة ﴿لَا تُحَرِّمُواْ

---

(١) الكشاف للزمخشري ج٢ ص٢٨٣، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص١٠، وأصل الحديث أخرجه البخاري - كما سبق ذكره - عن عائشة رضي الله عنها أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوا وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً وقال الآخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الآخر وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .. فقال النبي ﷺ «... فمن رغب عن سنتي فليس مني»، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٥ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: الزموا ما أمركم به من الأكل من الطيبات. ﴿ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ أي: هو الذي آمنتم به؛ لأن الخطاب جاء للمؤمنين.

أحكام ومسائل الآيتين:

لا يجوز للإنسان أن يحرم على نفسه شيئاً أحله الله من الطعام والشراب، ومن يفعل ذلك يعد معتدياً على نفسه. ومن أحكام الآيتين الأمر بالأكل من الطيبات، وهذا يقتضي تحريم كل ما خبث من الطعام والشراب.

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

بيان الآية:

قيل: إن هذه الآية نزلت في القوم الذين حرموا على أنفسهم الطيبات، فلما نزل قول الله تعالى في الآية السابقة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ قالوا: كيف نفعل بأيماننا؟ فنزل

قول الله جل ذكره ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[١] اليمين الذي يعد لغواً هو اليمين الذي لا حكم له وقد سئلت عنه عائشة رضي الله عنها فقالت: هو قول الرجل: لا والله، بلى والله[٢]. ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ المراد بالأيمان التي يؤاخذ العبد عليها هي الأيمان الموثقة ناوياً الحالف فيها ما يقول وقاصده. ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي: كفارة اليمين الموثقة في حال النكث ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ أي: بذل طعام لعشرة من المحتاجين لكل واحد منهم نصف صاع ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: من أعدل أو أقصد ما يطعم المرء أسرته؛ ذلك أن الناس يختلفون في الإطعام كثرة أو قلة، فجعل الله الإطعام في الكفارة وسطاً. ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ أي: كسوة كل واحد منهم حسبما هو معتاد لمثلهم في الزمان الذي تخرج فيه الكفارة. ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: عتق رقبة مؤمنة ذكراً كان أم أنثى ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: يصوم الحانث ثلاثة أيام متتابعة أم غير متتابعة؛ لأن اللفظ جاء عامّاً. ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ أي: إن ما ذكر هو كفارة لليمين التي نكث صاحبها ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أمر من الله تعالى لعباده

(١) معالم التنزيل ص٣٩٤، وزاد المسير ص٤٠٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ برقم (٦٦٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٥٦ .

بالبر في اليمين والمقصود: لا تكثروا اليمين؛ لما قد يكون فيها من الحنث فتأثموا وتبذلوا الكفارة. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: أحكامه وقضاءه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون تيسيره عليكم ورفع الحرج عنكم.

أحكام ومسائل الآية:

يمين اللغو هي قول الرجل: (لا والله) (وبلى والله) في حديثه وكلامه غير عاقد لليمين ولا مريد لها. والأيمان أربعة: يمينان يكفران، ويمينان لا يكفران. فاليمينان اللذان يكفران كحال الرجل الذي يحلف قائلاً: والله لا أفعل كذا وكذا، فيفعل. والرجل يقول: والله لأفعلن كذا وكذا، فلا يفعل. واليمينان اللذان لا يكفران فالرجل يحلف: والله ما فعلت كذا وكذا وقد فعل، والرجل يحلف: لقد فعلت كذا وكذا ولم يفعل[١].

والجمهور على أن اليمين الغموس يمين كذب، فلا تنعقد ولا كفارة فيها، وعند الشافعي أنها يمين منعقدة؛ لأنها مكتسبة بالقلب مقرونة باسم الله تعالى وفيها الكفارة. والأصل في تحريمها ما رواه عبد الله بن عمر قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله ما الكبائر؟ قال: **(الإشراك بالله)** قال: ثم ماذا؟ قال: **(ثم عقوق الوالدين)** قال: ثم

---

(١) سنن الدارقطني ج٤ ص١٦٢ .

ماذا ؟ قال: (**اليمين الغموس**)، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: (**الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب**)[1].

وكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين وهو مُدّ بُرّ أو ما في حكمه لكل واحد من المساكين العشرة، وإن غدّى عشرة مساكين وعشاهم أجزأه، خلافاً للشافعي الذي يرى إعطاء كل مسكين مُدّاً.

ولا يجوز دفع الكفارة إلى مسكين واحد ولا تجزئ القيمة عن الطعام والكسوة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

الخطاب للمؤمنين ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ الخمر: ما خامر العقل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم برقم (٦٩٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٢٧٦ .

أي: غطاه، والميسر: القمار، وكان الخمر والقمار من أفعال الجاهلية. ﴿وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ الأنصاب: حجارة كان المشركون يذبحون قرابينهم عندها تبركاً بها، والأزلام: قداح كانوا يستقسمون بها، وقد سبق ذكر معناها.

وقد حرم الله الخمر على نحو متدرج، فأول التحريم قوله عزذكره ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[١]. فتخلى عنها بعض الناس كراهة، وبعضهم استمر على تعاطيها بغية أخذ منافعها وترك آثامها، فصلى أحدهم الصلاة وهو في حال من شربها فقرأ القرآن خطأ فنزل قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[٢]. فتركها بعض الناس وقالوا: لا خير فيما يشغلنا عن الصلاة، واستمر البعض الآخر يشربها في غير أوقات الصلاة حتى نزل قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية، فصارت حراماً بشكل قاطع ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: أنها قذر من أقذار الشيطان ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ الضمير عائد إلى الرجس والمراد اتركوه وامقتوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢١٩ .

(٢) سورة النساء من الآية ٤٣ .

وهذا فيه حث وترغيب لهم في تركه.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ فيه بيان من الله أن الشيطان يريد إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين نتيجة تعاطيهم الخمر والميسر وغيرهما من المحرمات. وفي هذا روي أن قبيلتين من الأنصار لما شربوا الخمر وانتشوا منها عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا من نشوتهم رأى بعضهم ما فعل بالبعض الآخر فجعل بعضهم يقول: لو كان أخي يحبني ما فعل بي ما فعل، مع أنه لم يكن بينهم قبل شرب الخمر أي عداوة، فأنزل الله قوله الحق هذه الآية(١).

﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ والمعنى أن من يشرب الخمر لن يذكر الله ولن يصلي، وإن صلى لن يكون عارفاً لصلاته ولا متقناً لها. ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المعنى أنه بعدما بيَّن الله لكم أضرار الخمر وآثامها، وأنها من أفعال الشيطان، فهل أنتم تاركون لها أم أنكم ستتعاطونها كما كنتم من قبل؟ فلما نزلت هذه الآية بما فيها من الوعيد الشديد قال عمر رضي الله عنه: انتهينا(٢). وعندئذٍ أمر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٩٢، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٩٠، وزاد المسير ص٤٠٥.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٥٨، وسنن أبي داود كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، برقم (٣٦٧٠)، سنن أبي داود ج٣ ص٣٢٢، والترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٠٤٩)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٣٦ .

رسول الله ﷺ أن ينادى في أسواق المدينة: ألا إن الخمر قد حرمت، فكسرت الدنان[(١)].

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ هذا أمر بطاعة الله ورسوله في اجتناب الخمر والميسر، وعدم تعظيم الأنصاب والأزلام والحذر من عقاب الله في حال إتيان ما حرم. ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: خالفتم ما نهيتم عنه ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ما عليه إلا أن بلغكم بالتحريم، وستجزون إذا لم تجتنبوا ما حرم عليكم.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة: كيف بمن مات منا وهو يشربها ويأكل الميسر؟ فأنزل الله هذه الآية[(٢)]، والمراد ليس عليهم إثم فيما طعموه من الخمر قبل نزول تحريمها، طالما أنهم اتقوا الله وآمنوا به وصدقوا شريعته وما جاء به رسوله محمد ﷺ. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾ أي: اجتنبوها بعد التحريم ﴿وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: ثبتوا على إيمانهم وتقواهم ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ توكيد لوجوب ثباتهم وحسن أعمالهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بلفظ عن أم سليم قالت لما نزل تحريم الخمر أمر رسول الله ﷺ هاتفاً يهتف «ألا أن الخمر قد حرمت فلا تبيعوها ولا تتعاطوها ومن كان عنده منها شيء فليهرقه» ج٤ ص٩٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٢٩٣ .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم الخمر، ويشمل ذلك كل ما في حكمها من المخدرات والمفترات. الحكم بتحريم الميسر وكل ما في حكمه. الحكم بتحريم قرابين المشركين، وكل ما كان فيه تعظيم لغير الله. ومن الأحكام: بيان علة تحريم الخمر، ولعب القمار، وهي بث البغضاء والعداء بين شاربي الخمر ولاعبي القمار، وصدهم عن ذكر الله وعن إقامة الصلاة، وفي هذا كله إثم عظيم. ومنها: وجوب طاعة الله، وطاعة رسوله، والحذر من عصيان ما أمرا به وارتكاب ما نهيا عنه. ومن الأحكام: تقرير رفع الله الإثم عمن ارتكب المعصية قبل تحريمها او ارتكبها وهو لا يعلم هذا التحريم ثم تاب بعد ذلك التوبة النصوح بشروطها الثلاثة وهي: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على عدم العودة لها. وشاهده قول الباري عز وجل ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا

(١) سورة النساء من الآية ١٧ .

فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

الخطاب للمؤمنين وصحابة رسول الله ﷺ، وقد نزلت هذه الآية عام الحديبية. قوله ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ أي: كان الصيد يغشاهم في رحالهم وهم محرمون فمنه ما هو كبير، ومنه ما هو فراخ، ومنه ما ينالونه بأيديهم، ومنه ما ينالونه برماحهم، وقد حرم الله صيده ابتلاء لهم كما ابتلى الله اليهود بتحريم صيد الحيتان يوم السبت، فامتثلوا ما أمرهم الله به فكانوا خيراً من اليهود الذين عصوا أمره. قوله ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ أي: ليعلم من يمتثل أمره فيتقي الصيد ويعلم من لا يخافه فيقتله. ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: من صاد بعد أن حرم عليه ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ﴾ لما قال الله في الآية السابقة ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ خاطب المؤمنين عموماً وبيَّن لهم بشكل قاطع تحريم الصيد للمحرم بقوله ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: لا تقتلوه وأنتم في إحرامكم لحج أو عمرة ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ المراد به من يقتل الصيد وهو قاصد قتله عارف ما يفعل ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي: يكون الجزاء عليه بمثل الصيد الذي قتله ففي بقر الوحش مثلاً بقرة؛ لأنها شبيهة بها وهكذا في كل صيد مقتول يفدى بمثله ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: يحكم بالجزاء حكمان عدلان؛ ليريا ما يشبه الصيد المقتول من النعم فيحكما به.

وقد جعل الصحابة في النعامة بدنة، وفي بقر الوحش بدنة، وفي الحمامة شاة، وفي كل ما يشبه شيئاً من النعم مثله، فإن لم يوجد ما يشبهه ففيه القيمة ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي: يذبح الجزاء في الحرم، ويفرق على المساكين فيه. ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ أي: تكون الكفارة إطعام مساكين، وذلك مقابل المثل من النعم بحيث تقوم قيمة الجزاء فيشتري بها طعاماً يطعم منه كل مسكين مدّ برّ أو مافي حكمه. ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ أي: إن لم يجد فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً. قوله ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ أي: وجبت عليه العقوبة؛ لينال جزاء فعله في مخالفة أمر الله. ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: إن الله تجاوز عمن قتل الصيد في الحرم في زمن الجاهلية. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: من استمر على قتل

الصيد في الحرم بعدما علم بتحريمه فسوف ينتقم الله منه، وقد يكون هذا الانتقام في الدنيا أو في الآخرة؛ جزاء ارتكابه ما حرم الله عليه. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ أي: عزيز في ملكوته، قادر على أن ينتقم ممن يخالف أحكامه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير ابتلاء الله عز وجل لصحابة رسول الله ﷺ عام الحديبية حين كان يغشاهم الصيد بكثرته، فامتثلوا لأمر الله بعدم التعرض له. ومن أحكام الآيتين الحكم بتحريم الصيد على من هو محرم سواء كان في الحرم أو خارجه، فمن فعل ذلك فعليه جزاء مثل ما قتل من النعم كفارة لفعله، فمن صاد ظبياً أو حمامة، فعليه شاة تذبح في الحرم وتفرق على مساكينه، ولا يحكم بذلك الفاعل على نفسه، بل يحكم به عليه اثنان من العدول، فإن لم يجد من النعم ما يشبه ما قتل من الصيد ففيه القيمة، أي: تكون الكفارة إطعام مساكين بحيث تُقَوَّمُ قيمة الجزاء فيشتري بها طعاماً يطعم منه كل مسكين مدّاً من البر، فإن لم يجد فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً حسب عدد المساكين الذين يجب إطعامهم، ولا يدخل في التحريم صيد البحر.

ويجوز للمحرم قتل الفواسق من الدواب؛ لما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**خمس فواسق**

يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور)[١]. ويدخل في حكم هذه الفواسق: الحية والذئب والسبع والنمر والفهد إذا كانت عوادي؛ لما رواه أبو سعيد أن رسول الله ﷺ سئل عما يقتل المحرم ؟ فقال: **(الحية والعقرب والفويسقة ويرمي الغراب ولا يقتله والكلب العقور والحدأة والسبع العادي)**[٢].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أي: كل ما يصطاد منه من سمك ونحوه. ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ أي: ما لفظه وطرحه، وهو المشهور عن ابن عباس وقال به جمع من الصحابة. ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ أي: قوة لكم ولغيركم ممن يرتاد البحر من المسافرين، وقد سبقت الإشارة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، برقم (٣٣١٤)، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ... صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤٠٩، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم، برقم (١١٩٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٥ ص٣٢٢٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، باب ما يقتل المحرم من الدواب، برقم (٨٣٨)، سنن الترمذي ج٣ ص١٩٨، واللفظ لأبي داود في كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم من الدواب، برقم (١٩٤٩)، سنن أبي داود ج٢ ص١١٢، وابن ماجة في كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم برقم (٣٠٨٩)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٣٢ .

إلى حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث قِبَلَ الساحل وَأَمَّرَ عليهم أبا عبيدة بن الجراح وأنا فيهم فخرجنا .. فلما انتهينا إلى البحر، فإذا حوت مثل الظرب، فأكل منه ذلك الجيش ثمان عشر ليلة» الحديث[١]. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أي: حرم عليكم صيد البر ما دمتم على إحرامكم. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أمر منه جل ذكره لعباده بالتقوى أي: فيما أمرهم به من طاعته وطاعة رسوله والحذر من معصيته ومعصية رسوله وما نهوا عنه من شرب الخمر ولعب القمار وتعظيم الأوثان. ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: إليه مرجعكم ومعادكم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بحلية صيد البحر للمتحلل والمحرم سواء. وحل ما جزر عنه أو طفا عليه، خلافاً للإمام أبي حنيفة بتحريم ميتته[٢]. والأصل في حل طعامه قول رسول الله ﷺ: **(أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال)**[٣].

الحكم بكون ماء البحر طهوراً، وقد بينت ذلك السنة، فقد سأل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب حمل الزاد على الرقاب، برقم (٢٩٨٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص١٥٢ .

(٢) الاختيار لتعليل المختار للموصلي الحنفي، ج٥ ص١٥ .

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، برقم (٣٣١٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١١٠١، وأحمد في مسنده ج٢ ص٩٧ .

رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ومعنا القليل من الماء، فإن توضأنا عطشنا أفنتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**)[١].

والحكم بحل صيد البر في حال عدم الإحرام؛ أما في حال الإحرام فلا يحلّ للمحرم أكله سواء صاده بنفسه أم صيد له. والأصل فيه قول رسول الله ﷺ: (**صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصد لكم**)[٢].

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب المياه، باب الوضوء بماء البحر، برقم (٣٣١)، سنن النسائي ج١ ص١٩٢، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور برقم (٦٩)، سنن الترمذي ج١ ص١٠٠، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر برقم (٨٣)، سنن أبي داود ج١ ص٤٥، وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر برقم (٣٨٧)، سنن ابن ماجة ج١ ص١٣٦، وأحمد في المسند ج٢ ص٢٣٧ .

(٢) أخرجه النسائي في كتاب المناسك، باب إذا أشار المحرم إلى الصيد فقتله الحلال، برقم (٢٨٢٧)، سنن النسائي ج٥ ص٢٠٥، وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب لحم الصيد للمحرم برقم (١٨٥١)، سنن أبي داود ج٢ ص١١٣، والترمذي في كتاب المناسك باب ما جاء في أكل الصيد للمحرم برقم (٨٤٦)، سنن الترمذي ج٣ ص٢٠٣ .

بيان الآيات:

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: خلق هذا المكان ﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ أي: ملجأ ومقصداً وصلاحاً لهم، وقد حرم الله بيته الحرام وعظَّمه، وجعل له محبة وهيبة في نفوس الناس، فيلجؤون إليه عند فزعهم، ويعتصمون فيه عند خوفهم قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[١]. ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ المراد بذلك الأشهر الحرم الأربعة التي حرمها الله فعظمها العرب في نفوسهم، فكانوا يكفون فيها عن القتال، حتى إن الرجل يلقى قاتل أبيه أو ابنه وأخيه فلا يتعرض له. ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ أي: ما يقلد من الهدي إشعاراً بأنه مهدى إلى الحرم، والمراد أن البيت الحرام، والأشهر الحرم، والهدي، والقلائد، كانت بمثابة الولي أو السلطان الذي يحترمه الناس أي: أنهم يحترمون هذه الشعائر مما يتيسر لهم في البيت الحرام وما حوله من الأمن والرخاء.

وحرمة البيت الحرام معروفة من الدين بالضرورة، وشاهده قول رسول الله ﷺ: **(إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يعضد بها شجراً فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فيها فقولوا له إن الله أذن لرسوله ولم**

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٦٧ .

يأذن لكم وإنما أذن له فيه ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب)(١).

﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أن ذلك الذي ذكره الله ليعلم المخاطبون أنه يعلم ما في السموات والأرض ويعلم أحوالهم، وما تقتضيه مصالحهم، وحاجاتهم من الأمن وغيره. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: ليعلموا كذلك أنه يعلم كل شيء.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ أي: وكما تعلمون أن الله يعلم ما في السموات والأرض فاعلموا أنه شديد العقاب لمن خالف شرائعه، وأنه غفور رحيم لمن يطيعه ولا يعصيه.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ أي: ليس على الرسول إلا أن يبلغكم ما أرسل به وعندئذٍ تقوم الحجة عليكم. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ أي: يعلم ما تعلنونه ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ أي: ما تسرونه في أنفسكم فلا يخفى عليه منكم خافية.

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يقول للناس ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ فبينهما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب (٥١)، برقم (٤٢٩٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٧ ص٦١٤.

فرق كبير، فالحلال لا يستوي مع الحرام، والدين الصحيح لا يستوي مع المعتقدات الفاسدة، والكلام الطيب لا يستوي مع الكلام البذيء. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ أي: إن المهم ليس في الكثرة بل في العمل الطيب، فالمؤمنون وإن كانوا قلة خير من الكافرين وإن كانوا كثرة، والمال الحلال وإن كان قليلاً خير من المال الحرام وإن كان كثيراً وهكذا. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: اخشوا الله واتقوه يا أصحاب العقول السليمة واجتنبوا كل خبيث من المال وغيره. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: تفوزون في دنياكم وأخراكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير منة الله تعالى على عباده أن جعل بيته الحرام مقصداً لهم، وأمناً وصلاحاً لهم وجعل في قلوبهم هيبة واحتراماً له. ومن الأحكام: تقرير أنه ليس على رسول الله ﷺ إلا إبلاغ الرسالة إلى الخلق، وقد فعل ذلك عليه الصلاة والسلام وأشهد الله ثم أشهد العباد يوم حجة الوداع على ما قام به من البلاغ. ومن أحكام الآيات الحكم بعدم المساواة بين الحلال والحرام مهما كانت كثرة الحرام، وينبني على هذا فسخ البيع إذا كان منشؤه فاسداً كالربا، أو الرشا، أو الغش، أو الخداع، أو أي صورة من صور الفساد المانع من الحل.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ (١٠١) قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ (١٠٤) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ في هذا نهي لأصحاب رسول الله ﷺ عن سؤال ما لا يلزم السؤال عنه حين أكثروا السؤال دون ضرورة له، وفي هذا: روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل منهم: من أبي ؟ ويقول الرجل الذي ضلت ناقته: أين ناقتي؟ [(١)] كما روى علي رضي الله عنه أنه لما نزل قول الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾[(٢)]. قالوا: يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت فقالوا في كل

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ برقم (٤٦٢٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٣٠ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٩٧ .

عام ؟ قال: (**لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقوموا بها ولو لم تقوموا بها عذبتم**) فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]. فاقتضى هذا ذم السؤال من غير لازم. وشاهده أيضاً قول رسول الله ﷺ: (**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**)[2].

﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي: وإن تسألوا عن أشياء حين ينزل القرآن تبد لكم تكاليف وتؤمروا بالقيام بها رغم صعوبتها عليكم، وعندما تعجزون عنها يعاقبكم الله والمراد أن الأفضل لكم ألا تسألوا عمّا لا حاجة ولا ضرورة لكم في السؤال عنه. ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: عفا الله عما سألتم عنه مما لا حاجة لكم فيه. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: يغفر الخطايا والسيئات ومن صفاته العلية أنه حليم عليكم فيما يصدر عنكم من كثرة السؤال.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ أي: قد سأل عن هذه الأشياء قوم قبلكم ففرضت عليهم فلم يطيقوها ثم أصبحوا بعدم القيام بها كافرين؛ ذلك أنهم سألوها على وجه التنطع

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب فرض الحج ص٢٨٨٤-٢٨٨٥، سنن ابن ماجة ج٢ ص٩٦٢، والنسائي في كتاب المناسك، باب وجوب الحج برقم (٢٦١٨)، ج٥ ص١١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال، برقم (٢٤٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص٨٣ .

والتكلف، ولم يسألوها على وجه الاستفادة. وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**إن أعظم المسلمين من المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من أجل مسألته**)[١].

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: ما شرع وحكم ﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ البحيرة: التي يمنح درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يطلقونها من قيدها احتراماً لآلهتهم لا يحمل عليها شيء وفي هذا روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب**)[٢]. والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل أنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينها ذكر. والحامي: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي[٣].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ أي: إن هؤلاء المشركين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لايعنيه، برقم (٧٢٨٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٢٧٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، برقم (٤٦٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٣٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، برقم (٤٦٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٣٢ .

ابتدعوا هذه الأشياء من عند أنفسهم ومن تقاليدهم وعاداتهم الفاسدة افتراءاً وكذباً على الله وما ذلك إلا لأنهم لا يعقلون ولو كانوا عقلاء لما فعلوا ذلك ونسبوه إلى الله كذباً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: إذا قيل لهم اتبعوا شرع الله وأحكامه فخذوا ما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه. ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي: نحن في غنى عن دعوتكم، ويكفينا ما كان عليه آباؤنا وأسلافنا؛ لأنهم كانوا على حق. ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي: أنهم يتبعون أهواء آبائهم وأسلافهم، ولو كانوا على باطل فلا يعلمون من الحق شيئاً ولا يهتدون إليه.

أحكام ومسائل الآيات:

عدم جواز التنطع في السؤال؛ لقول رسول الله ﷺ: (**هلك المتنطعون**)، قالها ثلاثاً[1]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**)[2]. ومن الأحكام: الحكم بتحريم الابتداع في الدين والحكم بأن كل عمل لا يرجع فيه صاحبه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، برقم (٢٦٧٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٧٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال وقول الله تعالى (والله لا يحب الفساد)، برقم (٢٤٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص٨٣.

إلى أحكام الله وشرعه فهو مردود عليه، وأن المبتدعين في الدين لا يعقلون؛ لأنهم لو كانوا عقلاء لما نسبوا إلى الله الكذب. ومن الأحكام: تحريم اتباع المبتدعين والجهلة فيما يدعون إليه من البدع والكذب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾.

بيان الآية:

الخطاب للمؤمنين ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: عليكم الاهتمام بأنفسكم وإصلاحها بالإيمان والتقوى والأعمال الصالحة. ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ أي: من ضل عن دينكم، ولم يهتد بالهدى الذي جاء به رسولكم لن يضركم؛ لأنه لا يضر إلا نفسه ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ إلى الصراط المستقيم، وشاهده أن المؤمنين كانوا يتحسرون على أهل الكفر الذين لم تنفعهم المواعظ وكانوا يتمنون دخولهم الإسلام فخاطب الله المؤمنين بأن عليكم بأنفسكم ولن يضركم ضلالهم إذا كنتم مهتدين.

ولما كان بعض الصحابة يتأول الآية على غير حقيقتها خطب أبو بكر فيهم فقال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن الناس إذا**

رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه)[١].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: إليه مآلكم ومعادكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف تجدون حينئذٍ كل شيء مكتوباً لكم أو عليكم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم أنه يجب على العبد أن يطهر نفسه في مطعمه ومشربه، وأن يزكيها بالأعمال الصالحة وينقيها من أدران الآثام والمعاصي، ومن مسائل الآية: أن فساد الناس لا يضر العبد، ولكن ذلك لا يعني سكوته على المنكر، بل يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - حسب قدرته - فإذا فعل ذلك انتفت مسؤوليته فلا يضره إذاً فساد الناس. ومن أحكام الآية: تقرير البعث والنشور ومجازاة العباد بأعمالهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٤) سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٧، وأحمد في المسند ج١ ص٢، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٨)، بلفظ: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه..»، سنن أبي داود ج٤ ص١٧، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، برقم (٢١٦٨)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٠٦ .

فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

بيان الآيات:

ما زال السياق في مخاطبة المؤمنين؛ لإرشادهم لاتباع أحكام الله وأوامره ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ﴾ أي: أنه إذا حضر أحدكم الموت عليه أن يشهد على وصيته اثنين ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: من المسلمين من أقاربكم أو من غيرهم. ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ﴾ أي: ويجب عليكم الإشهاد على وصيتكم اثنين من غير المسلمين إذا كنتم في سفر ولم تجدوا مسلمين يشهدون عليكم. ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: بعد صلاة العصر حال اجتماع المسلمين، فإذا ارتبتم في عدالتهما وصدقهما ﴿فَيُقْسِمَانِ

﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾ أي: يحلفان أنهما لم يشتريا بأيمانهما ثمناً قليلاً، أي: أنهما لم يخونا في شهادتهما ولم يشتريا بها عرضاً من عروض الدنيا. ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ أي: ولو كان المشهود عليه ذا قرابة لنا لن نحابيه. ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ولا نكتم الشهادة لأنها أمانة. ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾ أي: إذا كتمناها فسنرتكب إثماً وخطيئة.

﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ فإن تبين أن هذين الشاهدين كذبا في شهادتهما، أو خانا الموصي بأن سرقا شيئاً من ماله ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ أي: يقوم اثنان من المستحقين للتركة ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي: أن شهادتنا عليهما بالخيانة والسرقة أصح وأثبت من شهادتهما ﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾ أي: أننا لم نعتد عليهما في اتهامنا لهما بالخيانة والسرقة ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إننا لو كذبنا عليهما فيما قلناه سنكون من الظالمين.

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾ أي: أقرب أن تكون شهادتهما صادقة، لا كذب ولا خيانة فيها ﴿أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ﴾ أي: أن يكون دافع هذين الشاهدين بالإتيان بالشهادة على

وجهها الصحيح خوفهم من الفضيحة إذا كذبوا.﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أقوالكم وأيمانكم. ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ ما أمركم الله به من الأحكام. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي: لا يهدي الذين أمرهم بالهدى فلم يهتدوا، وأمرهم بالحق فلم يمتثلوا.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام الحث على الوصية في حضر العبد وسفره، وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**)[1]. ومنها: الحكم بوجوب الإشهاد على الوصية، ويجوز للحاكم تحليف الشهود إذا شك في شهادتهم. ومنها: الحكم بجواز شهادة غير المسلم. ومنها: جواز إشهاد غير المسلم على وصية المسلم إذا تعذر وجود شاهد مسلم.

﴿۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾.

بيان الآية:

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: يوم القيامة، فيفزعون فيقول لهم ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾ أي: ماذا أجابكم الأمم التي أرسلتم إليهم. وشاهده

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ «وصية الرجل مكتوبة عنده»، برقم (٢٧٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٥ ص٤١٩ .

أيضاً قوله عز ذكره ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(١). ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ أي: يقولون إن علمنا قاصر عن علمك الواسع، فنحن نعلم ما ظهر منهم من قبول الدعوة أو إنكارها؛ أما سرائرهم فأنت أعلم بها منا ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ أي: أنت عالم الغيب المحيط بكل شيء من أفعال عبادك. وشاهد هذا قول رسول الله ﷺ في شأن الكوثر: -كما سبق ذكره- (**هو حوض ترد عليه أمتي فأقول رب أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**)(٢).

أحكام ومسائل الآية:

تقرير عظم يوم القيامة ومافيه من الأهوال التي يذهل لها العباد بما فيهم الرسل عليهم السلام فيسألهم الله جل جلاله - وهو أعلم بهم - عما أجابهم الذين دعوهم إلى عبادته وتوحيده فيجيبون بلسان واحد عما ظهر لهم من أقوامهم من قبول دعوتهم، أو إنكارها؛ أما سرائرهم فلا يعلمونها وإنما يعلمها هو جل ثناؤه.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ

(١) سورة الأعراف الآية ٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، برقم (٤٠٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص١٥٥٣ .

مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

بيان الآيتين:

لما بيَّن الله في الآيات السابقة حال عيسى وأنه عبد من عبيده وأن من يقول بألوهيته أو يجعله ابناً أو شريكاً له يعد كافراً، بيَّن عز ذكره أنه يخاطب عيسى بقوله ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ أي: اذكر ما أنعمت به عليك من الكرامات فقد خلقتك بكلمة وبدون أب خلافاً للمعتاد في سائر خلقي وجعلتك نبياً وأنطقتك في المهد. ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ حيث برّأتها مما نسبه لها اليهود وطهرتها واصطفيتها على نساء العالمين. ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي: جبريل ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أي: كلمت الناس وأنت طفل صغير، خلاف الآخرين الذين لا يتكلمون في هذه السن وكهلاً، أي: كما كلّمت الناس في المهد، كلّمتهم وأنت كهلٌ تدعوهم إلى الله. ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أي: علمتك الكتاب والحكمة أسرار الدين والتوراة التي أنزلت من قبلك على موسى

كما علمتك الإنجيل الذي أنزل عليك. ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ أي: علمتك كيف تصور وتُشَكِّل من الطين على هيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيراً. ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ أي: تبرئ بإذني الأكمه أي: الذي ولد أعمى والأبرص من به مرض البرص وهو بياض تحت الجلد. ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ أي: تخرجهم من قبورهم أحياء، حيث قال له بنو إسرائيل ناد سام بن نوح فوقف على قبره، فناداه فقام حياً. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: منعتهم من إيذائك حين اتهموك بأنك ساحر وحاولوا قتلك فرفعتك إلي.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ الحواريون أنصار عيسى وأتباعه، والوحي الإلهام، وليس بالمعنى الذي يوحي به إلى الملائكة والمراد ألهمتهم أن يؤمنوا بك ويصدقوك ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ أي: قالوا لله: اشهد بأننا مسلمون.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام تقرير إنعام الله وفضله على عيسى ابن مريم عليه السلام بما أعطاه من المعجزات دلالة على نبوته. ومنها: أن المراد

بالوحي الذي أوحاه الله إلى الحواريين الإلهام، وليس بمعنى الوحي الذي يوحي به إلى الملائكة والرسل.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (١١٥)﴾.

بيان الآيات:

المائدة هي الخوان الذي يوضع عليه الطعام، وهذه من الكرامات التي امتن الله بها على عيسى حين سأله أتباعه أن ينزلها عليهم فنزلت، وبها سميت هذه السورة. ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ أي: أتباع عيسى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: يكون فيها طعام نأكل منه كل يوم لحاجتنا إليه ﴿قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا جواب استغراب منه أن يسأل ربه هذا السؤال فقال لهم: اتقوا الله واعملوا واحصلوا على معاشكم من

جهدكم وعملكم، فلم يقتنعوا بكلامه فقالوا ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: نحن في حاجة إلى الأكل منها، وهذا يدل على فقرهم وعوزهم ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ أي: حين نراها تنزل من السماء ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي: يزداد إيماننا برسالتك ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: نشهد أنك نبي وأن الله أرسلك إلينا.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ لما ألحُّوا على عيسى بهذا السؤال، سأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء قوله ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي: تكون لنا مناسبة ﴿لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي: من يأتي بعدنا فقيل: إنها نزلت عليهم يوم الأحد، فلهذا جعل النصارى يوم الأحد عيداً لهم[١]. ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ أي: قال عيسى في دعائه، وأن تكون هذه المائدة آية أي حجة عليهم ﴿وَارْزُقْنَا﴾ أي: امنن علينا بفضلك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: أنت خير المتفضلين.

﴿قَالَ اللَّهُ﴾ هذا جواب من الله عز وجل لعيسى، قائلاً له ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ فكان وعداً منه جل ذكره وقد أنزلها عليهم لحماً وخبزاً[٢]. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أي: فمن جحدها أو كذبها من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ص٤٢٠.

(٢) تفسير البغوي ص٤٠٨، وزاد المسير ص٤٢١، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم (٣٠٦١)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٤٢.

أتباعك وأمتك ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: سأذيقه عذاباً شديداً لا أعذب به أحداً في زمانكم. وقد كفروا بها حين قال بعضهم: أهي من طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ قال عيسى: أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون من الآيات وتنتهوا عن تنقير ما أخوفني أن تعذبوا. وقد عذبوا كما ورد في الأثر أنهم مسخوا قردة وخنازير(١).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سوء سلوك الحواريين؛ بسبب سؤالهم إنزال مائدة من السماء عليهم؛ لكي يصدقوا نبوة عيسى ورسالته واستنكاره عليه السلام لسؤالهم وتوجيهه لهم أن يتقوا الله إن كانوا حقاً مؤمنين ومن مسائل الآية: استجابة الله عز وجل لعيسى حيث أنزل على قومه المائدة ابتلاء لهم، ولما شكوا فيها حين تساءلوا عما إذا كانت من طعام الدنيا أم من طعام الجنة مقتهم الله.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١١٢، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص١٣٦، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم (٣٠٦١)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٤٢ .

مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لما كان عيسى عليه السلام قد أرسل إلى قوم لم ينتفعوا بما أتاهم به من الهدى، وإنما ضلوا فأشركوه وأمه مع الله فيناديه الله يوم القيامة بقوله: هل قلت للناس اتخذوني وأمي إلَهين من دون الله؟ والمراد منه إقامة الحجة على النصارى الذين قالوا بألوهيته هو وأمه فيكون جوابه عليه السلام ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: إنه يستغفر الله ويقول لربه: حاشا أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها، فأنت الرب، وأنت الإلَه، وأنت الخالق، وأنا عبد من عبيدك. ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ أي: إن كنت قلته فأنت أعلم به، والله يعلم أنه لم يقله؛ لأنه مجرد رسول يبلغ الرسالة، وحاشاه وهو بهذه الصفة أن يدعي ما كذب به عليه النصارى، ولكن الله عز ذكره أراد أن يوبخ النصارى على شنيع فعلهم. ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ الجواب متصل

من عيسى لربه يقول فيه: أنت يارب تعلم ما في نفسي وما كنت أجهر وأسر به، ولكني لا أعلم ما في نفسك؛ لأني لست إلا عبداً من عبيدك لا حول لي ولا طول إلا ما امتننت به علي ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ أي: أنت الذي تعلم ما كان في الكون كله، وما يكون فيه.

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ أي: ما قلت لهم إلا ما أمرتني أن أقوله وهو ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ أي: اعبدوه وحده لا شريك له، لا رب غيره، ولا إله سواه ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ أي: كنت رقيباً وحفيظاً عليهم وقت وجودي لديهم، وذلك بما أمرتهم به مما أمرتني به. ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ وفي هذا روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً بموعظة فقال: (**يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً** ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[١] **ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح** ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٠٤ .

أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)[1].

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ لما قال عيسى عليه السلام: إنه كان الرقيب عليهم قبل وفاته قال لربه: هؤلاء الذين عصوك هم عبادك فإن عذبتهم فأنت ربهم ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: القوي فيما تريد وتفعل وأنت ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في قولك وفعلك. وفي قوله عليه السلام في مناجاته لربه براءة من عصيان قومه وقيل: إن قوله هذا هو على وجه التسليم لأمره والاستجارة من عذابه[2].

أحكام ومسائل الآيات:

إقامة الحجة على النصارى يوم القيامة، وذلك ببراءة عيسى وأمه عليهما السلام منهم وإنكاره لما يقولونه من تأليهه وأمه مع الله أو إشراكهما في ربوبيته. ومن مسائل الآيات وأحكامها: أن عقاب العباد أو العفو عنهم راجع لمشيئة الله وحكمته وإرادته فيهم، فهو العليم بأحوالهم وسرائرهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، برقم (٤٦٢٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٣٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٧٨ .

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

بعد مناجاة عيسى لربه أجابه عز وجل ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ﴾ أي: هذا اليوم -يوم القيامة- هو اليوم الذي ينفع المؤمنين إيمانهم وتوحيدهم وطاعتهم لربهم، فلهم على ما عملوا ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ﴾ أي: سيدخلون الجنة ويكون لهم الخلود فيها. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: رضي عنهم بما امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ أي: بما أثابهم على عملهم من دخول الجنة والخلود فيها. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: هذا الذي آل إليه المؤمنون هو الفوز الذي لا أعظم منه وهو رضوان الله عليهم.

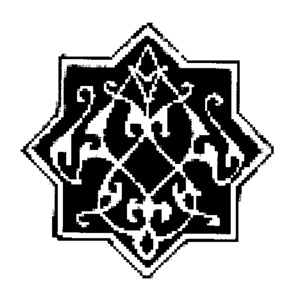
﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ﴾ لعل المراد أن النصارى لما جعلوا عيسى إلَهاً رد الله عليهم به بأنه هو المالك المطلق للسموات والأرض ومن فيهن، وهو المتصرف الدائم الذي لا يزول ولا يحول،

وكل الخلق ومنهم عيسى تحت مشيئته وحكمه وتصرفه وإرادته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: هو القادر على كل شيء فتقدست أسماؤه وصفاته، وجل جلاله لا إلَه إلا هو.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الصدق وفيه قول رسول الله ﷺ: (**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً**) الحديث[1].

والحكم بأن الله مالك السموات والأرض وكل من فيهما وما بينهما فهو المعبود وحده فمن عبد غيره فقد خاب وخسر في الدنيا والآخرة.



(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٢٦٠٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٦٣٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام

مكية وعدد آياتها مائة وخمسة وستون آية

وقيل: إن بعضها نزل في المدينة[١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحكم بأن الحمد لله عز وجل المتفرد بالألوهية فلا يحمد أحد بحق سواه. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في هذا بيان عن قدرته في خلق السموات والأرض على النحو المحسوس المتجلي في هذا الكون بآياته من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وكل ما فيه من الآيات البينات الدالة على قدرته وصنعه. ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ المراد بالظلمات سواد الليل والمراد بالنور بياض

---

(١) غالب آيات هذه السورة عن المشركين وكونهم يعدلون مع الله غيره وفيها يبيِّن الله تعالى قدرته، ويسلي نبيه ورسوله محمداً ﷺ عما يتعرض له في سبيل الدعوة إليه.

النهار وضوءه وقد خصهما الله بالذكر بعد ذكر خلق السموات والأرض؛ ذلك أنهما من المحسوسات البينة التي يشهدها المرء فعلاً حين يتعاقب عليه الليل والنهار فلا يستطيع إنكارهما. ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: ومع هذه البينات المعجزات الدالة على قدرة الله وصنعه ونعمه على خلقه يجعل الكافرون معه عدلاً أي: شريكاً مُساوياً.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ المراد به آدم خلقه الله من طين ومنه تناسل الخلق وشاهده أيضاً قوله جل ذكره ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾[1]. ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾. ﴿أَجَلًا﴾ أي: أجل كل نفس وشاهده قول الله جل ذكره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أي: يوم القيامة سماه الله فلا يعلمه إلا هو كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[3]. ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي: أن الذين يعدلون بربهم يشكون في أمر الساعة.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ أي: هو القائم بتدبير السموات والأرض وكل ما فيها من المخلوقات. ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾

(١) سورة غافر من الآية ٦٧.
(٢) سورة الأعراف الآية ٣٤.
(٣) سورة لقمان من الآية ٣٤.

أي: وهو في هذا المقام من التدبير والتصرف في خلقه يعلم ما تسرون في أنفسكم من الإيمان أو الكفر ويعلم ما تجهرون به في أقوالكم وسائر تصرفاتكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أي: مطلع على ما تكسبونه من خير أو شر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الحمد لله وحده، وهذا يقتضي أن يحمده العباد حق حمده ويشكروه حق شكره على ما أنعم به عليهم من النعم العظيمة. ومن الأحكام: تقرير قدرة الله عز وجل في خلق الكون وخلق الخلق وتقدير أرزاقهم وآجالهم. ومنها: إنكار الله على الذين يعرفون قدرته ويرونها في أنفسهم، ويعرفون أنه يعلم سرهم ونجواهم، ومع ذلك يشركون معه أصنامهم وأوثانهم التي لا تملك لنفسها ولا لهم ضراً ولا نفعاً.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

بيان الآيات:

السياق في المشركين الذين يعدلون بربهم. قوله ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ ﴾ أي: وما يرونه من آية من آيات الله كخسوف القمر أو كسوف الشمس، أو الرياح الدالة على تدبير الله ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ أي: لا يبالون بها ولا يتعظون بها.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ومع إعراضهم عن الآيات كذبوا بالحق أي: القرآن الذي جاء به إليهم رسول الله محمد ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ في هذا تهديد شديد لهم أي: سوف ينالهم العقاب لقاء استهزائهم بالقرآن وبما جاءهم من البينات.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ ما زال السياق في المشركين وكفرهم وجحودهم لآيات الله والمراد بالقرن الأمة، والمعنى ألم يعتبروا بما أهلكنا من قبلهم من الأمم ﴿مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ أي: من القوة في الأموال والأولاد وبسط الرزق في الأرض ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾ المراد به إنزال المطر الكثير والمتكرر ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ﴾ أي: كانت مياه الأنهار تجري في حقولهم وبساتينهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي: بسبب ذنوبهم وكفرهم بالله. ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ أي:

لما أهلكناهم جعلنا من بعدهم أناساً آخرين والمراد تحذير المشركين عما سيبصيبهم من العذاب والهلاك مثلما أصاب الذين من قبلهم وكانوا أكثر وأشد منهم قوة.

أحكام ومسائل الآيات:

التنديد بمن يعرض عن آيات الله أو يكذب بالحق أو يستهزئ به، وتقرير ما سيناله من العقاب، وهذا يشمل كل من يفعل ذلك في أي زمان أو مكان. ومن مسائل الآية: وجوب الاعتبار بما حل للأمم السابقة من الهلاك؛ بسبب إعراضهم عن الحق الذي جاءت به رسلهم.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ﴾ أي: لو نزلنا عليك يامحمد كتاباً في قرطاس أي: ورق الكاغد ونحوه فوضعناه أمامهم

﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: أمسكوا به حساً وشاهدوه بأعينهم ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: المشركون ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: إن هذا سحر وليس كتاباً في قرطاس. وشاهد هذا قول نوفل بن خويلد وعبدالله بن أبي أمية والنضر بن الحارث ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[١]. ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾[٢]. كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ما زال السياق في المشركين فمع طلبهم أن تفجر لهم الأرض ينابيع حتى يؤمنوا قالوا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي: لو جاء مع رسول الله محمد ﷺ ملك نراه ونشاهده والجواب عليه قول الله جل ذكره ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: إن الله لا ينزل إلى البشر ملكاً، فلو أنزل ملكاً أنزله في صورة رجل كحال جبريل حين ينزل بالوحي، ولو أنزل الله ملكاً ثم لم يصدقوه لأهلكهم؛ لأن حكمته اقتضت أن من طلب آية فجاءته ثم لم يؤمن ولم يصدق بها أهلكه الله كما حدث للذين نزلت عليهم المائدة ثم تساءلوا بينهم أهي من طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ فكفروا بها فمسخهم الله قردة وخنازير كما قال عز وجل ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٩٠. وانظر: تفسير البغوي ص٧٥٨، وزاد المسير ص٨٣١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩١.

مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]. ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ أي: أن الملائكة خلقوا من نور، فلا يستطيع البشر أن يروهم إلا بعد أن يكونوا على صورة رجال. ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ أي: لو جعلنا الملك الذي ينزل عليهم رجلاً لألبس عليهم وقالوا: هذا مثلك يا محمد، والمراد أنهم مكذبون لرسول الله لا تنفع فيهم المواعظ، ولا يستدلون بالآيات.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ أن قوماً مثل هؤلاء المشركين قد استهزؤوا بالرسل الذين أرسلوا إليهم ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم ﴾ أي: حل بالذين سخروا واستهزؤوا ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: حل بهم العذاب جزاء فعلهم.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يقول لهؤلاء المستهزئين المكذبين لآيات الله ورسوله ﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾ أي: تدبروا واعتبروا بما حدث للأمم التي كذبت رسلها ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أي: كيف أهلكهم الله بسبب

---

(١) سورة المائدة من الآية ١١٥ .

ذنوبهم وتكذيبهم لرسلهم وأنتم لن تكونوا أحسن منهم إذا استمررتم على شرككم وكفركم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الذين ضلوا في أنفسهم واستمرؤوا الشرك والكفر لا يصدقون بالآيات، فلو أنزلت عليهم آية لأولوها على غير حقيقتها وحينئذٍ يهلكهم الله؛ لأن حكمته اقتضت إهلاك من يطلب آية ثم لا يؤمن بها. ومن مسائل الآيات: أن الله لا يرسل إلى الخلق رسلاً من الملائكة؛ لأنه لو أرسلهم لقالوا نريد أن يكون بشراً مثلنا؛ لهذا فقد اقتضت حكمته أن يكون الرسل من بين الأمم أنفسهم. ومنها: أن تكذيب الرسل والاستهزاء بهم سمة عامة في الأمم، وقد أمر الله رسله بالصبر في دعوتهم كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]. ومن أحكام الآية: وجوب الاعتبار بما حل بالأمم الماضية من الهلاك والعذاب بسبب كفرهم.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: قل لهم يا محمد: لمن مافي السموات والأرض؟ فإن أجابوك بأن قالوا: لمن هو؟ فقل لهم ﴿لِّلَّهِ﴾ فإن اعترفوا أو سكتوا، فالحجة قائمة عليهم. ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: فرض على نفسه ألا يعجل لهم العذاب بل يعطيهم مهلة؛ ليتفكروا ويتدبروا كما قال عز ذكره ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١). قوله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اللام للقسم، والمراد أن الله سوف يجمعهم يوم القيامة بلا ريب ولا شك فينبئهم بما كانوا يعملون من السيئات ويجزون عليها. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المراد أن الذين ضيعوا أنفسهم بالشرك وبالمعاصي لا يصدقون بيوم القيامة.

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٤ .

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ لما ذكر الله جل وعلا أن له ما في السموات والأرض، وأنه كتب على نفسه الرحمة وسيجمع الخلق يوم القيامة للحساب والجزاء، بيَّن أن له كل ما سكن في الليل والنهار، فكل سكون في الليل، أو حركة في النهار هو بتدبيره وحكمته. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ أي: السميع لعلانية العباد، العليم بسرهم. ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ المراد أن رسول الله ﷺ لما جاء إلى المشركين بالرسالة كذبوه، ودعوه إلى عبادة أوثانهم فأمره الله أن يقول لهم: حاشا أن أتخذ إلَهاً غير الله فهو المعبود وحده، وكل عبادة غيره باطلة. وشاهده أيضاً قوله عز وجل ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾[1]. قوله ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مكونهما ومبدعهما وصانعهما، فلا أعبد إلا هو ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ أي: هو الذي يعطي ولا يُعْطى، ويَرزق ولا يُرْزق. ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ﴾ أي: إني مأمور من الله عز وجل أن أستسلم له بالطاعة والامتثال لأمره والتبرئ من الشرك وأهله. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: وإني مأمور ألا أكون من المشركين، بل أتبرأ منهم.

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ أي: إن الله أمرني أن أستسلم

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٤.

له وألا أكون من المشركين، فإن عصيته فإني أخاف ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: أخاف وأخشى أن يعذبني يوم الحساب والجزاء.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: من يصرف الله عنه العذاب يوم الحساب والجزاء ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ أي: غفر له وعفا عنه ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: إن رحمة الله هي الفوز الذي يتمناه العبد يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله كتب على نفسه الرحمة لعباده، وفيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش**)(١). ومن الأحكام: تقرير البعث والنشور يوم القيامة. ومنها: الحكم بأن كل مافي الكون من سكون وحركة إنما هو بتدبير الله وتصريفه. ومن الأحكام: أن كل ولاية غير ولاية الله محرمة، فالله هو الولي لخلقه، فمن ابتغى ولاية غيره فهو خاسر مطرود من رحمته. ومنها: أن الله جل ثناؤه هو المعطي، والمانع، فلا رازق إلا هو، ولا مانع إلا هو. ومن الأحكام: وجوب الاستسلام لله بالطاعة، والبراءة من الشرك به. ومنها: أن رحمة الله هي الفوز الذي يتمناه العبد.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ برقم (٧٥٥٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٥٣٢ .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ في هذه الآية خاطب الله نبيه، والمراد أن ما قد يصيبك من مرض أو فقر أو أذى من المشركين فلن يكشفه إلا الله، فهو الذي ينفع ويضر وينزل المرض ويشفي منه. ونظيره قوله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١). ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢). ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ أي: وإن يمتن عليك بالصحة والعافية والرزق ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: هو القادر على الضر والنفع.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ أي: له الغلبة والقوة، لا راد لأمره،

---

(١) سورة يونس الآية ١٠٦ .

(٢) سورة يونس الآية ١٠٧ .

ولا معقب لحكمه، خضعت لعظمته الرقاب وذلت لجبروته الأعناق لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في كل أفعاله وتدبيره ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بما يعمله عباده في سرهم وعلانيتهم.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ لما قال المشركون لرسول الله ﷺ: من يشهد لك أنك نبي ؟ أمر الله نبيه أن يقول لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ أي: من هو أعظم شهادة ؟ والجواب ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: هو الشاهد على نبوتي والمراد أن شهادة الله أعظم شهادة، فهو الذي خلق الخلق، وهو الإلَه الذي له الألوهية وهو المطلع على أعمال خلقه، فهو شهيد على أني قد بلغتكم ما أرسلني به إليكم وهو عبادته وحده. ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: وهذا القرآن المنزل من عند الله يشهد أني نبي ومرسل إليكم. ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ أي: لأحذركم من سوء كفركم وشرككم ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: أنذر من بلغ منكم الحلم ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ سؤال توبيخ وذم، أي: إذا كنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى كتقديسكم اللات والعزى فأنا لا أشهد معكم؛ لأن فعلكم شرك وكفر، وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾؛ لأن الله إلَه واحد لا رب غيره، ولا إلَه سواه، وهو معنى قوله ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: أتبرأ منكم ومن شرككم وكفركم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه لا يكشف الضر إلا الله، وهذا يقتضي من العبد وجوب اللجوء إليه في السراء والضراء، وفي الغنى والفقر، وفي الصحة والمرض، ولكن هذا لا يمنع العبد من فعل الأسباب، بل هي واجبة عليه والله هو المقدر والمدبر. ومن الأحكام: تقرير شهادة الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ بالنبوة والرسالة ونزول القرآن عليه، وهذه أعظم وأجل شهادة. ومنها: أن الله أنزل القرآن، فيه البشارة والنذارة، وهذا يقتضي أن الحجة قائمة على العباد إذا لم يمتثلوا مافيه. ومن الأحكام: وجوب البراءة من الشرك وأهله.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ ﴾ المراد أن اليهود والنصارى

الذين أوتوا التوراة والإنجيل يعرفون نبوة محمد ورسالته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ أي: أنهم كما يعرفون أبناءهم، ويميزونهم، يعرفون محمداً ﷺ، وهذا توكيد لمعرفتهم له؛ لأن المرء لا يماري في معرفته لأبنائه. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: مالوا عن الحق إلى الباطل، وصدقوا شياطينهم وكذبوا رسول الله محمد ﷺ. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ رغم علمهم بنبوته ورسالته في كتبهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ المراد أنه لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: كذب على الله من قال: إن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، أو كذب أحد رسله كحال المشركين الذين قالوا: إن محمداً ﷺ ليس رسولاً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: كذب بالقرآن ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا يفلح من افترى الكذب أو كذب بالآيات.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: يوم نجمعهم يوم القيامة ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ أي: نقول للذين جعلوا مع الله إلَهاً آخر ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم ينفعونكم هل ينفعونكم الآن في هذا اليوم الذي يحاسب فيه الناس بما عملوا ؟ فيرون أنه لا ينفعهم أحد كانوا يشركونه مع الله.

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ أي: ليس لهم حجة بعدما شاهدوا الهول في ذلك اليوم. ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ أي: إنهم ينكرون أنهم كانوا يعبدون من دون الله إلَهاً آخر ويتبرؤون من عبادة الأصنام والأوثان، وعندئذٍ تنطق ألسنتهم وجوارحهم فتشهد عليهم وشاهده قول الله جل ذكره ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1]. وعندئذٍ يتحسرون، وقد أخبر الله عنهم بقوله عز ذكره ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[2].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بهذا خاطب الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ أي تأمل: كيف أن المشركين كذبوا على أنفسهم بقولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ فقد كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون عندها القرابين ويعتقدون أنها تنفعهم وتقربهم إلى الله، فلما رأوا هول يوم القيامة تنصلوا منها ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: وتأمل يا محمد كيف خابت آمالهم وظنونهم وزعمهم في شفاعة أصنامهم لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى يعرفون نبوة

---

(١) سورة فصلت الآية ٢٠ .

(٢) سورة النساء الآية ٤٢ .

ورسالة رسول الله ﷺ في كتابهم كما يعرفون أبناءهم وهذا غاية الكمال في المعرفة، ولكنهم ينكرون الحق عمداً ولهذا خسروا أنفسهم. ومن الأحكام: أن من أعظم الظلم وأشده افتراء الكذب على الله أو التكذيب بآياته. ومنها: تقرير أن المشركين حينما يرون يوم القيامة أن عبادتهم للأصنام لا تنفعهم ينكرون فعلتهم فتنطق حينئذٍ جوارحهم فتشهد عليهم بما كانوا يعملون.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ أي: من المشركين من يسمع ما تقول ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أي: أنهم في سماعهم لم يقصدوا الاهتداء والاسترشاد بما تقول؛ فلهذا جعلنا على قلوبهم أكنة أي: حُجُباً ﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: يفهموا ما قلت لهم ﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ أي: وجعلنا في آذانهم وقراً أي: صمماً بحيث لا يسمعوا ما قلت لهم، وليس المعنى أنهم لا يفقهون أو يسمعون ما كان رسول الله ﷺ يقوله، بل لأن

كفرهم وسوء قصدهم وعدم اقتناعهم بما كان يقوله لهم جعلهم لا يفقهون القول الذي يهتدون به.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ﴾ المراد أنهم مهما يروا من الآيات الدالة على وحدانية الله لا يؤمنوا بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ أي: يحاجونك ويناظرونك ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي يقولون: لا تصدقوا محمداً بما يقول من أن هذا قرآن منزل من عند الله، وإنما هو قصص وحكايات نقلها لكم عن الأولين. وفي هذا ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنهم سألوا النضر بن الحارث عما يقول محمد قال: أرى تحريك شفتيه وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما أحدثكم عن القرون الماضية[١].

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ أي: أن المشركين ينهون عن تصديق رسول الله ﷺ ومتابعته ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ أي: يبعدون هم أنفسهم عنه فيجمعون بذلك بين كفرين. ﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: أنهم بفعلهم هذا ما يضرون إلا أنفسهم، أما دين الله ونبوة نبيه فلن يضرهما أحد. ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون بسوء فعلهم؛ لأن الله جعل على قلوبهم أكنة وجعل في آذانهم صمماً.

---

(١) وكان هذا يروي الحكايات ويقص القصص والأساطير، ينظر: تفسير البغوي ص٤١٦.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن المرء إذا استمرأ الكفر وأعرض عن آيات الله لم يعد يفهم القول الذي يهديه إلى الحق ويبعده عن الباطل. ومن أحكام الآية أن من أشقى الناس من يعرض عن اتباع الحق وينهى غيره عن اتباعه. ومنها: أن من يعرض عن الحق، إنما يضر نفسه ويهلكها أما دين الله ونبوة نبيه فلن يضرهما أحد.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ المراد أن المشركين حينما يوقفون على النار فيرون عظم هولها يصابون بالحسرة والندامة والخوف ﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ أي: ليتنا نرجع إلى الدنيا فلا نكذب بآيات ربنا ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: نؤمن إيماناً صادقاً حتى ينجينا من عذاب النار.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ أي: ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يخفونه من الشرك وشاهده قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ هذا بيان من الله الذي يعلم سرائرهم أنهم لو ردوا إلى الحياة الدنيا كما تمنوا لرجعوا إلى الشرك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: أنهم في قولهم وتمنيهم العودة إلى الدنيا ليكونوا مؤمنين ليسوا صادقين فالله يعلم كذبهم.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ أي: لو ردوا إلى الحياة الدنيا لعادوا إلى شركهم ولقالوا كما قالوا من قبل ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إن حياتنا واحدة هي الدنيا وليس لنا حياة أخرى ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ توكيد لكفرهم بيوم البعث.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لما ذكر الله عز ذكره كفرهم بالبعث قال مخاطباً نبيه ورسوله محمداً ﷺ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: بين يديه قال لهم ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: خاطبهم في توبيخ وتهديد أليس هذا هو يوم البعث الذي كنتم تنكرونه وتقولون إن هي إلا حياة الدنيا وحدها ؟

فيقرون بما رأوا ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أي: هذا هو يوم البعث الذي جمعت فيه الخلائق، فيجيبهم الله بأن هذا هو اليوم الذي تجزون فيه؛ لقاء كفركم ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن أهل الكفر يتمنون يوم القيامة أن يردوا إلى الحياة الدنيا؛ لكي يؤمنوا بآيات ربهم، وذلك حين يظهر لهم ما كانوا يخفونه من الكفر. ومن الأحكام: توكيد كفر المشركين بالبعث واستحقاقهم العذاب جزاء كفرهم به.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ أي: خاب الذين أنكروا البعث ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ أي: القيامة، والبغتة: الفجأة أي: فاجأتهم القيامة وهم على كفرهم فيندمون ويقولون ﴿ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ المراد أنهم يندمون ويتحسرون ويتجرعون الألم؛ لقاء تفريطهم وعدم استعدادهم لهذا اليوم. ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ ﴾ أي: يحملون ذنوبهم ومعاصيهم على ظهورهم وهذا مجاز، لحملهم ذنوبهم، مثلهم في ذلك مثل من يحمل أثقالاً

على ظهره. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: بئس الذي يحملونه والمراد به ذنوبهم.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ لما ذكر الله جل وعلا قولهم بأنه ليس هناك إلا حياة الدنيا، وأن الساعة إذا جاءتهم فجأة ندموا على ما فرطوا بيّن جل وعلا أن الحياة الدنيا مجرد لعب ولهو أي: يلعب المرء فيها ويلهو مدة من الوقت ثم يفارقها إلى الدار الباقية. ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ﴾ أي: إنها خير للذين يتقون الشرك والكفر ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ استفهام إنكاري عليهم حين يلعبون ويلهون في الدنيا ويتركون العمل للآخرة الباقية.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير خسران من ينكر لقاء الله ولم يعمل صالحاً لذلك اليوم الذي لا ريب فيه كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[2]. ومن الأحكام: أن الساعة لا تأتي إلا بغتة. ومن مسائل الآيتين: أن الحياة الدنيا مجرد لهو ولعب وأن الآخرة خير للمتقين، وهذا يقتضي أن العقلاء يجب ألا يغتروا بالحياة الدنيا.

---

(١) سورة غافر من الآية ٥٩ .

(٢) سورة الجاثية من الآية ٢٧ .

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ قيل في سبب نزول هذه الآية: إن رسول الله ﷺ لما مر بأبي جهل وأصحابه قالوا: يا محمد نعلم أنك ما تكذب ولكن لا نصدق ما جئت به، وقد حزن رسول الله ﷺ لتكذيبهم رسالة الله، فخاطبه الله أنه يعلم حزنه ثم قال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أي: ينكرون الرسالة وهي الحق الذي جاءهم من عند الله.

وقد روي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له: والله إن محمداً لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية، والحجابة، والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟[1].

---

(١) ذكر محمد بن إسحاق في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة رسول الله ﷺ من الليل=

قلت: وعداء كفار قريش لم يكن أساسه جهلهم بما جاء به رسول الله ﷺ فهم يعرفون أنه أمين فيما قال، وأنه رسول من عند الله، لا يمارون فيه، ولكنهم لا يريدون أن تكون النبوة في بني عبد مناف حسداً لهم، وما كان يكنه أبو جهل ومن معه هو سلوك أهل الكتاب فهم يعرفون أن محمداً نبيٌّ ورسولٌ من عند الله كما يعرفون أبناءهم؛ لأن التوراة والإنجيل بَيَّنَا ذلك بياناً واضحاً ومع ذلك استبد بهم الحسد فأنكروا رسالته. وقد كشف نفر منهم هذه الحقيقة بعد أن أسلموا، بدءاً من عبد الله بن سلام وصحبه، ولا يزال قوم منهم في هذا العصر، وخاصة من القساوسة والرهبان يتركون دينهم ويدخلون في الإسلام بعد أن تبين لهم أن محمداً ﷺ خاتم

=هو وأبو سفيان صخر بن حرب والأخنس بن شريق ولا يشعر أحد منهم بالآخر فاستمعوها إلى الصباح فلما هجم الصبح تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال كل منهم للآخر ما جاء بك؟ فذكر له ما جاء به ثم تعاهدوا ألا يعودوا لما يخافون من علم شباب قريش بهم، لئلا يفتنوا بمجيئهم، فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظناً أن صاحبيه لا يجيئان لما سبق من العهود، فلما أصبحوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا ثم تعاهدوا ألا يعودوا فلما كانت الليلة الثالثة جاءوا أيضاً، فلما أصبحوا تعاهدوا ألا يعودوا لمثلها ثم تفرقوا. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجافينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه قال: فقام عنه الأخنس وتركه. سيرة ابن إسحاق ج١ ص٢٥٩ - ٢٦٠ .

الرسل وأن دينه آخر الأديان، وأن موسى وعيسى عليهما السلام أخبرا عنه وبشرا به.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ والمراد أنه كما كذبك المشركون فقد كذبت من قبلك أمم رسلها كقوم إبراهيم، ونوح، وموسى، وهود، وصالح، وغيرهم من الأنبياء ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ أي: أنهم استعانوا بالله ثم بالصبر على قومهم وما نالهم من الأذى منهم، فاصبر مثلهم وشاهده قوله جل ذكره ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(١). ﴿حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ أي: أنهم صبروا حتى جاءهم النصر من عندنا، وكما كان لهم النصر سيكون لك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: إن وعد الله لأنبيائه ورسله بالنصر حقيقة لا تتبدل ولا تتغير، فلا يقدر أحد أن يرد ما وعد الله به ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: من تاريخهم وأخبارهم ما يسليك.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: إذا صعب عليك توليهم وعدم تصديقهم لما جئت به ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: إن قدرت أن تعمل نفقاً أي: أخدوداً تأتي منه بآية لهم أو إن قدرت أن تأتي بسلم تصعد به إلى السماء فتأتيهم بآية

---

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

يؤمنوا بها فافعل والمراد أنك لا تستطيع ذلك ولو كنت حريصاً على إيمانهم. أو يكون المعنى أنك يا محمد من حرصك على إسلام قومك لو كنت تستطيع حفر نفق في الأرض أو تستطيع أن ترقى إلى السماء لتأتي بآية يؤمنون بها لفعلت.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: لو أراد لأتاهم بآية يؤمنوا بها، ولكن حكمته ومشيئته اقتضت عدم ذلك؛ لأنه لو جاءتهم آية ثم كفروا بها لأهلكهم وعذبهم كما فعل بأصحاب المائدة الذين مسخوا قردة وخنازير لما كفروا بإنزال الله لها. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي: لا تجهل فتحزن عليهم معطوف على قوله ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حزن رسول الله ﷺ على عدم تصديق المشركين لما جاءهم به من الهدى؛ ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على أمته خوفاً عليها من الهلاك كما حدث للأمم السابقة حين كذبت رسلها. ومن مسائل الآية: تسلية الله لرسوله محمد ﷺ عما حدث له من قومه وحثه على الصبر، شأنه في ذلك شأن الرسل الذين كذبهم قومهم. ومنها: نهي الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ عن الحزن على عدم إيمان المشركين.

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إن الذين يستجيبون هم الذين يسمعون منك يا محمد سماع قبول لما تقول. ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أما المشركون بمثابة الموتى، فهم الذين لا يستجيبون لمن يناديهم وهؤلاء يبعثهم الله ليوم الحساب ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ أي: يعودون إلى الله فينبئهم بما كانوا يعملون ويجازيهم عليه.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ القول للمشركين أرادوا من رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم آية من ربه حتى يؤمنوا كقولهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾(١). فأمره الله أن يرد عليهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ أي: إن الله له القدرة المطلقة أن ينزل عليهم آية كما أنزلها على من قبلهم

(١) سورة الإسراء من الآية ٩٠.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يدركون أن الله إنما ينزل مافيه مصلحة للعباد؛ لأنه لو نزلها عليهم ثم كفروا بها لعذبهم كما فعل بأصحاب عيسى.

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾

لما ذكر الله عِظَمَ قدرته بأنه الذي خلق السموات والأرض وأنه الذي جعل الظلمات والنور، وأن له ما سكن في الليل والنهار، وأنه قادر على أن ينزل آيةً بيَّنَ أن من عظيم قدرته خلق الدواب والطيور، وقد جعلها أمماً وأجناساً، كما جعل بني آدم أمماً، وقد تكفل بأرزاقهم كما تكفل بأرزاق بني آدم كما قال جل ذكره ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1]. ثم بيَّن عز وجل أنه جعل كل مافي الكون من الإنس والجن والدواب والطيور في اللوح المحفوظ فلم يترك شيئاً إلا حفظه فيه وهو أصل قوله جل وعلا ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ وهذا بيان وتوكيد أن كل هذه المخلوقات سوف تحشر إليه فيجازي كلاً بما عمل بما في ذلك الدواب وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**)[2].

---

(١) سورة هود الآية ٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٥٩٥ .

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ﴾ أي: أنهم صم لا يسمعون وبكم لا ينطقون، فمع أن الدواب والطيور تعرف مصالحها فهؤلاء لا يعرفون مصالحهم ولا يهتدون ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: في الشرك والكفر. ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾ أي: يضله عن الطريق المستقيم بسبب ميله إلى الضلال وبعده عن الحق ﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: يجعله على الطريق المستقيم. والمعنى أن الله لم يجعل الضلال قدراً عليه كما تزعمه القدرية بل أضله لكونه لم يطلب الهداية منه باتباع دينه وهداه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ الذين يستجيبون لله هم المؤمنون الذين يسمعون دعوة رسول الله ﷺ لهم قولاً وعملاً؛ أما المشركون ومن في حكمهم فهم بمثابة الموتى الذين لا يستجيبون لمن يناديهم. ومن الأحكام: أن الله لم يستجب للمشركين فينزل عليهم آية؛ لأنه لو نزلها لما آمنوا وحينئذٍ يعذبهم. ومنها: الحكم بأن كل الدواب والطيور في الأرض أمم مثل بني آدم، وأن كل ما في الكون علويه وسفليه مدون في اللوح المحفوظ. ومن الأحكام: أن من يكذب بآيات الله لا يسمع ولا ينطق ولا يعرف مصلحته خلافاً للدواب والطيور التي تعرف مصالحها.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٥) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخبروني ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ القيامة ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ والمراد أنهم يعترفون بربوبية الله ويدعونه عند الشدائد، ولكنهم يشركون معه في ألوهيته، وقد أمر الله نبيه أن يقول لهم: لو أتاكم العذاب أو الساعة، هل تدعون غير الله ينجيكم أم تدعون آلهتكم ؟ فبما أنكم سترجعون إلى الله يوم القيامة فلماذا تشركون معه غيره ؟

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾ بيان من الله عنهم بأنهم لا يدعون إلا إيّاه

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ أي: يقبل دعاءكم إن شاء فيكشف الضر الذي نزل بكم. ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ أي: تنسون عندئذٍ آلهتكم التي لا تغنيكم شيئاً.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: سبق أن أرسلنا رسلاً إلى أمم قبل أمتك ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ أي: الشدائد من الفقر والجوع. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي: الأمراض والأسقام. والمعنى أن الله أرسل رسلاً إلى أمم سابقة فخالفوهم فعاقبهم الله في أموالهم وأبدانهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: يرجعون إليه وينيبون.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ بمعنى هلا إذا جاءهم الابتلاء تضرعوا وأنابوا إلينا. ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تحجرت وغلظت ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: إن سبب عدم تضرعهم هو تزيين الشيطان لهم عملهم ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: لما أعرضوا عما جاءهم من الهدى تناسياً منهم ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: أعطيناهم كل شيء من الأموال وغيرها، استدراجاً وإمهالاً لهم وشاهده قوله عز وجل ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١). ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٣ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾ أي: فرحوا بما آتيناهم من أصناف الأموال، ظناً منهم أن هذا من رخاء الله عليهم ﴿ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾ أي: عاقبناهم فجأة ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ أي: قانطون من كل خير ورحمة.

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ ﴾ أي: انتهوا وانتهى من بعدهم فلم يبق لهم عقب ﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي: له الحمد والثناء والشكر على قضائه بعقاب الظالمين.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ المشركين يشركون في الرخاء؛ فإذا أصابتهم ضراء لجؤوا إلى الله ونسوا فعلهم، وهذا من العجب العجاب لحال الإنسان الذي لا يذكر الله إلا في الضراء وفي هذا قال عز وجل ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾[1]. ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾[2]. ومن الأحكام: أن الأمم التي قست قلوبها عن ذكر الله وزين لها الشيطان أعمالها تعرضت لسخط الله وعقابه. ومنها: أن الأمم التي تغفل عما جاءها من الحق ثم تستمر على فسقها؛ فإن ما يعطيها الله من النعم إنما هو استدراجٌ لها ثم يأخذها بغتة. ومن الأحكام: أن سنة الله مضت في إهلاك الظالمين.

(١) سورة النحل الآية ٥٣ .

(٢) سورة النحل الآية ٥٤ .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ أي قل يا محمد: لهؤلاء الظالمين المكذبين لله ولرسوله: لو سلب الله منكم نعمة السمع والبصر والعقل فأصبحتم عمياً صماً ولا عقول لكم فهل يقدر أحد غير الله أن يرد ذلك لكم ؟ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: كيف نبين الآيات ونوضحها إعذاراً لهم ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ أي: أنهم رغم هذه الآيات البينات يعرضون ويميلون عن الحق إلى الباطل.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ أي: إن جاءكم عذاب الله بغتة أي: فجأة أو ظاهراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم لشرككم وكفركم ؟ أما المؤمنون

فلا خوف عليهم من الهلاك؛ لأن إيمانهم بالله ورسوله يحميهم وينجيهم من عذاب الله.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: ما نرسل المرسلين إلا ليبشروا من آمن بالله ورسوله بأن تكون لهم العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، ومنذرين بأن من كذب الله ورسوله ستكون له سوء العاقبة في الدارين ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: من آمن من الناس بالله ورسوله وعمل صالحاً فلا خوف عليهم من يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا. وشاهده قول الله عز ذكره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ لما ذكر الله جل ذكره أن المؤمنين لن يخافوا ولن يحزنوا، بيّن أن الذين كذبوا بآيات الله سوف ينالهم العذاب؛ جزاء تكذيبهم وفسوقهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نعمة الله على العبد بالسمع والبصر والقلب وسائر أعضاء الجسم، وهذا يوجب عليه شكر الله على نعمه عليه. ومن الأحكام: أن الله لا يهلك إلا الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم ما حرم عليهم.

(١) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

ومنها: أن مهمة الرسل البشارة للمؤمنين بما لهم عند ربهم من الثواب والنذارة للمكذبين بأن لهم العذاب؛ فالمؤمنون لا يخافون ولا يحزنون من هول يوم القيامة، خلافاً للمكذبين الذين يلاقون العذاب والمهانة في ذلك اليوم العظيم.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ هذا توجيه من الله لنبيه أن يقول لهؤلاء المكذبين: ليس عندي خزائن الله، فهذه الخزائن لا يملكها إلا هو ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: لا أعلم من الغيب شيئاً فلا يعلم الغيب إلا الله ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ أي: لست ملكاً كحال الملائكة، وإنما أنا بشر يوحى إلي من عند الله ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: أتقيد بما يأتيني من الوحي من عند الله، فلا أخرج عنه بأي حال. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ استفهام تقريري معناه أنه لا يستوي من اتبع الحق مع من اتبع الباطل، كما أن الأعمى لا

يستوي مع المبصر ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتفكرون في مخلوقات الله وآياته؛ لكي تهتدوا وترجعوا عن ضلالكم.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: انذر بالقرآن الذين يخافون من عذاب الله يوم الحشر ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: أنذر بالقرآن الذين يخافون من عذاب الله يوم الحشر، ويعرفون أنه ليس لهم من دونه ولي أي: قريب لهم ولا شفيع يشفع لهم ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لعلهم بهذا الإنذار يؤمنون إيماناً ينفعهم في الدنيا وينجيهم من عذاب الله في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن رسول الله ﷺ بشر، مثل سائر البشر، غير أنه يوحى إليه كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾(١). ومن الأحكام: أن بشريته عليه الصلاة والسلام تقتضي عدم علمه بالغيب، وعدم معرفته بأسرار الكون وتصريفه، فكل ذلك مرده إلى الله لا يعلمه إلا هو. ومنها: تقرير أن الأعمى والبصير لا يستويان. ومن الأحكام: وجوب الإنذار بالقرآن للذين يخافون من عذاب الله.

---

(١) سورة فصلت من الآية ٦ .

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ لما قال المشركون في مكة لرسول الله ﷺ بأنهم لا يرضون أن يجالسوا أو يخالطوا المؤمنين من أصحابه كسلمان وصهيب وخباب وبلال رضي الله عنهم، أنزل الله هذه الآية. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: توحيده وطاعته وفي ذلك: روى سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر فقال المشركون لرسول الله ﷺ: اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا قال: كنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل هذه الآية(١).

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٧١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص٢٠٢، وزاد المسير في علم التفسير ص٤٣٩، والأثر أخرجه مسلم مختصراً في كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، برقم (٢٤١٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٣١١.

وعن خباب بن الحارث رضي الله عنه أن سبب نزول هذه الآية حين جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً قال: فدعا بصحيفة ودعا عليّاً ليكتب ونحن قعود في ناحية، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية[1].

ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾. ثم قال ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾. قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام فتركنا فأنزل الله عز وجل ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٧١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص٢٠١، ومعالم التنزيل للبغوي ص٤٢١، وزاد المسير في علم التفسير ص٤٣٩ .

عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾. قال: أَمْرُ عيينة والأقرع... الحديث[١].

وقال ابن كثير: هذا بعيد؛ لأن الآية مكية وعيينة والأقرع وفدا سنة الوفود في المدينة[٢]. ويحتمل أن ذلك حدث منهما لما وفدا على رسول الله ﷺ في المدينة فأجابهما بهذه الآية.

وقد نزلت هذه الآية حين جاء عتبة وشيبة ابنا ربيعة والحارث بن نوفل ومطعم بن عدي إلى أبي طالب فقالوا له: لو أن محمداً يطرد عنه موالينا وعتقاءنا كان أعظم في صدورنا، وأرجى لاتباعنا له، فأتى أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فكلمه بالذي قالوه فقال عمر: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون فأنزل الله هذه الآيات فلما نزلت اعتذر عمر[٣].

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: لست مسؤولاً عنهم في جزائهم ومعاشهم ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: وليسوا مسؤولين عنك ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن طردتهم

(١) معالم التنزيل للبغوي ص٤٢١، والآية في سورة الكهف الآية ٢٨ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٢٨ .
(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٧٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٤٣٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص٢٠٢ .

كنت من الظالمين، وفي هذا تنبيه لرسول الله ﷺ بأن عليه أن يعصي المشركين الذين أرادوا طرد المؤمنين الذين كانوا معه يناصرونه في دعوته، ويتحملون الأذى في سبيل إيمانهم به في نفس الوقت الذي كان فيه المشركون يكذبونه ويعاندونه ويحادون الله أشد المحادة؛ ولأن الله يعلم حال هؤلاء المؤمنين وحال أولئك المشركين حذر رسوله من طاعتهم.

قلت: كان رسول الله ﷺ حريصاً على إسلام كبار قريش؛ لما في ذلك من كف لأذاهم؛ ولما فيه من قوة للإسلام؛ بسبب كثرة أتباعهم الذين سوف يتبعونهم فيدخلون في دين الله، ولكن الله يعلم أحوال هؤلاء وسرائرهم، سواء كان الذين قالوا هذا من المشركين أو أجلاف العرب الذين كانوا يحتقرون الضعفاء من المؤمنين ويعتقدون أن عزتهم في قومهم أو أموالهم تقربهم إلى الله وما علموا أن المقرب عند الله هو من آمن به وبرسوله، وأن سلمان الفارسي وخباباً وصهيباً أكرم عند الله من هؤلاء المشركين. ولا عبرة بنسبهم ولو أنهم أعلى في نسبهم وحسبهم لو كان النسب هو المعيار.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم﴾ من عادة الطغاة والمتكبرين أنهم يحتقرون من عداهم من الضعفاء والفقراء، ويعتقدون أنهم أحقّ بالرئاسة وبالشرف وبالمثوبة على عملهم ولو كان هذا العمل

كله ظلماً وطغياناً، ومن حكمة الله وإرادته في خلقه أن الضعفاء والمساكين ينتصرون في نهاية الصراع لهذا كان المشركون في مكة وحتى أجلاف العرب يحتقرون ضعفة المسلمين من الفقراء ومن يوصفون بالعبودية، كبلال، وسلمان، وصهيب، وغيرهم، وفي هذا يقول الله جل ذكره ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: فتنا بعض الناس ببعضهم ﴿لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ أي: كيف أنعم على هؤلاء وهم الأرقاء والفقراء ونحن السادة والأغنياء؟ ونظيره قول قوم صالح ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[1]. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ والمراد أن الله أعلم بمن يطيعه ويشكره فيهديه إلى الحق وهو أعلم بمن يعصيه فيذله ويهينه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم إبعاد المؤمنين، وتقريب الكافرين. ومن الأحكام: بيان أنّ أتباع الرسل هم من الفقراء والمستضعفين. ومنها: ابتلاء بعض الناس ببعضهم فيكون فيهم الأغنياء، والفقراء، والأقوياء، والضعفاء؛ ليعلم الله -وهو العليم- من هو الذي يكفر ومن هو الذي يشكر منهم.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ

(١) سورة القمر الآية ٢٥ .

رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لعل المراد بهم الذين نهى الله عن طردهم ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ قد يكون المراد توجيه الله لنبيه أن يبلغهم سلامه أو يكون أمر الله أن يبدأهم بالسلام فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: (**الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام**)[1]. وقد روى عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال ونفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها فأتى النبي

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص٤٣٥، وزاد المسير لابن الجوزي ص٤٤٠ .

ﷺ فأخبره فقال: (**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**) فأتاهم أبو بكر فقال: يا أخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[1].

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي: أنه جل وعلا فرض على نفسه أن يرحم خلقه إحساناً لهم وتفضلاً عليهم ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ أي: من عمل ذنوباً غير قاصد ولا مبتغ لها ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ أي: تاب من هذه الذنوب وأصلح توبته ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: يغفر له ذنوبه ويرحمه برحمته.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: نبينها واضحة ظاهرة للعيان تبين لعباد الله أمور دينهم ودنياهم. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: ليتبين ما عليه المجرمون من الضلال عن طريق الحق.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقول للمشركين: لقد نهاني ربي أن أعبد الأصنام التي تدعونها من دون الله، كما نهاني ربي أن أطرد المؤمنين الذين اتبعوني. ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ وهذا أمر آخر، أي: قل لهم ولن أتبع أهواءكم؛ لأنها ضلال وغواية ﴿قَدْ ضَلَلْتُ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال رضي الله تعالى عنهم، برقم (٢٥٠٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ ص٦٤٧٨ .

إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: لو اتبعت أهواءكم لضللت ولن أكون إذاً من المهتدين.

﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ﴾ أي قل للمشركين: إني على هدى وبصيرة من ربي فيما يوحيه إليّ من الحق وكذبتم به طغياناً وكفراً. ﴿ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾ أي: من العذاب الذي تستهزئون به. وشاهده ما ذكره الله من قولهم ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١). ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أي: إنَّ الحكم لله وحده، فهو الذي يملك إنزال العذاب بكم أو تعجيله أو تأجيله. ﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾ أي: يحكم بالحق ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ أي: الحاكمين.

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ ﴾ أي: قل يا رسولنا محمداً للمشركين: ليس لدي العذاب الذي تستعجلون به ولو كان الأمر بيدي لجزيتكم بما تستحقونه ولكن الأمر بيد الله ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: هو العليم بكل ظالم، وسوف يجازيه على ظلمه.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم: بأنه يجب على الحاكم، أو ولي الأمر، الاهتمام بالمؤمنين

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٣٢ .

والرفق بهم، وهذا يقتضي أن من جاء مؤمناً بالله يجب تقريبه وترغيبه وإشاعة البشرى في نفسه، فإن كان قد عمل سوءاً نتيجة جهل فيجب إبلاغه بأن الله سيرحمه إذا تاب منه وأصلح وأخلص التوبة لله. ومن الأحكام: تحريم عبادة غير الله، وتحريم اتباع أهل الضلال والأهواء. ومنها: أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون على بينة، وهذا يقتضي أن يكون الدعاة على علم فيما يدعون إليه.

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ المراد أن المغيبات هي من علم الله وحده، وفي حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

(مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم مافي غد إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله وحده)(١).

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: يعلم علم يقين وإحاطة بجميع الموجودات في البر والبحر ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: يعلم ما تسقطه الأشجار والنباتات من الأوراق ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ أي: ويعلم بعلمه المحيط سائر الحبات التي تنبت في الأرض مهما بلغت من الاختفاء في أعماقها ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: إن كل الأشياء التي في البر والبحر وما يسقط من أوراق الشجر أو النبات أو مافي بطون الأرض مدون في اللوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ ما زال السياق في أحوال المشركين والكفار والخطاب لهم فقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ يراد به النوم، والوفاة نوعان: وفاة كبرى، وهي التي ينتهي فيها أجل الإنسان ويبقى ميتاً إلى أن يبعثه الله يوم يبعث الخلائق. النوع الثاني: وفاة صغرى، وهي المراد في هذه الآية، وفي الآية الأخرى قوله جل ذكره ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ برقم (٤٦٩٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٢٥ .

ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾[١]. فقوله ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ أي: يقبض أرواحكم عن القيام بالأفعال والتصرفات ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ أي: يعلم ما تفعلون في النهار من الخطايا. ﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ أي: يبعثكم في النهار من نومكم ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ﴾ أي: إلى أن تستكملوا أجلكم. ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي: يظهر لكم أعمالكم في الدنيا ليجازيكم عليها.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ القاهر اسم من أسماء الله الحسنى ﴿فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ﴾ المراد فوقيته العالية وتصرفه في خلقه بإرادته وحكمته ورحمته. ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ أي: يرسل عليكم ملائكة يحفظون الأعمال ويكتبونها لتعرض يوم القيامة كما قال عز وجل ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[٢]. وقوله جل ذكره ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾[٣]. ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾[٤]. ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[٥]. قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: إذا انتهى أجله ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ المراد به ملك الموت وأعوانه الذين يخرجون الروح فيقبضها

(١) سورة الزمر الآية ٤٢ .
(٢) سورة ق الآية ١٨ .
(٣) سورة الانفطار الآية ١٠ .
(٤) سورة الانفطار الآية ١١ .
(٥) سورة الانفطار الآية ١٢ .

ملك الموت ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي: فيما وكلوا به من قبض الروح وحفظها حيث أراد الله لها.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: عرضوا يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: ردوا إلى الله خالقهم؛ لأنه ربهم وإلههم الحق ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: أنه المتفرد بالحكم في حسابهم وجزائهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ أي: سوف يسرع في حسابهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وأن كل ما في الكون علويه وسفليه وما بينه مدون في اللوح المحفوظ. ومن الأحكام: أن الله يتوفى الإنسان، سواء كانت الوفاة وفاة أبدية إلى يوم القيامة، أم كانت وفاة مؤقتة وهي النوم. ومنها: تقرير واقعة البعث للحساب والجزاء.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

بيان الآيات:

ما زال السياق أيضاً في أحوال المشركين، فقول الله عز ذكره ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ استفهام تقريري والمعنى أنه لا أحد ينجيكم من أهوال البر والبحر إلا الله. ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ أي: في حال الشدائد والمصاعب تدعون الله وتتضرعون إليه جهاراً، وخفية أن ينقذكم مما حل بكم من الأهوال، وتقولون إذا الله أنجانا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ أي: من الشاكرين له على ما أنعم به علينا من النجاة.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ أي: إنه القادر على أن ينجيكم مما يصيبكم من الأهوال والشدائد. ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ أي: إنه إذا نجاكم أشركتم معه غيره فأنتم في حال الشدائد تتوسلون وتتضرعون إليه، وتدعونه أن ينجيكم حتى تطيعوه وتوحدوه، وإذا أنجاكم جحدتم نعمته، وأشركتم معه غيره، وفي هذا توبيخ لهم، وإنكار لفعلهم وجحودهم وكفرهم.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ لما ذكر جل وعلا حال المشركين، وأنهم يدعونه في حال الشدة ويشركون به في حال الرخاء، ذكَّرهم أنه هو القادر على أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم كالريح العاتية والمطر المدمر والصواعق القاتلة،

كما فعل بالأمم السابقة كقوم نوح، وعاد، وثمود أو يبعث عليهم عذاباً من تحت أرجلهم، كالخسف والزلازل وانهيار الأرض. وشاهده قوله جل ذكره ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾[1]. ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ أي: يجعلكم متفرقين في أفكاركم وأهوائكم ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ أي: تفتتنون بالتقاتل بينكم وهذه الآية عامة في الكفار وفي المسلمين.

قال الإمام القرطبي: «قلت: وهو الصحيح فإنه المشاهد في الوجود فقد لبسنا العدو في ديارنا، واستولى على أنفسنا وأموالنا مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضاً واستباحة بعضنا أموال بعض نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»[2]. وقد نقل ما رواه مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم**

---

(١) سورة الإسراء الآية ٦٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص٩ - ١٠ .

من بأقطارها أو قال: من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً)(١).

وفي حديث عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ الآية قال رسول الله ﷺ: **(أعوذ بوجهك)** فلما نزلت ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: **(هذا أهون أو هذا أيسر)**(٢).

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ أي انظر يا محمد: كيف نبين للمشركين الدلائل والبينات ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي: يوحدون الله ويتبرؤون من الشرك به.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ المراد بهم كفار قريش، والمراد تكذيبهم بالعذاب ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الذي لا شك فيه. ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: قل لهم لست عليكم بحفيظ، وإنما أنا منذر لكم ومبلغكم ما جاء من عند الله ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكل شيء وقت كما قال عزوجل ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾(٣). ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد من الله بأنهم سيعلمون جزاءهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم (٢٨٨٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ص٧١١٦ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ برقم (٤٦٢٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٤١ .

(٣) سورة الرعد من الآية ٣٨ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير سلوك المشركين بأنهم يدعون الله في الضراء وينسون دعاءه في السراء، وذلك بعبادتهم لأصنامهم وأهوائهم. ومن الأحكام: أنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه ولا منقذ إلا هو، وأن من استعان أو استعاذ أو لجأ إلى غيره يطلب نفعه فقد ضل ضلالاً يستوجب عدم المغفرة له مع خلوده في العذاب. ومنها: أن اختلاف الأمة وانقسامها سبب في تقاتلها وظهور الفتن فيها.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ

ولأمته والمراد بهم الذين يستهزئون بآيات الله كما كان المشركون والمنافقون يفعلون. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تخالطهم ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: حتى يكون حديثهم غير الاستهزاء بآيات الله ورسوله ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: إن وسوس لك الشيطان فنسيت نهينا لك عن مجالستهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ أي: بعدما تذكر النهي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المراد بهم المشركون.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ليس على المتقين من إثم إذا اجتنبوهم فلم يجالسوهم أويخوضوا معهم، والمراد بالمتقين محمد ﷺ وأصحابه وكل من كان على طريقهم. ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ المراد إذا صاروا يستهزئون وأنتم بينهم فاتركوهم ليكون في ذلك ذكرى لهم؛ ليتركوا الخوض.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ بالأمر له أن يتجنب مجالسة الذين يستهزئون بدين الله ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: اغتروا بوجودهم في الحياة الدنيا وما لديهم من الأموال والأولاد ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ المراد ذَكِّره بالقرآن حتى لا تهلك النفس بما كسبت من الآثام. وشاهده أيضاً قول الله جل ذكره ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1]. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن

---

(١) سورة المدثر الآية ٣٨ .

﴿دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: لن يكون لها حينذاك ناصر ينفعها، ولا شفيع يشفع لها ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ أي: لو بذلت كل فداء لم ينفعها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي: الذين هلكوا بسبب ذنوبهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وهو الماء الشديد الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: أنهم سيجزون بهذا الشراب وبالعذاب بسبب كفرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم مجالسة من يستهزئ بالله، أو بأحكامه، أو نبيه، أو بأحد من رسله، أو بأي حكم من أحكام الإسلام. وشاهده قول الله في حق المنافقين لما استهزؤا برسول الله ﷺ وصحبه ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]. ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[2]. وقيل في سبب نزول هذه الآية: إن رسول الله ﷺ لما كان يدعو المشركين والكفار إلى دين الله كانوا يستهزئون بالقرآن فنهاه الله عن مجالستهم[3]. والنهي عام في مجالسة الكافر، والفاسق، وصاحب البدعة، وصاحب المنكر، ومن كان في حكم هؤلاء. وشاهده هذه الآية وقول الله تعالى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ

---

(١) سورة التوبة من الآية ٦٥.

(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص٤٤٦.

ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾(١).

ومن الأحكام: وجوب التذكر بالقرآن حتى لا تهلك النفوس بسبب ارتكابها للخطايا والآثام. ومنها: أن الذين يهلكون؛ بسبب ذنوبهم وآثامهم لهم عذاب أليم يوم القيامة.

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ ما زال السياق في الرد على المشركين بقولهم للمؤمنين اتبعونا واتركوا دين محمد فأمر الله رسوله أن يقول لهم: نحن لا ندعو ما لا ينفعنا ولا يضرنا فالذين

(١) سورة النساء من الآية ١٤٠ .

تعبدونهم أوثان وأصنام صماء لا تنفع ولا تضر، وما يعبدها إلا جاهل أو عديم العقل ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أي: هل نرجع إلى الشرك والكفر بعد إذ هدانا الله للإسلام؟ وهذا استفهام إنكاري. ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ أي: إذا تبعنا ما قلتم سنكون مثل الذي غلبته الشياطين، واستبدت به الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه فيتبعها ثم يرى أنها ألقته في المهلكة ليموت منها جوعاً وعطشاً، بعد أن أصبح حيرانَ لا يدري ما يفعل.

﴿لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ أي: له رفقة مؤمنون يدعونه إلى اتباع الطريق القويم فيأبى عليهم. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: لا هدى إلا هداه فمن ابتغى غير ذلك فقد ضل سواء السبيل. ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: إننا مأمورون بأن نسلم قلوبنا ووجوهنا لله رب العالمين الذي لا رب لنا غيره، ولا معبود لنا سواه.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: وكما أُمِرْنَا أن نسلم لله رب العالمين أُمِرْنَا أن نقيم الصلاة التي فرضها الله علينا، وأن نتقيه في أعمالنا وأقوالنا. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: هو الخالق الذي تحشرون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: خلقهما وكونهما بالعدل، فهو المستحق للعبودية وحده. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن

﴿فَيَكُونُ﴾ أي: حين يقول للشيء كن يكون لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: إن ما قاله ويقوله هو الحق الذي لا مراء فيه ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: أنه مالك كل شيء في الوجود. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ أي: نفخة البعث، ليقوم الناس من قبورهم ليشهدوا الحساب والجزاء، والصور بوق ينفخ فيه إسرافيل بعدما يأمره الله وفيه قال رسول الله ﷺ: (**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر؟**)[1]. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: هو العالم وحده بالغيب فلا يعلمه إلا هو ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: يعلم الشهادة ويعلم كل ما في الوجود، لا يعزب عنه شيء في السموات والأرض، مهما كان صغيراً أو كبيراً. ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تصرفه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأحوال خلقه وما ينفعهم وما يضرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن العاقل لا يدعو من لا يملك ضراً ولا نفعاً. ومن الأحكام: تحريم الردة عن دين الإسلام، ومن يفعل ذلك فله جزاءان في الدنيا والآخرة، فجزاء الدنيا تطبيق حكم الردة عليه؛ أما جزاؤه في الآخرة فالعذاب المهين. ومنها: أنه لا هدى إلا هدى الله، فمن يهده الله يشرح

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٣ ص٧٣، والخطيب التبريزي في المشكاة برقم (٥٥٢٧)، مشكاة المصابيح ج٣ ص١٥٣١ .

صدره للإسلام. ومنها: أن كافة العباد مكلفون بالدخول في الإسلام ومن لم يفعل فلا دين له. ومن الأحكام: وجوب إقامة الصلاة بأركانها وشروطها ووجوب تقوى الله في السر والعلن وذلك بالائتمار بأمره والانتهاء عما نهى عنه. ومنها: تقرير واقعة الحساب والجزاء.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ خاطب إبراهيم عليه السلام أباه منكراً عليه بقوله ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي: هل تعبد الأصنام من دون الله ؟ ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ أي: أجد أنك ومن معك

ممن يعبدون الأصنام ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: قد حدتم وضللتم الطريق المستقيم الذي هو إفراد الله وحده بالعبادة، وقد ذكر الله ما دار من المحاورة بين نبيه إبراهيم عليه السلام، وبين أبيه العابد للأصنام وقوله جل ذكره مثنياً عليه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[1]. ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[2]. ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾[3]. ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[4]. ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[5]. وكان هم إبراهيم عليه السلام أن ينقذ أباه مما هو فيه من الضلال مدفوعاً في ذلك بعاطفة الابن تجاه أبيه، إلا أن أباه قد استحوذ عليه الضلال فأبى دعوة ابنه له، بل كان يتوعده برجمه وطرده فيما حكاه الله عنه بقوله ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[6]؛ فلما يئس إبراهيم من أبيه وقومه

---

(١) سورة مريم الآية ٤١ .

(٢) سورة مريم الآية ٤٢ .

(٣) سورة مريم الآية ٤٣ .

(٤) سورة مريم الآية ٤٤ .

(٥) سورة مريم الآية ٤٥ .

(٦) سورة مريم الآية ٤٦ .

قال ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾[١].

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ المعنى أن الله عرَّف نبيه إبراهيم ربوبية ربه وألوهيته وهداه لهذه المعرفة فصار حنيفاً مسلماً يدعو أباه وقومه إلى وحدانية الله ونبذ الشرك وعبادة الأصنام. ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ أي: ليوقن بما أراه الله من ملكوت السموات والأرض.

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ أي: لما أظلم عليه ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ أي: نجماً ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ والمعنى أن قومه كانوا يعبدون النجوم والأجرام، ويعظمونها، فأراد عليه السلام إبطال اعتقادهم بالنظر المحسوس والاستدلال بالمعقول، فبدأ بالنجم وهو كوكب الزهرة وقال: هذا ربي أي: على اعتقادهم، فلما غاب النجم ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ أي: لا أعبد هذا؛ لأن من كان هذا شانه لا يمكن أن يكون ربا ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ أي: طالعا ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ﴾ أي: حسب زعمهم واعتقادهم ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ أي: غاب ﴿ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ أي: سأكون من غير المهتدين إشارة إلى أن من يعبد هذا القمر سيكون ضالاً؛ لأنه لا يستحق أن

---

(١) سورة مريم الآية ٤٨ .

يكون رباً ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾ أي: طالعة ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ﴾ أي قال لهم: هذا ربي، فهي أكبر مما قبلها ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ ﴾ قال لهم: إني بريء مما تشركون والمراد أن هذه الكواكب التي رأيتموها تغيب، لا يمكن أن تكون ربّاً فأنا بريء ممن يعبدها، فهو بهذا قرَّب الحجة على قومه بعد أن أثبت أن من يغيب لا يمكن أن يكون ربّاً، وأن الذي يسيِّر هذه الكواكب حين تطلع وحين تغيب هو المستحق فعلاً للعبادة ثم قال لهم ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي: إني أعبد الرب الذي دل العقل والنظر على أنه الذي خلق السموات والأرض ومن فيهما، وأنه الذي أبدعهما وصنعهما، فهو المستحق للعبادة ﴿حَنِيفًا ﴾ أي: مائلاً عن الضلال الذي أنتم عليه وهو الشرك ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لست من الذين يشركون مع الله غيره كما تفعلون.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب محاربة الشرك، وعدم محبة أهله، ولو كانوا من الأقربين كما قال عز وجل ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ الآية[1].

(١) سورة المجادلة من الآية ٢٢ .

ومن الأحكام: أهمية الاستدلال بالمحسوسات في حال الدعوة إلى الله؛ لما في ذلك من تقريبها لعقل المدعوين. ومنها: وجوب الجهر بالبراءة من الشرك وأهله.

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾ أي: أنهم جادلوه في توحيده لله ومحاربته للمشركين ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ ﴾ أي: كيف تجادلونني هذه المجادلة الباطلة؛ لأن الإقرار بألوهية الله وتوحيده ليست محلاً للجدال ﴿ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ أي: دلني ربي على الحق وبصرني به، فأنا مؤمن بالله غير مشرك به ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ أي: لا أخاف من أصنامكم التي تعبدونها من دون الله ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ﴾ أي: لا أخاف أن ينالني سوء أو مكروه من آلهتكم أو من

غيرها إلا إذا شاء ربي أن يصيبني ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: له القدرة المطلقة على ذلك والمعنى أنهم خوفوه إذا أصر على محاربة آلهتهم أن تصيبه بسوء فرد عليهم أنه لا يخاف إلا من الله ولا يخشى إلا إيّاه؛ لأنه ربه وإلَهه ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تعقلون، فتميزوا بين الحق والباطل، فتعبدوا الله وحده، لا تشركون به شيئاً وتنتهوا عن عبادة الأصنام التي لا تنفعكم.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ استفهام إنكاري عليهم أي: لا أخاف من أصنامكم التي أعرف أنها حطام ميت لا معنى ولا قيمة لها ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ أي: كيف أخاف من الأصنام وأنتم لا تخافون من الله الذي يملك نفعكم وضركم ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: لم يقم لكم حجة على إشراك أحد معه ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هل هو الموحد لله المخلص له العبادة أم هو الذي يشرك مع الله غيره كما تفعلون؟ وقد صدقه الله وقضى بصدق وصواب حجته عليهم فقال عز ذكره ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: إن الذين آمنوا بالله وحده ولم يلبسوا إيمانهم بشرك ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ أي: هم الذين سيكونون آمنين في الآخرة من العذاب ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ في الدنيا بتوحيدهم لله وطاعته ونفي الشرك عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

الندب إلى مجادلة أهل الضلال، إما لتحقيق هدايتهم أو إقامة الحجة عليهم. وكان من سنة الأنبياء والمرسلين جدال المنكرين والمكذبين لهم؛ وذلك لإقناعهم برسالة الله لهم لإنقاذهم من الهلاك. والجدال يجب أن يكون بالحسنى كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[٢]. ومن الأحكام: أن أصحاب الذنوب والخطايا، هم الذين يخافون من أفعالهم، أما المؤمنون فلا يخافون؛ لأنهم يؤمنون أن الله معهم بعلمه وقدرته.

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾﴾.

---

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

بيان الآيات:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ آتيناها إبراهيم أي: ألهمناه إياها، وهي قوله وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ أي: بما نعطيه من نشاء من عبادنا من الفهم وقوة الحجة على من يجادله ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فيما يقدره بحكمته وإرادته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هذا بيان لما مَنَّ الله به على إبراهيم جزاء عبادته له وحده ودعوته إلى التوحيد ومحاربة الشرك وأهله فوهب له إسحاق وهو في حال الكبر هو وزوجته ووهب لإسحاق يعقوب فتناسلت منهما الذرية ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي: كل واحد منهم مَنَّ الله عليه بالهداية ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ هذا بيان من الله عزوجل بأنه هدى من قبلهم نوحاً ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي: ممن هدى من ذريته ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه بيان أنهم محسنون وذلك بطاعتهم لله، وتوحيدهم له، فجعلهم مهتدين ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بيان أيضاً من الله عز وجل أنه هدى هؤلاء الأنبياء، وجعلهم من الصالحين؛ وذلك لصلاحهم في

أنفسهم وقيامهم بدعوة قومهم إلى الله وإخلاص العبودية له وحده وتحذيرهم من عقابه إذا لم يستجيبوا له وكما هدى أولئك الأنبياء هدى آخرين منهم ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ ثم قال عز ذكره ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: فضلناهم على أهل زمانهم بما تميزوا به من التقوى والصلاح والزهد في الدنيا والتجرد لدعوة الناس إلى دين الله.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ المعنى هدينا بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ أي: اخترناهم للنبوة ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الدين الخالص لله وحده لا شريك له.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يلهم عباده المتقين قوة الحجة، والبرهان في دعوتهم إلى الله. وأن الله يمتن على أهل التوحيد، والإحسان بمنن كثيرة كالرزق، والولد، والهداية إلى الصراط المستقيم كما قال عزوجل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾(١).

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ

(١) سورة الطلاق من الآية ٤ .

ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى﴾ أي: ذلك الهدى الذي وهبه الله لهؤلاء الرسل هو هدى منه لهم ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: أنهم لو عبدوا غير الله لخسرت أعمالهم والمراد أن من أشرك مع الله غيره أياً كانت صفته سيحبط عمله ويكون من الخاسرين. وشاهده قول الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١). ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٢).

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ﴾ المراد بهم الأنبياء الذين ذكرهم في الآيات السابقة، وما أوتوا من الكتاب، كصحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: إن يكفر بهذه الآيات، وبالقرآن، المشركون في مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أي: عهدنا بالإيمان بها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ والمراد بهم المهاجرون الذين هجروا مكة من أجل دينهم، والأنصار الذين ناصروا وآمنوا بهذا الدين.

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٦ .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ المراد بهم الأنبياء الذين ذكرهم الله في الآيات السابقة ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ أي: اتبع طريقتهم في توحيد الله والإيمان به، وفي أصول الدين كالإيمان بالكتب المنزلة وبالرسل، وبالبعث، وغير ذلك من أصول الإيمان التي تتفق فيها الديانات السماوية ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ أي: لا أطلب منكم مالاً على القرآن حين أبلغكم به ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: بشرى للمتقين منهم بالثواب ونذارة للعاصين بالعقاب.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الشرك يحبط العمل لا محالة. ومن الأحكام: وجوب الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام وهذا من أركان الإيمان، والإيمان كذلك أن القرآن قد نسخ هذه الكتب. ومنها: تحريم أخذ الأجرة على الدعوة إلى الله، إلا إذا لم يكن للداعي مصدر رزق يسترزق منه، فيجوز له أخذ الأجرة بقدر حاجته؛ أما الأنبياء والرسل عليهم السلام فلم يأخذوا أجراً على دعوتهم، بل كانوا يكتسبون من عملهم.

قلت: ومن الأحكام في هذه الآية: مسألة التعبد بشريعة من قبلنا، وللعلماء في ذلك قولان: قول- بعدم جواز ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾[1]. فلا يجوز التعبد إلا بما

(١) سورة المائدة من الآية ٤٨ .

جاء به الإسلام، وقال بذلك بعض أصحاب الإمام مالك والشافعي[١].

القول الثاني- يرى جواز ذلك واستدل بقصة أخت الربيع أم حارثة، فقد جرحت إنساناً فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: (**القصاص القصاص**) فقالت أم الربيع: يا رسول الله أيقتص من فلانة ؟ والله لا يقتص منها ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**سبحان الله يا أم الربيع القصاص كتاب الله**) قالت: لا والله لا يقتص منها أبداً قال: فما زالت حتى قبلوا الدية فقال رسول الله ﷺ: (**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**) فأحال عليه الصلاة والسلام على قوله ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ الآية[٢].

كما استدل بما ورد في صحيح البخاري أن مجاهداً سأل ابن عباس عن سجدة في سورة (ص) فقال: سألت ابن عباس أفي (ص) سجدة؟ فقال: نعم، ثم تلا ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ .. ﴾ ثم قال: هو منهم. زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد وسهل بن يوسف عن العوام عن مجاهد قلت لابن عباس، فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٥ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحدود (القسامة)، باب إثبات القصاص في الإنسان وما في معناها، برقم (١٦٧٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٥٩٠، والآية في سورة المائدة من الآية ٤٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٤٤ .

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ماعرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قيل: المراد كفار قريش[1]. وقيل: إن الذي قاله مالك بن الصيف اليهودي حين خاصم رسول الله ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: (**أنشدك بالذي أنزل التوراة والإنجيل أما تجد في التوراة إن الله يبغض الحبر السمين سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود**) وكان هذا حبراً سميناً فغضب والتفت إلى عمر، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له قومه: ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك؟ فقال: إنه أغضبني وقد أبعدوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف[2].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٤٥٣ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٧٥، وزاد المسير ص٤٥٣، ومعالم التنزيل للبغوي ص٤٣٢.

﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ في هذا ردّ على قول اليهودي مالك بن الصيف إنه لم ينزل على أحد شيئاً والمراد به التوراة ﴿ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ أي: ضياء لليهود يسترشدون بها لعبادة الله وحده﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ ﴾ أي: أنهم جعلوا التوراة في ورق يبدون مايرونه منها، ويخفون مايرونه حسب أهوائهم.﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ أي: علمكم محمد ﷺ مما أوحى الله إليه مالم تعلموا وأنتم أصحاب التوراة ولم تعلمه حتى آباؤكم من قبل وشاهده أيضاً قول الله عز ذكره﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١).﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أي: قل يا محمد لليهود: الله الذي أنزل الكتاب على موسى وهو التوراة وأنزل علي الكتاب وهو القرآن﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: بعد أن تبلغهم هذا اتركهم يخوضون في باطلهم وما عليك إلا أن دعوتهم.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ ﴾ المراد به القرآن﴿ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ المراد أن الله بارك فيه؛ ليكون نافعاً لمن آمن به وصدق به واتبع مافيه من الأحكام﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: أنزله مصدقاً للكتب التي أنزلت من قبل فيما يتعلق بتوحيد الله ونفي الشرك عنه﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ أي: لتنذر به أم القرى (مكة) والمراد أهلها في تحذيرهم من

---

(١) سورة النمل الآية ٧٦ .

الاستمرار في الشرك ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: تنذر أهل الأرض ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ المراد بهم من اتبع رسول الله ﷺ وآمن به وصدق برسالته ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: قائمون بها محافظون على أدائها في أوقاتها، وخص الصلاة بالذكر؛ لأنها عماد الدين ومن يضيعها يضيع دينه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير سوء سلوك بعض أسلاف اليهود وإنكارهم لنزول التوراة كما فعل مالك بن الصيف، وإرشاد الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ في الرد عليه، ومن قال بقوله. ومن الأحكام: الحكم بأن الله أنزل كتابه المبين يصدق الكتب السابقة فيما يتعلق بتوحيد الله وطاعته ونفي الشرك عنه، كما أن هذه الكتب تصدقه. ومن الأحكام: الثناء على الذين يؤمنون بالقرآن وعلى إيمانهم بالبعث، وعلى محافظتهم على الصلاة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ

ءَايَـٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم ممن افترى أي: اختلق على الله الكذب ﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ المراد به مسيلمة الكذاب في اليمامة، وزوجته سجاح، والأسود العنسي في اليمن الذين زعموا أنهم أنبياء، وأن الوحي ينزل إليهم[1]. ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ قيل: إنها نزلت في عبد الله بن سعد أبي سرح كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد وعاد للمشركين في مكة؛ والسبب كما ذكر المفسرون أنه لما نزل قول الله ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾[2] دعاه رسول الله ﷺ فأملاها عليه فلما انتهى إلى قوله ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾[3] عجب في تفصيل الخلق فقال ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[4] فقال رسول الله ﷺ:

(١) سبقت ترجمتهم.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٢.

(٣) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٤) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(**هكذا أُنزل علي**)، فشك عبد الله حينئذ وقال: لقد أوحي إلي كما أوحي إلى محمد، فارتد عن الإسلام، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة أمر بقتله ففر إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ فاستأمنه له، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً وقد أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، وقد ولاه عثمان مصر وفتحت إفريقية على يديه. وقيل: إنه دعا ربه أن يجعل خاتمة عمله في صلاة الصبح وقد قبل الله دعوته، فلما صلاها وسلم عن يساره قبض الله روحه[1].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: لو رأيت الظالمين في شدة الموت وأهواله، والمراد بهم اليهود المكذبون للوحي والمتنبئون الذين يزعمون أنه يوحى لهم ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لكي يقبضوا أرواحهم ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي: أنقذوها من العذاب الذي ينتظرها إن كنتم تقدرون على ذلك، وفي هذا توبيخ لهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: هذا هو اليوم الذي تجزون فيه العذاب المهين؛ جزاء أعمالكم السيئة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: تجزون بالعذاب؛ جزاء كذبكم على الله واستهانتكم بأحكامه ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: وتجزون اليوم العذاب بما كنتم تعرضون عن آيات الله إعراض المتكبر المتجبر.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٧٥-٣٧٦، ومعالم التنزيل للبغوي ص٤٣٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٤٥٤ .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ أي: آحاداً ﴿ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: على الصفة التي خلقناكم فيها لا تملكون شيئاً ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ أي: تركتم وراءكم في الدنيا الأموال والأولاد التي أعطيناكم إياها لا ينفعكم منها شيء ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ﴾ أي: الذين كنتم تعبدونهم من الأصنام والأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾ المراد بهم الذين جعلوهم شركاء لله. ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: انتهت الصلة التي بينكم وبينهم ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي: ذهب عنكم ماكنتم تزعمون من شفاعة الأصنام ونفعها. وشاهده قول الله جل ذكره ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾[1]. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[2].

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم الكذب على الله، وأنه لا أحد أظلم ممن يكذب عليه عزوجل. ومن الأحكام: تحريم ادعاء النبوة، وأنه لا أحد أظلم ممن

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٦٧ .

يدعيها. ومنها: تقرير شدة سكرات الموت إلا من هونه الله عليه. ومن الأحكام: تقرير العذاب والهوان للذين يتقولون على الله ويستكبرون عن عبادته. ومنها: انتفاء الشفاعة يوم القيامة إلا لمن أذن الله أن يشفع، وأول الشفعاء نبينا ورسولنا محمد ﷺ كما قال عز وجل ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ (١). وقوله عز ذكره﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ (٢).

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٩٩) ﴾ .

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

بيان الآيات:

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ المراد به الشق الذي يكون في وسط حبة النبات كحبة البر ونواة التمر ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: يخرج النبات الحي من الحب، ويخرج الميت من الحي أي: البيضة من الدجاجة. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أن الذي خلق الحب والنوى ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو الله الخالق القادر ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تحيدون عن الحق، وتميلون إلى الباطل.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ أي: الذي خلق الضوء، وجعله ضياء للخلق في معاشهم ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ أي: الذي جعل الليل راحة لهم يسكنون فيه ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي: ومن آيات الله أن الشمس والقمر يجريان بحساب متقن لا يتغير، ولا يتبدل، أو يضطرب ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ أي: كل هذه الأشياء تجري بقدرة الله وتسييره وحكمته.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ أي: ومن كمال قدرته، وعظيم صنعه أن جعل لخلقه النجوم والأجرام ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾ أي: لترشدكم وأنتم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ حتى لا تضلوا السير فيهما ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: بيناها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لقوم يعلمون قدرة الله وآياته.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ المراد به آدم عليه السلام ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ أي: كنتم مستقرين في الأرحام ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ أي: في صلب آبائكم ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ أي: بيناها، وأوضحناها للذين يفقهون حقيقة قدرة الله في خلق الخلق من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ ﴾ المراد به المطر ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ أي: جميع النباتات وأصنافها وشاهده أيضاً قوله جل ذكره ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ﴾[1]. ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا ﴾ أي: جعلنا من الماء كل شيء أخضر من النباتات في مختلف أنواعها ﴿نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا ﴾ أي: يركب بعض هذا الحب على بعض في شكل متناسق كحال سنابل القمح وسائر الثمرات. ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ ﴾ أي: أن النخل يطلع قنوانا، أي: عذوقها من الرطب قريبة من تناولكم ﴿وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ ﴾ أي: وأخرجنا لكم جنات من العنب المختلف في ألوانه، وأصنافه ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ﴾ أي: أن الزيتون والرمان متشابه في الورق والأغصان وغير متشابه في الثمر. ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ ﴾ أي: تفكروا في إنشائنا لهذه الجنان

(١) سورة الأنبياء من الآية ٣٠ .

والثمار وقدرتنا على تكوينها نفعاً لكم في دنياكم. ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي: وانظروا كذلك إلى نضج هذه الثمار، وما فيها من المنافع لكم. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن هذه الآيات لا يصدق بها إلا المؤمنون الذين وقر الإيمان في قلوبهم، فعرفوا صنع الله وما وهبه لخلقه من المنافع والأرزاق.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان قدرة الله عز وجل في صنع أكبر المخلوقات، كالسموات والأرض، وصنع أصغرها كشق نواة التمرة، أو حبة القمح. ومن الأحكام: بيان امتنان الله على خلقه في خلق الضوء لهم، وجعل الليل سكناً لهم والنهار مبصراً لهم، وجعل الشمس والقمر يجريان في نظام دقيق. ومنها: امتنانه على خلقه بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، ومن مظاهر قدرته عزوجل إنزال المطر من السماء، وإنبات النبات في مختلف مظاهره، وأشكاله، وكل هذه المظاهر تدرك بالمحسوس والمشاهد، وهي دلالة واضحة للذين يعقلون بأن الذي صنعها وقَدَّرها هو الله عز وجل المستحق وحده للعبادة والتعظيم.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾ المراد بهم مشركو العرب فإما أن يكونوا يعبدون الجن، بمعنى أنهم يلجؤون إليهم في جلب النفع لهم أو دفع الضر عنهم، أو يكون المراد أنهم ما عبدوا الأصنام إلا طاعة للجن وشاهده قول الملائكة ﴿ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[1]. ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ أي: أن الله هو الذي خلق الجن، كما خلق المشركين ﴿ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ ﴾ والمراد أن المشركين كذبوا حين قالوا: الملائكة بنات الله. كما كذب اليهود حين قالوا: عزير بن الله. كما كذب النصارى حين قالوا: المسيح بن الله وهذا ضلال مبين. ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي: لا علم لهم بذلك، وإنما هو جهلهم وضلالهم ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي: تقدس في أسمائه وصفاته، وتنزه عن الولد وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: صانعهما وخالقهما ومبدعهما

---

(١) سورة سبأ من الآية ٤١ .

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي: كيف يكون له ولد ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ أي: أن الولد إنما يكون من زوج وزوجة، وحاشا الله أن يكون على هذه الصفة فهو متفرد في ذاته القدسية، وصفاته العلية ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: هو خالق كل شيء في الوجود، ومن يخلق المخلوقين لا يكون مثلهم، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ توكيد بأن الذي خلق كل الأشياء وعَلِمَها، لا يمكن أن تكون له صاحبة، أو ولد من خلقه.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لما ذكر الله تعالى أنه منزه عن الصاحبة والولد، وأنه بديع السموات والأرض قال: ذلكم الله ربكم المتعالى في ملكوته. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لايوجد إلَه إلا هو ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: الذي خلق الخلق وقدر أرزاقهم ومحياهم ومماتهم وبعثهم ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: أدوا عبادته، وتوحيده، وطاعته ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي: رقيب وحفيظ.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: لا يدركه بصر، ولا يحيط برؤيته بشر في الدنيا، والأصل فيه قوله عز ذكره في كتب متقدمة لموسى لما سأله الرؤية (**ياموسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده**)[١]. وقوله ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٥٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص١١٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ الآية[١]. والأصل فيه ماذكره مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب؛ فإن الله تعالى قال ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٢] أما في الآخرة: فإن المؤمنين يرون ربهم حيث أخبر عن ذلك بقوله عز ذكره ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[٣]. ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٤].

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: يعلم كل شيء في الوجود ولا يخفى عليه منه خافية. ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ أي: الرفيق المتلطف بعباده ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأحوالهم وأعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أنّ من الإنس من عبد الجن وأشركهم مع الله في العبادة، ويدخل في هذا قدماء المشركين والكفار كما يدخل فيه السحرة الذين يطيعون الجن فيذبحون لغير الله. ومن الأحكام: التنديد بالذين ينسبون الولد لله، كما كان مشركو العرب يقولون إن الملائكة بنات الله، وما يقوله بعض النصارى بأن عيسى ابن الله، فتنزه

---

(١) سورة الشورى من الآية ٥١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (١) من سورة النجم برقم (٤٨٥٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٧٢ .

(٣) سورة القيامة الآية ٢٢ .

(٤) سورة القيامة الآية ٢٣ .

الله وتقدس عما ينسبه إليه الظالمون. ومن الأحكام: تقرير توحيد الربوبية والألوهية. ومنها: الحكم بأن الله لا يُرى في الدنيا؛ أمَّا في الآخرة فيراه المؤمنون وهذا غاية ما يتمنونه وهم في دار كرامته.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ البصائر الآيات والبينات التي جاءت من عند الله على لسان رسوله محمد ﷺ ويستدل بها العقلاء على الإيمان بالله وتوحيده واتباع شرعه. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ﴾ أي: من استدل بها وآمن بالله، وبرسوله، فقد نجا. ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ﴾ أي: من أعرض عن هذه البينات، فقد هلك وشاهده قول الله تعالى ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[1]. ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: ليس من مهمتي حفظكم، فلست إلا مبلغاً لرسالة ربي.

(١) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: نفسرها، ونفهمها لمن يريد الهداية كما قال عز وجل ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[1].

﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ أما الذين لا يهتدون ولا يرغبون في بيان الحق الذي جئت به يا محمد فيقولون إما أنك ﴿دَرَسْتَ﴾ أي: نلت الدرس من غيرك حتى لا ينتفعوا بما جئت به كقولهم: ما هذا إلا أساطير الأولين أو يقولون: لقد دارست أهل الكتاب فتعلمت منهم ولم يوح إليك من عند الله بشيء وهذا منتهى الكفر والضلال. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: تبيين القرآن وتصريفه. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الذين وهبهم الله العقول التي يستبصرون بها طريق الهدى من الضلال.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: المتفرد بالألوهية، ولا تحزن على فعلهم وكفرهم فذاك متروك لله ليحاسبهم عليه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هذا منسوخ بنزول آية القتال[2].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ أي: أن شركهم كان بمشيئته، لعلمه أنهم لا يهتدون ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: لا تستطيع حفظهم من عذاب الله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: إنك مبلغ لهم ما أوحي إليك ولست وكيلاً عنهم.

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٤٦٠ .

أحكام ومسائل الآيات:

بيان أن الله قد أرسل البينات لخلقه على لسان رسوله ونبيه محمد ﷺ، فمن اتبعها فقد سلك الطريق السوي الذي يوصله إلى السعادة في الدارين، ومن تولى عنها فقد سلك طريق الضلال الذي يؤدي به إلى الهلاك. ومن الأحكام: أن الله عز وجل فسر الآيات ويسرها لمن يبتغي الحق الذي جاء به رسوله ﷺ؛ أما الذين لا يريدون اتباع هذا الحق فيتهمون الرسول بالكذب عياذاً بالله منهم. ومن الأحكام: وجوب اتباع كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، والإعراض عن أقوال الكفار، وأهوائهم، وأباطيلهم. ومنها: تسلية رسول الله ﷺ بألا يحزن على إشراك المشركين وكفرهم، فلو شاء الله عدم إشراكهم لما أشركوا ولكنهم ضلوا في أنفسهم فأضلهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا تتعرضوا بالسب للذين يدعون من دون الله ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ وفي هذا ذكر ابن عباس أن كفار قريش قالوا لأبي طالب: إما أن تنهى محمداً وأصحابه

عن سب آلهتنا، وإما أن نسب إلَهكم ونهجره فنزلت الآية[١]. ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً وضلالاً. ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي: وكما زينا لهؤلاء تعظيم أصنامهم والدفاع عنها فقد زينا مثل هذا العمل لغيرهم من الأمم السابقة .

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ أي: معادهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: سيلقون ما كانوا يعملونه فيحاسبون عليه.

أحكام ومسائل الآية:

الأصل منع مايؤدي إلى المحظور، ودرء المفسدة أولى من جلب المنفعة، والتعرض للكفار بالسب قد يؤدي إلى المحظور، وهو سب الله أو سب رسوله محمد ﷺ، أو سب الإسلام، فمتى كان الكفار في قوة وسلطة من أمرهم وجبت موادعتهم حتى لا يؤدي التعرض لهم إلى مفسدة أكبر من المصلحة في التعرض لهم بالسب ونحوه، وسد الذرائع مما توجبه أحكام الشريعة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **(من الكبائر شتم الرجل والديه)** قيل: يارسول الله هل يشتم الرجل والديه؟ قال: **(يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)**[٢].

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٧٧-٣٧٨، ومعالم التنزيل للبغوي ص٤٣٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٩٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٢٤ .

إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: حلفوا ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: غايتها ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: لو جاءتهم معجزة من المعجزات التى تعطى للأنبياء ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ أي: يصدقونها ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن مرجع هذه الآيات إلى الله ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعله دخل في نفوس المؤمنين أن تنزل على المشركين آية من الله حتى يؤمنوا، فأنزل الله هذه الآية أي: ومايدريكم أيها المؤمنون أنه إذا جاءتهم آية يؤمنون بها بل هم يسألونها تعنتاً وتعجيزاً، وليس هدفهم الاستهداء والاستنارة بها إلى الطريق الحق.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ لما ذكر الله عز وجل أنهم حلفوا أيمانا مغلظة بأن يؤمنوا إذا جاءتهم معجزة ذكر حقيقة أحوالهم وعدم هدايتهم ولو قالوا ما قالوا فقال ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ

وَأَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ أي: نحول بينهم وبين الإيمان لعدم صدقهم فيما يقولون عن رغبتهم في الإيمان إذا جاءتهم معجزة ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: أنهم لا يؤمنون، كما لم يؤمنوا بالقرآن أول ما نزل ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: نتركهم في ضلالهم حيارى لا يهتدون سبيلاً.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ﴾ أي: لو أرسلنا لهم الملائكة فرأوهم بأعينهم ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي: لو أحيينا الموتى فكلموهم جهاراً ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ أي: لو أتيناهم بما طلبوه من الآيات والمعجزات ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ أي: مع كل ذلك لن يؤمنوا إلا أن يشاء الله أن يهديهم، فهو الهادي، ومصرف القلوب ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أي: يجهلون في طلبهم الآيات حكمة الله وتدبيره في عباده.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن مجرد القول لا يدل على صدقه فقد يقول قائل إنه مؤمن ويحلف أيماناً مغلظة ولكنه ليس كذلك ولأن الله يعلم عدم صدقه يحول بينه وبين الإيمان فيجعله حيران لا يهتدي إليه سبيلاً.

ومن الأحكام: تقرير أنّ الذين لا يصدقون في قولهم لن يؤمنوا حتى لو رأوا الملائكة جهاراً أو كلمهم الموتى أو أوتوا ما طلبوا من الآيات.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ عما أصابه من قومه والمراد أنه كما تعرضت يا محمد للعدوان من قومك، فقد حدث لكل نبي قبلك أعداء. ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ أي: أعداء من هذين الجنسين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الإيحاء هنا بمعنى التمويه والوسوسة التي يقوم بها شياطين الجن إلى شياطين الإنس، ويزخرفون لهم الباطل؛ ليغروهم به وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**) قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: (**وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق**)(١). ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: ما فعلوا هذا التمويه؛ لأن كل شيء بحكمته وإرادته. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: اتركهم وما يفعلونه من التمويه؛ فإن الله ناصرك وسيلقون جزاءهم على كذبهم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج١ ص٣٨٥، والدارمي في كتاب الرقاق، باب ما من أحد إلا ومعه قرينه من الجن، برقم (٢٧٣٤)، سنن الدارمي ج٢ ص٣٩٦ .

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ أي: لتميل إليه ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: لتميل إلى كذبهم وتمويههم قلوب الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ أي: ويرضوا بهذا الكذب وليرتكبوا بفعلهم تلك الخطايا والسيئات.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله جعل لكل نبي أو داعية إلى الدين عدواً من شياطين الإنس والجن، يكيدون له ويعادونه، وقد تصل هذه العداوة إلى حد القتل كما حدث لبعض أنبياء بني إسرائيل. وفي هذا التقرير تسلية لرسول الله ﷺ عما وجده من قومه. ومن مسائل الآيتين تحريم الخداع والتمويه بالباطل، وأنه لا يصغي له إلا الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ أي: قل يامحمد للمشركين الذين كذبوك: أأطلب غير الله حكماً بيني وبينكم؟ وهو الحكم الحق الذي خلقكم ورزقكم ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ أي: بيّن لكم في القرآن عظيم قدرته وسلطانه ودلائل آياته ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ المراد بهم اليهود والنصارى ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: يعلمون أن القرآن منزل من عند ربك تنزيلا بينا لا شك فيه ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي: لا تكونن من الشاكين في علمهم أنه منزل من عند الله، فهم يعرفون ذلك حقيقة كما يعرفون أبناءهم وشاهده قول الله جل ذكره ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(١).

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: أحكامه ﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ أي: صدقاً في الوعد؛ لأنه لا يخلف الميعاد وعدلاً فيما حكم وقضى به وشاهده قوله عز وجل ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾(٢). ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أي: لا معقب لما حكم وقضى به ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما يقوله عباده ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بسرائرهم وخفاياهم.

---

(١) سورة يونس الآية ٩٤ .

(٢) سورة التين الآية ٨ .

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: الكفار والمشركين ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: عن الطريق الذي هداك الله إليه وهو طريق الإسلام.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: إن هؤلاء الكافرين لا يعرفون إلا الظن الكاذب الذي لا يستند إلى علم ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ أي: إن عملهم هو مجرد التخمين والخرص الذي لا يوصل إلى حقيقة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ﴾ أي: إن ربك يا محمد يعلم من يضل عن سبيله من الخلق وسوف يجازيه على هذا الضلال ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ وهو أعلم كذلك بالذين يريدون الهداية فيرشدهم إليها.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام: تحريم التحاكم إلى غير الله والمراد به كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ كما قال تعالى ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[1]. ومنها: أن أحكام الله المنزلة في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ كلها حق وصدق وعدل. ومنها: الحكم بأنه لا راد ولا معقب لما حكم الله به وقضى به على عباده. ومنها: الحكم بأنه يعلم بعلمه المطلق من يضل عن سبيله من الخلق، ومن يدعو إليه وسوف يجازي كلا بعمله.

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٠ .

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١١٨ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ١١٩ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾.

بيان الآيات:

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ هذا أمر من الله لعباده أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من المطعومات وغيرها مما هو في حكمها ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: في حال كونكم مؤتمرين بشرعه وأحكامه.
﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ المراد من الذي يمنعكم من أكل ماذكر اسم الله عليه ﴿وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ﴾ المراد لماذا لا تأكلون مما ذكر اسم الله عليه وقد بيَّن لكم الله الحلال والحرام من الطعام والشراب. ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ﴾ أي: فصل لكم الحلال والحرام حيث حرم عليكم الميتة والدم وغيرهما، إلا إذا اضطررتم إلى ذلك للحفاظ على أنفسكم من المجاعة أو العطش.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ أي: إن كثيراً من المشركين ومن في حكمهم من الكفار يضلون الناس ﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: يتكلمون عن الذبح، وعن الحلال، والحرام، بجهل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: هو العليم باعتدائهم وكذبهم على الله.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ أي: اجتنبوا المعاصي في علانيتها وسرها؛ لأنها إثم وخطيئة في أي: صورة كانت عليها. وشاهده قول الله عز ذكره ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[١]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ أي: إن أهل المعاصي سيجزون على ما يقترفونه منها سواء فعلوا ذلك سراً أو علانية.

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: إن الله حرم عليكم أن تأكلوا ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها. ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ أي: الذبح بغير التسمية باسم الله وشاهده من السنة أحاديث كثيرة منها قول رسول الله ﷺ: (**من ذبح قبل الصلاة** (المراد الأضحية) **فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح حتى صلينا فليذبح على اسم الله**)[٢]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**ما أنهر الدم وذكر اسم**

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب قول النبي ﷺ فليذبح على اسم الله، برقم (٥٥٠٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٥٤٦ .

الله عليه فكل)[١]. ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ أي: إن الشياطين يلهمون الكذب والتمويه وغرور القول لأوليائهم والمصدقين لهم. ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ بالباطل كقول المشركين للمسلمين: أنتم تزعمون أنكم تتبعون أحكام الله ومرضاته فما لكم تأكلون ما ذبحتم ولا تأكلون ما قتل الله (يقصدون الميتة) ؟ فقال الله عز ذكره ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ أي: في قولهم بأكل الميتة ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ أي: مثلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب التسمية عند ذبح الأنعام وكل ما في حكمها، وهذا واضح بدلالة صريح الآية بأن ترك التسمية فسق، فإن ترك التسمية فله حالتان: إذا كان تركها ناسياً غير متعمد حلت ذبيحته عند أكثر العلماء؛ لأن الناسي لا يسمى فاسقاً؛ ذلك أن النسيان مما يجوز على الإنسان ويعذر فيه؛ لقول رسول الله ﷺ: **(إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)**[٢]. الحالة الثانية: إن ترك التسمية عامداً لم يحل أكل ذبيحته والاحتجاج بحديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: **(اسم الله على كل قلب مؤمن يسمي أو لم**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب التسمية على الذبيحة ومن ترك متعمداً، برقم (٥٤٩٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٥٣٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٤٣)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٩، والمشكاة برقم (٦٢٨٤)، وقال الألباني صحيح.

يسمِّ)(١). لا يصح؛ لأن هذا الحديث ضعيف. هذا في خصوص التسمية عند ذبح الأنعام، أما في العموم فإن المسلم يسم الله عند أكله لقول رسول الله ﷺ للغلام: (**سم الله وكل بيمينك**)(٢). كما يسم الله عند وضوئه لقوله عليه الصلاة والسلام: (**لا وضوء لمن لا يذكر اسم الله عليه**)(٣). كما أن المسلم يسم الله عند مجامعته لأهله وفي الكثير من أقواله وأفعاله طلباً لبركة الله وعونه.

ومن الأحكام: حل ما اضطر إليه العبد لإنقاذ نفسه من الهلاك ومن ذلك أكل الميتة ونحوها. ومنها: تحريم اتباع أهل الباطل وأهل الأهواء. ومنها: وجوب ترك الإثم في ظاهره وباطنه. ومن الأحكام: تحريم أكل مالم يذكر اسم الله عليه، مالم يكن ذلك نتيجة السهو. ومن الأحكام: تحريم طاعة الشياطين ومن في حكمهم، فمن فعل ذلك فقد أشرك.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا

---

(١) ذكره الإمام ابن كثير في تفسير القرآن العظيم بلفظ «اسم الله على كل مسلم» وقال: إسناده ضعيف ج٢ ص٦١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم (٢٠٢٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج٩ ص٥٥٢١.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، برقم (١٠١)، سنن أبي داود ج١ ص٥١، كما أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد في المسند ج٢ ص٤١٨.

جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ في هذه الآية ضرب الله مثلاً للتفرقة بين المؤمنين والكافرين، أي: أن من كان قبل الإسلام غارقاً في الغواية والإثم، ثم هديناه للإسلام فاتبع ما أمرنا به وانتهى عما نهينا عنه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ وهو القرآن فيحل الحلال ويحرم الحرام فالجواب أنه ليس ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وهو الغارق من الجهل والضلال فيحرم الحلال ويحل الحرام ونظيره قول الله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾(١). ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: أصبح غارقاً فيها لا يستطيع الخروج منها ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: أن الشيطان زين للمشركين سوء أعمالهم فأرداهم في الغواية والضلال.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ في هذا تسلية لرسول الله محمد ﷺ عما أصابه من المشركين، أي: أن ما أصابك من كبار كفار قريش كأبي لهب، وأبي جهل، قد حدث للأنبياء

---

(١) سورة فاطر من الآية ٢٢.

قبلك ممن عصاهم قومهم وتصدى لهم كبارهم بالتكذيب ونظيره قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1]. قوله ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ أي: ليفسدوا فيها ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ما يفسدون إلا أنفسهم؛ لما سينالهم من الحساب والجزاء على إجرامهم وتكذيبهم للرسل. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: بعاقبة فسادهم لفرط جهلهم وسوء إدراكهم.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ مازال السياق في أحوال المشركين وسلوكهم وذكر جهلهم، فإذا جاءهم برهان من الله وموعظة قالوا: لن نؤمن بما قيل حتى نكون أنبياء تنزل علينا الملائكة مثل ما كانت تنزل على الرسل ونظيره أيضاً ماذكره الله عنهم بقوله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾[2]. قوله ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي: هو العالم بمن يكلفه بالرسالة من خلقه فلو علم فيهم خيراً لكلف أحداً منهم بالرسالة، ولكنه كلف بها محمداً ﷺ؛ لعلمه أنه أهل لها؛ لصدقه وأمانته وعفافه وطهره. ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: سينال المشركين والمجرمين

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٣١ .

(٢) سورة الفرقان من الآية ٢١ .

الذين قالوا هذا القول صغار أي: ذلة وهوان عند الله يوم يعرضون عليه ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: عذاب أليم ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي: يخدعون ويموهون ويجادلون بالقول الباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المؤمن حي في الدنيا والآخرة بمعنى أنه حي في الدنيا باطمئنانه فيها ورضاه بما حباه الله به من الهداية، وحي في الآخرة بما يناله فيها من النعيم المقيم، وهذا على خلاف الكافر الذي حياته ظلام في الدنيا، لبعده عن طريق الله وظلام في الآخرة بما يناله من الهوان والعذاب. ومن الأحكام: تسلية رسول الله ﷺ عما أصابه من قومه؛ لأن ما أصابه منهم سبق أن حدث للأنبياء قبله. ومن مسائل الآيات أن كثيراً من البلاد لا تخلو من مجرمين يفسدون فيها كما قال تعالى ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾(١). ومن الأحكام: أن من يفسد ويمكر في الأرض يرتد عليه مكره وفساده. ومنها: تقرير غباء وجهل المشركين وكونهم لا يؤمنون إلا إذا أنزل الله عليهم مثل ما ينزل على أنبيائه والحكم بأن العذاب سينالهم جزاء عدم إيمانهم.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن

(١) سورة النمل الآية ٤٨ .

يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (١٢٥)﴾.

بيان الآية:

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ لقد بيَّن الله لعباده سننه وأحكامه في عباده، فمن يشرح صدره لأوامر الله ويتبعها؛ فإنه يرحمه ويرأف به ويوفقه للإسلام، فتنشرح لذلك نفسه ويطيب خاطره وهذا دليل سعادته ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ أي: أن من يضيق صدره بأوامر الله، فإن نفسه تكتئب وتضيق﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: أنه من شدة مايعانيه من الضيق بسبب فقده الإيمان يتكلف ما لا يستطيع مثله في ذلك مثل من يحاول الصعود إلى السماء وهو محال وهذا دليل على شقائه ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: جعل الله اضطراب العقل، وسوء البصيرة على الذين لا يؤمنون به.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من يتبع أوامر الله، وينتهي عن نواهيه يشرح الله صدره للإسلام فتطمئن نفسه، ويكون على نور من ربه، كما قال عزوجل﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (١).

(١) سورة الزمر من الآية ٢٢ .

الحكم بأن من يعرض عن أوامر الله ويرتكب محارمه يضيق صدره وتكتئب نفسه ويضطرب عقله وتعمى بصيرته.

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ ﴾ الخطاب لرسول الله محمد ﷺ والمراد أن ما أنت عليه وأتباعك إنما هو صراط الله المستقيم الذي ارتضاه لكم ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ ﴾ أي: بيناها ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي: من كان لهم علم ووعي وفهم لما أنزل الله من هذه الآيات.

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ ﴾ أي: ضمن الله للمتذكرين دار الله أي: الجنة التي وصفها بدار السلام ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ أي: ناصرهم ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: جزاء لهم على إيمانهم وتذكرهم لآيات الله.

من الأحكام: الحكم بأن الله ارتضى لرسوله محمد ﷺ وأتباعه الصراط المستقيم الذي من سلكه فاز في الدارين ومن ضل عنه هلك فيهما. كما قال عز وجل ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴾[1]. ومنها: أن الذين يتذكرون آيات الله ويستقيمون على طريقه المستقيم يجزون بدخولهم الجنة دار الكرامة عند ربهم.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ أي: يوم تحشر الخلائق يوم القيامة ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ ﴾ المراد ينادي الله الجن فيقول قد استكثرتم من إضلال الإنس وإغوائهم ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ والمراد أن الإنس استمتعوا من الجن حيث زينوا لهم المعاصي واستمتع الإنس بالجن، فكانوا إذا

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

نزلوا وادياً استعاذوا من الجن وشاهده قول الله عز ذكره ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[١].

قوله ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ أي: يوم البعث ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ أي: منزلتكم التي لا تخرجون منها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي: كتب عليكم البقاء فيها أبد الآبدين ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فهو المرجع والحكم في كل شيء.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ أي: نسلط بعض الظالمين على بعض كما هو الحال في تسلط شياطين الجن على الإنس ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: بسبب سوء أعمالهم.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي يقال للجن والإنس يوم يحشرهم الله: ألم يأتكم رسل منكم يبلغونكم رسالة الله إليكم؟ وقد تم هذا البلاغ للإنس عن طريق الرسل، كما تم للجن عن طريق رؤسائهم الذين كانوا يستمعون للرسل ومنهم رسول الله ﷺ وشاهده قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[٢]. ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا

---

(١) سورة الجن الآية ٦ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٩ .

أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(١)]. ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[(٢)]. وقوله عز ذكره ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[(٣)]. ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾[(٤)].

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ أي: يُفَصِّلون لكم ما أنزلته من الآيات ﴿ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ ﴾ أي: كان رسلنا يحذرونكم من هذا اليوم الذي تحاسبون فيه وتجزون على أعمالكم ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ ﴾ أي: يقولون إن الرسل بلغونا رسالة الله. ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: أن الذي منعهم من الإيمان وتصديق الرسل هو مَا سَوَّلَه لهم الشيطان من الغرور بالحياة الدنيا. ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ أي: أقروا واعترفوا بكفرهم وضلالهم.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: إرسال الرسل إلى الإنس والجن ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ أي: أن ربك يا محمد لم يكن يهلك أهل القرى قبل أن يرسل إليهم رسلاً؛ لأن من حكمته وإرداته في خلقه ألا يظلم

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٠ .
(٢) سورة الأحقاف الآية ٣١ .
(٣) سورة الجن الآية ١ .
(٤) سورة الجن الآية ٢ .

أحداً منهم وشاهده قوله عز ذكره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[١]. وقوله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٢]. وقوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٣]. ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ أي: لم يأتهم نذير من قبل، يدلهم على الهدى ويبصرهم الحق.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: لكل واحد من الجن والإنس درجات حسب عمله في الخير أو الشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إنه عالم بكل عمل يعمله الإنس والجن وسوف يحاسبون عليه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما يجري بين كفرة الجن والإنس من التعاون على الخبث والضلال، كما هو الحال في تعاونهم على السحر ونشر الفساد. ومن الأحكام: تولي الظالمين لبعضهم جزاء أفعالهم فمن يستسلم من الإنس لشياطين الجن يسلطه الله عليه فيتولاه. ومنها: أن الله عزوجل قد أعذر الإنس والجن بإرسال الرسل لهم؛ فمن اتبعهم فقد عصم نفسه وأنجاها، ومن أعرض عما جاؤوا به فقد أهلكها. ومنها: أن لكل من الإنس والجن جزاءه على عمله من الخير أو الشر.

---

(١) سورة النساء من الآية ٤٠ .

(٢) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

(٣) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ﴾ أي: الغني في ذاته العلية والغني عن خلقه كما قال عز وجل ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾(١). ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(٢). ﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ ﴾ أي: الرحيم لمن أطاعه واتقاه كما قال عزوجل ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣). ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أي: إن يشأ يستأصلكم ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ أي: يخلق خلقاً آخر غيركم، لا يكونوا مثلكم في المعصية ﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ أي: يفعل ذلك بقدرته كما أنشأ آخرين من قبلكم وشاهده قوله عز ذكره ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٧ .

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٨ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٥٦ .

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾[١]. وقوله تقدست أسماؤه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[٢].

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ﴾ أي: إن الذي توعدون به أيها المشركون المكذبون لرسالة الله وما جاء به نبيه آت لا محالة. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لن تعجزوا الله في شيء.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: قل لهم يامحمد ابقوا على عملكم من الكفر وهذا تهديد لهم. ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ أي: باق على ما أنا عليه من الإسلام والإيمان بالله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: سوف ترون يوم الحساب أن العاقبة الحسنة ستكون للمتقين، وأن العاقبة السيئة لكم بسبب شرككم وكفركم. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ توكيد أن المشركين لا ينتصرن وقد تحقق ذلك فانتصر رسول الله ﷺ وأتباعه وانهزم المشركون فكان لهم الخسران والهوان في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله عز وجل غني عن عباده، فلا تنفعه طاعتهم ولا

---
(١) سورة النساء الآية ١٣٣ .

(٢) سورة محمد من الآية ٣٨ .

تضره معصيتهم. الحكم بأن وعد الله للمشركين بالعذاب واقع لا محالة وقد يكون هذا العذاب معجلاً لهم في الدنيا أو مؤجلاً لهم في الآخرة. ومن الأحكام: أن الله قادر على إبادة الخلق والإتيان بغيرهم. ومنها: تهديد المشركين بالعذاب إذا استمروا على شركهم وهذا الحكم عام في كل زمان ومكان.

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ

خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾

قال ابن عباس: رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا حرثاً أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منه جزءاً، وللوثن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه، وأحصوه، وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن فسقى شيئاً جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن، وإن سقط شيء من الحرث والثمر الذي جعلوه لله فاختلط بالذي جعلوه للوثن قالوا: هذا فقير ولم يردوه إلى ما جعلوه لله، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن، وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي، فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرمونه قربة لله فقال الله تعالى ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ﴾[1]. وقيل: المراد أنهم إذا ذبحوا مالله ذكروا عليه اسم أوثانهم، وإذا ذبحوا لأوثانهم لم يذكروا عليه اسم الله[2]

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص٤٠-٤١، والدر المنثور ج٣ ص٨٨-٨٩، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٧١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٩٠ .

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: بئس عملهم فالله جل وعلا لا يقسم له من خلقه فهو خالقهم وخالق نباتهم وأنعامهم وزروعهم فتعالى وتقدس عما يقول الظالمون.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾ لما بيَّن الله جل وعلا مازينته الشياطين للمشركين من جعلهم لله نصيباً ولأوثانهم نصيباً من الحرث والأنعام بيّن أنهم زينوا لهم كذلك قتل أولادهم خشية الفقر ووأد البنات خشية العار. ﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾ أي: ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم أي: يخلطوا عليهم دينهم بالباطل. ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ أي: إن فعلهم هذا هو بإرادة الله وحكمته ومشيئته. ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ أي: اتركهم وما يفعلون فلست إلا مبلغاً لهم، وسوف يحكم الله في ذلك وهو خير الحاكمين.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾ أي: محجورة لأوثانهم ﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ أي: لا يأكل منها: إلا من يشاؤون من المقربين لهم أو هي الوصيلة كما قال عز وجل ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[1]. ﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ

---

(١) سورة المائدة الآية ١٠٣.

﴿ظُهُورُهَا﴾ أي: أنعام يتركونها قرابين للأوثان, فلا يركبها أحد منهم أو من غيرهم. ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: يذبحونها للأوثان وليس لله ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أي: يكذبون على الله أنه أمرهم بهذا ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: سيلقون يوم القيامة جزاء كذبهم.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾

هذا جهل من جهالتهم, وعمى من عماهم, وضلال من ضلالهم فيجعلون اللبن وأجنة الأنعام مما يباح لذكورهم, ويحرم على نسائهم. ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ أي: إن كانت الأجنة ميتة أباحوها لذكورهم ونسائهم ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: سيجزيهم الله على كذبهم وافترائهم على الله وزعمهم أن هذا من أحكامه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في شرعه وأحكامه ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعله عباده.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا﴾ أي: باء بالإثم والخسران في الدنيا هؤلاء الذين قتلوا أولادهم؛ بحجة الخوف من الفقر أو الخوف من العار، وما يفعل هذا إلا السفهاء الذين ضلوا عن الطريق المستقيم فأضلهم الله. ﴿وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: فيما شرعوه من شرعهم الباطل في السائبة والوصيلة والحامي

﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: كذباً وزوراً بادعائهم أن هذا من أحكام الله. ﴿قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ أي: أنهم بفعلهم هذا كفروا ولم يهتدوا بما جاءهم من أحكام الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم ما كان يفعله أهل الجاهلية من البدع والضلال. ومن الأحكام: تحريم قتل النفس بغير حق كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة أو العار، وهذا يشمل ما تفعله بعض دول المسلمين من تحديد النسل خوف الفقر. ومنها: إبطال أعمال الجاهلية في تحريم ما أحله الله، ويشمل ذلك كل عرف أو عادة تتعارض مع أحكام الله، ومن ذلك: الذبح عند القبور والتقرب إلى أصحابها من الأولياء.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾.

بيان الآية:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾ أي: هو الذي خلق ﴿جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾

أي: بساتين مرفوعات عن الأرض والمراد بالتعريش الرفع ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ أي: غير مرفوعات. ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ أي: يختلف من حيث الطعم والذوق. ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ أي: متشابه الورق واللون. ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الطعم. ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أي: مما يثمر النخل والزيتون والرمان. ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قد يكون المراد الزكاة وهي: العشر ونصف العشر وقد يكون المراد الصدقة وقد يكون الاثنين معاً، فالزكاة فرض؛ أما الصدقة من الثمار فمما يحبه الله خاصة من يأتي وقت الثمار وهو يتطلع إلى شيء منها، وقد ذم الله أصحاب الجنة الذين يجنون الثمار في خفية حتى لا يراهم المساكين وشاهده هذا وقوله عز ذكره ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[١]. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[٢]. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[٣]. ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾[٤]. إلى قوله ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾[٥]. ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾[٦].

---

(١) سورة القلم من الآية ١٧ .
(٢) سورة القلم الآية ١٨ .
(٣) سورة القلم الآية ١٩ .
(٤) سورة القلم الآية ٢٠ .
(٥) سورة القلم الآية ٢٣ .
(٦) سورة القلم الآية ٢٤ .

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ قد يكون معطوفاً على الأكل في قوله ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ وقد يكون المراد النهي عن الإسراف في الصدقة؛ لماروي أن ثابت بن قيس بن شماس عمد إلى خمسمائة نخلة فجذها ثم قسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً فنزلت الآية[1] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أي: أن الله يبغض المسرف.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب إخراج الصدقة مما تنبت الأرض وقد اختلف في حكم المخرج منها الوارد في هذه الآية، هل هي الزكاة المفروضة أم الصدقة من غيرها؟ فقال فريق: إن المراد الزكاة المفروضة أي: العشر فيما سقت السماء، وما سقي بنضح ونحوه نصف العشر وقيل: إن المراد حق في المال من غير الزكاة ندب الله إليه، وقيل: إن هذا منسوخ بآية الزكاة، فهذه الآية مكية وآية الزكاة مدنية.

وقد استدل الإمام أبو حنيفة بهذه الآية: فأوجب الزكاة في كل ماتنبت الأرض، إلا الحطب، والحشيش، والقضب، والتين، والسعف، وقصب السكر[2]. وقال صاحباه: لا يجب العشر إلا فيما له ثمرة باقية إذا بلغ خمسة أوسق[3]. وخالفه في ذلك آخرون، وقالوا: لا زكاة إلا في

(١) معالم التنزيل للبغوي ص٤٤٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص٤٧٢ .

(٢) البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني ج٣ ص٤١٧ .

(٣) البناية شرح الهداية ج٣ ص٤١٨ .

الحنطة والشعير والزبيب والتمر. وعند الإمام مالك: تجب الزكاة في كل ماهو مقتات مدخر[١]. وعند الإمام الشافعي: تجب الزكاة في كل يابس يدخر ويقتات مأكولاً باستثناء الزيتون[٢]؛ أما الإمام أحمد فيرى مثل مارآه الإمام أبو حنيفة إذا كان يوسق[٣] استدلالاً بقول رسول الله ﷺ: **(ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة)**[٤].

أما الوقت الذي يجب فيه الحق المراد في الآية فقيل: إنه وقت جذاذ الثمر أو صرامه وقيل: يوم الطيب؛ لأنه قبل أن يكون طيباً لا يصح للأكل؛ لأنه ليس بطعام، وقيل: إن وقت إخراج الحق بعد خرص الثمار[٥].

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ

(١) شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل لعبد الباقي بن يوسف الزرقاني ج٢ ص٣٣٣.
(٢) مغني المحتاج للشربيني الخطيب ج١ ص٢٨١ .
(٣) الكافي لابن قدامة ج٢ ص١٣١ - ١٣٤ .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة، برقم (١٤٥٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٣٧٨ .
(٥) التفصيل في زاد المسير لابن الجوزي ص٤٧٢ .

ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ﴾ أي: وكما أنشأ جنات معروشات وغير معروشات جعل من الأنعام حمولة، والمراد بها الإبل بما تحمله من الأثقال، ونظيره قوله عز ذكره ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[1]. ﴿وَفَرْشًا ۚ﴾ أي: صغار الأنعام ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: كلوا من الثمرات والزروع ومن الأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ أي: لاتتبعوا ما سنّه الشيطان لأوليائه من تحريم بعض الأطعمة واللحوم. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهر العداوة.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ما زال السياق في جهل

---

(١) سورة النحل من الآية ٧ .

المشركين من العرب وضلالهم في عاداتهم حين حرموا أنواعاً من الأنعام، فأبطل الله هذه العادات وأمر المؤمنين ألا يتبعوها وبيَّن لهم أنه أباح لهم من ﴿ٱلضَّأۡنِ﴾ ومن ﴿ٱلۡمَعۡزِ﴾ ذكورها وإناثها ﴿أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ وهذا رد على عادتهم الباطلة فقولهم ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾. ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي: قل لهم يا محمد أفيدوني إن كان لديكم علم عن تحريمكم على أزواجكم ما في بطون الأنعام وتحريمكم للبحيرة والسائبة والوصيلة ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ وهذا كما سبق قوله عز وجل في الضأن والمعز. ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ أي: هل شهدتم بأعينكم أن الله وصاكم بما تفعلونه من تحريم ما أحله لكم ؟ ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ أي: لا أظلم من أحدٍ يفتري على الله الكذب ويحرم ما أحله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الذين يتبعون أهواءهم فيحرمون ما أحل الله طاعة لأهوائهم.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ مازال السياق في الرد على لجاج المشركين وأباطيلهم، فأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ أي: لم أجد فيما أوحاه الله إلي محرماً ﴿ عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ أي: آكل يأكله إلا هذه الأشياء، اللهم ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً ﴾ أي: ماماات دون تذكية شرعية ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ أي: مصبوباً، وليس هو ذاك الذي اختلط باللحم أو العظم ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ﴾ ﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ أي: أن لحم الخنزير نجس ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ أي: ذبح، ولم يذكر اسم الله عليه ثم استثنى الله من تحريم هذه الأشياء بقوله ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ أي: من ألجأته الضرورة؛ لإنقاذ نفسه من الهلاك ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: إن الله يتجاوز عن أكله هذه المحرمات مادام ذلك لإنقاذ نفسه وهو غير باغ ولا عاد.

أحكام ومسائل الآيات:

اختلف بعض العلماء حول ما أبيح وما حرم من الحيوانات وقالوا: في ذلك أقوالاً عن السباع وهوام الأرض والحيات والعقارب والذي لا جدال فيه: أن الله حرم الميتة أيا كانت موتتها وقد فصل أنواعها في كتابه العزيز وهي ﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾(١).

كما حرم الله بنص القرآن: الدم المسفوح، ولحم الخنزير، وكل

---

(١) سورة المائدة الآية ٣ .

مالم يذكر اسم الله عليه، وقد بينت السنة أنواعاً من المحرمات، فحرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية[١]، وكل ذي ناب من السباع[٢]، وكل ذي مخلب من الطير[٣]. وكل ما جاز قتله - كالعقرب والحية والفأرة - حرم أكله.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

لما ذكر الله تعالى ماحرم على أمة محمد ﷺ ذكر ماحرم على اليهود في قوله عز ذكره ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ ﴾ أي: حرمنا على اليهود كل ما له ظفر من الدواب والطير كالأبل والبط والوز ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ أي: ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الإنسية، برقم (٥٥٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٥٦٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الإنسية، برقم (٥٥٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٥٧٠ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيد، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، برقم (١٩٣٤)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي، ج٧ ص١٦ .

علق في باطنها من الشحوم ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ استثناء من التحريم وهو ماكان على الظهر من الشحم ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ وهي المرابض وتشمل الأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ أي: أحل لهم ما اختلط من الشحم بالعظم ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ أي: أن السبب في هذا التحريم عليهم هو مجازاة لهم؛ بسبب عصيانهم لما أمرناهم به من الأحكام ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ هذا بيان عن عدل الله في حكمه في اليهود.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أي: إن كذبك - يا محمد - اليهود والمشركون فيما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته واتباع أحكامه ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ أي: إن رحمته واسعة للتائبين من ذنوبهم فيرحمهم ويتوب عليهم ويكفر ما سبق من سيئاتهم إذا صلحوا ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أما إن استمروا على تكذيبهم فسيدخر لهم العذاب في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله حرم على اليهود أنواعاً من الطيبات؛ بسبب ذنوبهم.
الحكم بأن رحمة الله واسعة؛ فمن تاب إليه قبل توبته؛ أما من استمر على كفره وفسقه فإن بأس الله لا يرد عنه.

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ إخبار من الله لرسوله بأن كفار قريش قالوا ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ ﴾ يريدون البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي والمراد أنهم يقولون: لو أن الله أرسل إلى آبائنا رسولاً ينهاهم عما كانوا يفعلونه لما حدث منا ماحدث؛ ذلك أنا وجدناهم على هذه الطريقة فاتبعناهم. ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ أي: أن من كان قبلهم من الأمم السابقة قالوا مثل هذا القول تبريراً لتحريمهم ما أحل الله لهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ ﴾ أي: نزل بهم عذابنا؛ جزاء فعلهم ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ ﴾ أي: قل لهم يا محمد هل عندكم حجة غير ماقلتم؟ لأن حجتكم هذه لا تنفعكم؛ فالله لم يأمركم بما عملتم وقد

أعطاكم من العقل ما تفكرون به ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: الكذب فيما تقولون ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: تزعمون صحة حجتكم ودليلكم هذا باطل من أساسه.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ يأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ أي: الدليل الذي يزيل الوهم والشك، فحجته بينة في أنه فاطر السموات والأرض وخالق الخلق أجمعين، وأنه الإلَه الحق وأنه يهدي من يشاء، وأن ما يفعله خلقه إنما هو بمشيئته وإرادته وحكمته ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: إن من حكمته أن يبين للناس طريق الهدى ويقيم عليهم الحجة بما يبينه لهم من الآيات، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ونظيره قوله جل وعلا ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ أي: قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون إن الله حرم عليهم الوصيلة والبحيرة ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ أي: أقيموا وأحضروا شهداءكم ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ أي: يشهدون أن الذي حرمتموه كان بناء على حكم من الله أو أمر منه ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ﴾ أي: لا تصدقهم

---

(١) سورة يونس الآية ٩٩.

ولا تتبعهم؛ لأن ما يقولونه كذب وافتراء على الله. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ فيه تنبيه وتحذير من الله لرسوله محمد ﷺ ألا يتبع أهواء المشركين. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ هذا وصف للمشركين بأنهم ينكرون البعث والحساب ويشركون مع الله غيره.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم ببطلان حجة من يحتج بالقدر على فعل المعصية؛ لأن الله جل وعلا بيَّن لعباده على لسان رسله، وآخرهم وخاتمهم محمد ﷺ ما يجب عليهم من الأحكام التي تدلهم على الخير، وتنهاهم عن الشر؛ فمن فعل منهم الخير فقد ائتمر بما أمره الله به ومن فعل منهم الشر فقد عصى ما أمره الله به وكل منهم يستحق جزاءه على ما عمل، وقد بيَّن الله ذلك في قوله عز وجل ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[١]. وقوله جل ذكره ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٢].

ومن الأحكام: أن الظن والخرص لا يغني من الحق شيئاً وأن حجة الله بالغة في أنه الإلَه الحق. ومنها: أنه عز وجل قادر على هداية الخلق أجمعين ولكنه لم يفعل ليرى من الذي يطيع أمره،

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥٣ .
(٢) سورة البلد الآية ١٠ .

ومن الذي يعصيه. ومن الأحكام: جواز الشهادة ومشروعيتها، وعدم قبول شهادة أهل الكذب. ومنها: تحريم اتباع أهل الأهواء وأهل الباطل.

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) ﴾.

بيان الآيتين:

مازال السياق في مجادلة المشركين وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يبيِّن لهم ما فرضه الله عليهم من الأحكام والفرائض العظيمة بقوله عز ذكره ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ أي: أقبلوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ أي: أبيِّن لكم ما حرمه الله عليكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ﴾ والمعنى أن الشرك بالله مما حرمه وعظم تحريمه وتوعد

صاحبه بعدم المغفرة ووعد بالمغفرة لما دون الشرك من الذنوب والمعاصي إن شاء، وشاهده قوله عز ذكره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١). وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتك دخل الجنة قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال: وإن زنى وإن سرق**)(٢).

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ أي: وأمركم أن تبروا والديكم وتحسنوا إليهم والبر بالوالدين والإحسان إليهم معروف من الدين بالضرورة ففي كتاب الله قوله عز وجل ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾(٣). والبر بهما والإحسان إليهما حتى لو كانا كافرين لقول الله عز ذكره ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(٤). وفي السنة ماروواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ

(١) سورة النساء من الآية ٤٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، برقم (٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١ ص٧٤١ .

(٣) سورة الإسراء من الآية ٢٣ .

(٤) سورة لقمان من الآية ١٥ .

أي: العمل أفضل؟ قال: (**الصلاة على وقتها**) قلت: ثم أي؟ قال: (**بر الوالدين**) الحديث[١].

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ وهذا تحذير مما كان يفعله العرب في جاهليتهم من قتل أولادهم؛ خشية الفقر ويئدون بناتهم؛ خشية العار وحكم جل وعلا أنه يرزق الآباء والأولاد، وقد تكفل بذلك في قوله عز من قائل ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾[٢]. أما في السنة فما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: أي: الذنب أعظم؟ قال: (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**) قلت: إن ذلك لعظيم قلت ثم أي؟ قال: (**أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك**) الحديث[٣].

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ الفواحش كل ماحرمه الله على عباده كالزنى، والخمر، ونحو ذلك من الموبقات وشاهده من كتاب الله قوله عز وجل آمراً نبيه أن يبلغ أمته ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٤]. ومن السنة قول

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، برقم (٨٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٠٨ .

(٢) سورة هود من الآية ٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) برقم (٤٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٣ .

(٤) سورة الأعراف من الآية ٣٣ .

رسول الله ﷺ: **(لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر فيها وما بطن)**[١].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهذا نهي للتأكيد على التحريم القطعي لقتل النفس، سواء كانت مؤمنة أو معاهدة وشاهد هذا قول رسول الله ﷺ: **(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة)**[٢]. وقوله عليه الصلاة والسلام: **(من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة)**[٣]. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: هذه المحرمات ﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: أمركم وفرض عليكم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ المراد أن على ولي اليتيم أن يصلح أموال موليه واستثمارها؛ لما فيه نفعه. وهذا يقتضي عدم جواز الاتجار فيها إلا إذا كان ذلك مظنة فائدته كما يقتضي عدم جواز إقراضها لنفسه أو لغيره؛ لما في ذلك من احتمال فقدها. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أي: قوته في بدنه ورشده في عقله، وهذان الأمران

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ برقم (٤٦٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٤٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحدود (القسامة)، باب ما يباح به دم المسلم، برقم (١٦٧٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص٤٥٩٣ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم، برقم (٦٩١٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٢ ص٢٧٠ .

متلازمان، فلو كان قوياً في بدنه ولم يرشد في عقله لا يجوز توليته ماله. ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: أوفوا واعدلوا عند كيلكم ووزنكم في بيعكم وتجارتكم. وقد توعد الله المطففين في كيلهم ووزنهم فقال عز ذكره ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[1]. ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[2]. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[3]. ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾[4]. ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[5]. ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6].

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: لا تكلف إلا طاقتها والمراد ما يجب عند التعامل من الاحتياط والاحتراز من تطفيف الكيل والوزن مما هو في مقدور البائع. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي: يجب أن يكون العدل هو غايتكم في البيع والشراء وسائر القضايا. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أي: لوكان الحق يترتب على ولدكم أو أقاربكم؛ لأن الحق لا يتجزأ، فهو واجب الأداء في أي: وقت وفي كل محل. ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ أي: أوفوا بكل

(١) سورة المطففين الآية ١ .
(٢) سورة المطففين الآية ٢ .
(٣) سورة المطففين الآية ٣ .
(٤) سورة المطففين الآية ٤ .
(٥) سورة المطففين الآية ٥ .
(٦) سورة المطففين الآية ٦ .

عهد عهده الله إليكم، سواء في العبادات أو المعاملات. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: ما ذكر في الآية من الحرص على مال اليتيم، والوفاء بالعدل في الكيل والوزن، والعدل في القول والعمل. ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أمرتم به؛ لكي تتعظوا وتمتثلوا.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بتحريم الشرك بأي صفة كان. ومن الأحكام: وجوب بر الوالدين. ومنها: تحريم قتل الولد خشية الفقر والعوز ويشمل ذلك - كما ذكر سابقاً - تحديد النسل إذا كان المراد منه الخشية من الفقر. ومن هذه الأحكام: الحكم بتحريم الفواحش العلنية والخفية كالزنى والخمر. ومنها: الحكم بتحريم قتل النفس إلا بالحق الذي بينه الله في كتابه وبينه رسوله محمد ﷺ في سنته. ومن هذه الأحكام: وجوب التصرف بالحسنى في أموال الأيتام والعدل في الكيل والوزن والوفاء بالعهد .

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ هذه الآية من أمهات الآيات وأعظمها؛

لما فيها من الأمر باتباع طريق الإسلام الذي هو دين الحق وخاتم الأديان وأفضلها وهو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه يهدي إلى الحق ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: الزموه ولا تحيدوا عنه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ توكيد للالتزام بعدم الميل عنه، وشاهده مارواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: (**هذا سبيل الله**) ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطا عن يساره، ثم قال: (**هذه سُبُلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**) ثم قرأ هذه الآية[1]. وقيل: إن المراد بالسبل اليهودية، والنصرانية، وأي ملة غير ملة الإسلام[2].

وقيل: المراد بقوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ أي: البدع[3] وشاهده ماروواه العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ فقال: (**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين من**

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، برقم (٢٠٢)، سنن الدارمي ج١ ص٧٨، وابن ماجة في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، برقم (١١)، بلفظ قريب منه، سنن ابن ماجة ج١ ص٦ .

(٢) تفسير البغوي ص٤٥١، وزاد المسير لابن الجوزي ص٤٧٨ .

(٣) تفسير البغوي ص٤٥١، وزاد المسير لابن الجوزي ص٤٧٨ .

بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وعليكم بالطاعة) الحديث[١].

نعم: كان خلفاء الأمة أحرص ما يكونون على اتباع صراط الله المستقيم سواء ما مناطه سلوكهم أنفسهم المتمثل في الحرص على تقوى الله، والتمسك بشرعه، والبعد عن الأهواء، ومظان الفتن والبدع، أو فيما يدعون إليه. وفي هذا ذكر سفيان بن عيينة أن رجلاً كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر فكتب إليه: «أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسول الله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها؛ فإن السنة إنما سَنَّها من قد علم مافي خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك مارضي به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفُّوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إن ما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي،

---

(١) أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، برقم (٤٢-٤٣)، سنن ابن ماجة ج١ ص١٥-١٦، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، برقم (٢٦٧٦)، سنن الترمذي ج٥ ص٤٣ .

ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»[١].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الأمر باتباع الصراط المستقيم. ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: أمركم به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: تتفكرون وتتعظون.

أحكام ومسائل الآية:

هذه الآية تضمنت عدة أحكام منها: أن صراط الله مستقيم لا عوج فيه؛ لأنه حكم حكم به؛ فلا حكم إلا له قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢]. ومنها: الأمر باتباع هذا الصراط والأمر يقتضي الوجوب والتكليف. ومنها: تحريم اتباع أي: سبيل غير سبيل الإسلام. ومنها: أن هذا توصية من الله لعباده وهذه تعني تكليفهم وإلزامهم بما أمرهم به.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، برقم (٤٦١٢)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٠٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٥ ص٣٣٨ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٥٠ .

إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ (١٥٦) أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ (١٥٧)﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر الله تعالى ماحرمه على عباده من الشرك وما أمر به من البر بالوالدين وسائر الأوامر الأخرى في الآيات السابقة عطف على ما أعطاه موسى من البينات وهي التوراة؛ ذلك أن بني إسرائيل كانوا عصاة معاندين له، جاحدين لآيات الله ومنكرين لبعثة رسول الله محمد ﷺ فيذكرهم الله بما سبق أن دعاهم إليه أنبياؤهم وبالأخص موسى عليه السلام فقال عز ذكره ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾ أي: تماماً على الذي أحسنه الله إلى موسى من الرسالة وإنزال التوراة عليه. ﴿وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: تفصيلاً للأحكام التي كان يحتاجها قومه بنو إسرائيل ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾ لهم إذا اتبعوا ما جاء فيها. ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: لعلهم يؤمنون بما أنزل إليهم، ويتوبون إلى الله من خطيئاتهم، ويتركون مفاسدهم وشرورهم وفتنهم.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ ﴾ المراد به القرآن الكريم ﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ أي: أنزله الله هدى ورحمة للعالمين؛ لما فيه من بركة الله فيه. ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ أي: اتبعوا مافيه من الأحكام. ﴿وَٱتَّقُواْ ﴾ أي: اتقوا مخالفته. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: يرحمكم الله بسبب اتباعه وعدم مخالفته.

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ ﴾ أي: لكيلا تقولوا أيها المشركون ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ أي: التوراة والإنجيل على الطائفتين: اليهود، والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب نقرؤه. ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ أي: إن ذلك الكتاب أنزل عليهم ونحن لا نعرف لغتهم. ﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ أي: وقد أنزلنا هذا القرآن لكيلا تقولوا لو أنه أنزل علينا مثل ما أنزل عليهم من الكتاب لكنا أفضل منهم وأقرب للهداية، ولهذا لا عذر لكم بعد ذلك. ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ يبين لكم الحلال والحرام وينهاكم عن الشرك والكفر، وعن الفحشاء، ويدلكم على الخير، ويجنبكم الشر ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ إن عملتم بما فيه. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ﴾ أي: لا أحد أظلم منكم إن كذبتم بما جاءكم به القرآن من البينات وأعرضتم عنها. ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ

يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾ أي: سنعاقب الذين يتولون ويعرضون عن آياتنا بأشد العذاب جزاء إعراضهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نعم الله على موسى عليه السلام بما أعطاه من النبوة والكتاب هدى ورحمة للذين يتبعون مافيه والمراد بهم بنو إسرائيل في زمانهم. ومن الأحكام: تقرير أن الله عز وجل أنزل القرآن مباركاً وجعله رحمة للعالمين وأوجب عليهم الإيمان به واتباع أحكامه وعدم مخالفته، وبذلك لم يعد لأحد حجة في عدم الإيمان. ومن الأحكام: تقرير العذاب للذين يكذبون بآيات الله ويعرضون عنها.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ استفهام إنكاري المراد منه المشركون والكافرون حيث جاءتهم البينات وأقيمت عليهم الحجة فماذا ينتظرون ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي: ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم. ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ أي: أمره بعذابهم. ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ ﴾

أي: يأتيهم أمارة من أمارات الساعة كطلوع الشمس من مغربها أو خروج الدجال، فحينئذٍ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ والمراد أنه إذا قامت الساعة، فلا قيمة لإيمانهم حينذاك وفي ذلك روى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض**)(١).

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ أي: لا يقبل منها عمل صالح ولا حسنة من الحسنات إذا لم يكن صاحبها قد فعل ذلك من قبل حدوث أمارة من أمارات الساعة. ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ في هذا تهديد للمشركين والكافرين الذين يتولون عن آيات الله وأحكامه وينتظرون وقت قيام الساعة وشاهده قوله عز وجل ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾(٢).

أحكام ومسائل الآية:

تقرير قيام ملك الموت وأعوانه بقبض أرواح الخلق. وتقرير إتيان أمارات الساعة، أو إحداها كطلوع الشمس من مغربها، وخروج

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، برقم (١٥٧) صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٨٩٧-٨٩٨.

(٢) سورة محمد الآية ١٨.

الدجال والدابة، فإذا خرجت هذه الأمارات أو إحداها فلن يقبل من أحد توبة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ قيل: المراد بهم اليهود والنصارى في اختلافهم على أنبيائهم[١] وشاهده قول الله تعالى ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾[٢].
والمعنى عام في كل من ابتدع فرقة، أو ملة، أو نحلة، أو اتخذ طريقاً أو مسلكاً يخالف ما أمر الله به أو أمر به رسوله كحال الفرق والملل والنحل التي ابتدعت لها أحكاماً وسنناً غير أحكام الله وسننه كما هو الحال في الفرق السابقة مثل القدرية، والمرجئة، والمشبهة، والمعطلة، ونحوها، وكما هو الحال في الفرق المعاصرة كالقاديانية[٣]

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٤٨٠، وتفسير البغوي ص٤٥٣، والدر المنثور ج٣ ص١١٦.

(٢) سورة البينة الآية ٤ .

(٣) سبقت الإشارة إلى أنها حركة من الفرق الباطنية المنحرفة ظهرت في سنة ١٩٠٠م تحت رعاية الاستعمار في شبه القارة الهندية، تعتقد بأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ بل هي جارية، وتدعو إلى إلغاء الجهاد. وإباحة المنكرات، وعقيدتها تخالف الإسلام، وقد أفتى علماء الإسلام بكفر أصحابها، ويعيش معظم أتباع هذه الطائفة في باكستان والهند ولها أنشطة في أفريقيا وبعض الدول الغربية. كان زعيمهم مرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٨-١٩٠٨م)، القاديانية لإحسان إلهي ظهير، والقاديانية لأبي الأعلى المودودي.

والبهائية[١]، ونحو ذلك من الفرق المنحرفة.

وفي هذا روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الذين فرقوا دينهم هم أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة**)[٢].

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت يا محمد بريء منهم وشاهده قول رسول الله ﷺ -كما أشير إليه من قبل-: (**أنا فرطكم على الحوض ليرفعن رجال منكم إلي، ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابى، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**)[٣].

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: هو الذي سيتولى محاسبتهم وعقابهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ أي: أنهم سيجدون ما عملوه بيناً واضحاً لهم يوم القيامة فلا تحزن عليهم، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ.

---

(١) البهائية إحدى الفرق الباطنية المنحرفة التي عملت على محاربة الإسلام تحت رعاية الاستعمار والصهيونية، وهي تنكر أن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنّ كتابها البيان قد نسخ القرآن الكريم، أسَّسَها الميرزا علي محمد الشيرازي سنة ١٨١٩-١٨٥٠م، وتقطن غالبية أتباعها في إيران، وقليل منهم في العراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين المحتلة، ولهم وجود ضعيف في مصر. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة الصادرة من الندوة العالمية للشباب الإسلامي ج١ ص٤١٢-٤١٨، والبهائية أضواء وحقائق، لإحسان إلَهي ظهير.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص١١٧، ونوادر الأصول لحكيم الترمذي ص٢٠٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، برقم (٦٥٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٤٧٢ .

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتحريم التفرق في الدين، ويشمل ذلك الفرق والملل والنحل التي تحيد عن الطريق الذي رسمه الله لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ. كما يشمل هذا الحكم أصحاب البدع والأهواء الذين يضعون أحكاماً، أو يسنون سنناً خلاف أحكام الله وسننه.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ أي: من أتى بحسنة ﴿ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ أي: فله عشر حسنات، وفي هذا روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: (**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده كاملة وإن هم بها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ومحاها الله عزوجل ولا يهلك على الله إلا هالك**)[1]. ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: إن الله عز ذكره لا ينقص من أحد شيئاً مما عمل.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب برقم (١٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٨٢٩-٨٣٠ .

أحكام ومسائل الآية:

تقرير نعم الله وفضله على عباده بمضاعفة حسناتهم إلى سبعمائة ضعف كما قال عز وجل ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. كما أن من نعمه ومنته على خلقه عدم مضاعفة سيئاتهم بل تجاوزه عنها إذا تابوا منها وتحولها إلى حسنات كما قال عز وجل ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2]. ومن الأحكام: أن الله لا يظلم أحداً من خلقه.

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: قل يا محمد

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦١ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٠ .

للمشركين وغيرهم إن ربي وفقني إلى صراطه المستقيم، ثم بينه عزوجل في قوله ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ أي: قائماً وهو ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال الإمام ابن كثير: وليس يلزم من كونه ﷺ أُمِر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً وأكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم على الإطلاق، وصاحب المقام المحمود الذي يرغب إليه الخلق حتى الخليل عليه السلام[1].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي: ديني والمراد بالنسك هنا كل الطاعات وأعمال الخير. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: إن حياتي وموتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ﴾ أي: لاند، ولا نظير، ولا مثيل ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: أمرني ربي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من هذه الأمة وقد روى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: (**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إلَه إلا أنت أنت ربي، وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي**

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٨٩ .

فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك)[١].

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا رد على الكفار الذين قالوا لرسول الله ﷺ: اترك دينك يا محمد، والزم ديننا وسنتكفل بكل ماتطلب منا، فأنزل الله هذه الآية[٢] توبيخاً لهم والمعنى: كيف أبتغي ربّاً، وربي هو مالك كل شيء ومصرفه وهو القادر والقاهر فوق عباده؟ ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: إن كل نفس لا تحاسب إلا على ماعملته يوم القيامة، وهذا هو عدل الله في خلقه، فأنتم أيها الكفار سوف تجزون بابتغائكم ربّاً غير الله ونحن سنجزى على اعتقادنا بأن الله هو ربنا وخالقنا ومصرفنا لا نعبد إلا إياه ولا نتوجه إلا إليه. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: إن كل نفس لا تحاسب إلا على عملها هي، فلا تحمل عبء نفس أخرى وهذا من عدل الله في خلقه. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: إليه معادكم. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سوف تجدون ماعملتم، ونجد ما عملنا

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة ج٢ ص٣٢، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الصلوات ج١ ص٢٣٢، وأخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢٢٥٦ .

(٢) تفسير البغوي ص٤٥٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص٤٨١ .

يوم القيامة وما كنا نختلف فيه في الدنيا فيحكم الله بيننا فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير هداية الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ لملة إبراهيم وهي الإسلام. ومن الأحكام: استحباب قول المسلم إذا قام للصلاة إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين اتباعاً لما كان يفعله رسول الله ﷺ عند قيامه للصلاة[١]. ومنها: الحكم بأنه لا رب للخلق إلا الله عز وجل مالك السموات والأرض ومن فيهن، وما بينهما. ومنها: الحكم بأن النفس لا تطالب إلا بجريرتها هي عملاً بقول الله جل ذكره ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[٢]. وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٣]. وهذا إبطال لاعتقاد أهل الجاهلية بأن الرجل يؤاخذ بابنه وبأبيه وبجريرة حليفه، ولما وفد أبورمثة رفاعة التميمي مع ابنه على رسول الله ﷺ قال: (**ابنك هذا**) قال: إي -ورب الكعبة- قال: (**حقا**) قال: اشهد به فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً من ثبت شبهي في أبي، ومن حلف أبي علي قال: أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٧١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢٢٥٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة المدثر الآية ٣٨ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب لا يؤخذ أحد بجريرة أخيه أو أبيه، برقم (٤٤٩٥)، سنن أبي داود ج٤ ص١٦٥، والنسائي في كتاب القسامة، باب هل يؤخذ أحد بجريرة غيره، برقم (٤٨٤٧)، سنن النسائي ج٨ ص٤٢٣ .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي خلقكم بعد الأمم قبلكم. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ المراد به التفاوت بينكم في الخلق، والرزق، والغنى، والفقر، وغير ذلك مما يتفاوت به الخلائق في حياتهم. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ ليختبركم فيرى ما إذا كنتم تشكرونه على فضله، أو تكفرون به، وما إذا كنتم تحمدونه على السراء أو الضراء. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي يعجل بالعقوبة لمن عصاه. ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ أي يغفر ويرحم من أطاعه وأناب إليه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير مراحل الخلق، حيث تموت أجيال، ويأتي بعدهم آخرون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن الأحكام: تقرير التباين بين الخلق في الغنى، والفقر، وفي الصحة، والمرض، وفي الإيمان، والكفر، وفي مظاهر الحياة ليعلم الله - وهو العليم - من هو الذي يشكر، ومن هو الذي يكفر منهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

مكية وآياتها خمس ومائتا آية

﴿ الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ الٓمٓصٓ ﴾ الله أعلم بمراده. ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ أي: هذا الكتاب القرآن أنزل إليك من عند الله ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ ﴾ الحرج الضيق والمراد أن هذا الكتاب الذي أنزله الله إليك، إنما أنزل لتنذر به قومك فلا يكن في نفسك ضيق إذا لم يؤمنوا به ونظيره قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾(١). والمراد إنما أنت مبلغ كما قال عزوجل ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾(٢). ﴿ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ لما وصفه الله عز وجل بأنه لإنذار القوم الكافرين وصفه بأنه ذكرى للمؤمنين الذين آمنوا به وصدقوه فيكون في ذكره لهم موعظة دائمة، وثبات لهم على الإيمان بالله.

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٧ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٤٠ .

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقول لهم: اتبعوا كتاب الله الذي أنزل إليكم، هدى ورحمة لكم واتبعوا سنة نبيه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ أي: لا تعبدوا مع الله غيره، فإن ذلك شرك، وعذابه عظيم ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ أي: إنكم بشرككم تتركون دين الله الذي ارتضاه لكم وهو الدين الحق، وتتبعون غيره مما هو باطل.

أحكام ومسائل الآيات:

المخاطب رسول الله ﷺ بقول الله تعالى ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ والمراد به غيره فالحرج هو الشك، ورسول الله ﷺ قد ملأ الله قلبه بالإيمان، فلا يمكن أن يشك فيما أنزل الله إليه، ولما كان القرآن لم يكن مكلفاً به رسول الله ﷺ وحده، بل هو لكل من آمن به، ولما تتعرض له النفس من الوساوس الشيطانية، وما قد يخالجها من الريب في القرآن خاطب الله المسلم من خلال الرسول الذي أرسل إليه، وهو محمد ﷺ. ومن الأحكام في الآيات: الحكم بوجوب اتباع ما نزل به القرآن، وذلك بتحليل ما أحل، وتحريم ما حرمه، والامتثال لما أمر به، واجتناب مانهى عنه، وهذا يقتضي حكماً الإيمان بألفاظه ومعانيه، وناسخه، ومنسوخه، ومتشابهه، والحكم ببطلان كل اتباع لغيره من الكتب، سواء كان هذا في العبادات أو المعاملات، ومن زعم أن غيره من الكتب أفضل منه كفر.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَكَم﴾ للتكثير أي: وكثير من القرى والمراد به أهلها. ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بسبب تكذيب أهلها للرسل الذين جاؤوهم بالبينات ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ أي: جاءها العذاب والهلاك وأهلها نائمون ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ أي: جاءهم الهلاك والعذاب وهم في قيلولتهم والمراد به استراحتهم أثناء النهار كما قال تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[1]. ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[2].

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي: ما كان لهم من عذر في ضلالهم وشركهم لما جاءهم العذاب إلا اعترافهم بأنهم كانوا ظالمين.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: سوف نسأل رسلنا عما بلغوه لهم كقوله عز وجل ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا

---

(١) سورة الأعراف الآية ٩٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٨ .

أُجِبْتُمْ ﴾[١]. ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: الملائكة الذين يكتبون أعمالهم كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾[٢]. ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[٣]. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ أي: سوف يعرفون ما كتب عليهم من عملهم. ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ أي: شهدنا على أعمالهم وأفعالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاتعاظ والاعتبار بما حل بالأمم الماضية ممن هلكوا؛ بسبب كفرهم مثل قوم: نوح، وعاد، وهود، وصالح. ومن الأحكام: عدم قبول العذر إذا حل العذاب. ومنها: تقرير سؤال الله لرسله عن بلاغهم لأممهم.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ المراد أن العبرة بوزن الأعمال يوم القيامة؛ لأن ذلك هو العدل الذي يريده الله، فلا يظلم أحداً بما لم يعمل كما قال عزوجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ

---

(١) سورة المائدة من الآية ١٠٩ .

(٢) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٣) سورة الانفطار الآية ١١ .

مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]. وقوله عز ذكره ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[2]. ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي: من ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة، فقد أفلح في آخرته ونجا من العذاب. ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾ أي: من خفت موازينه لكثرة مافيها من السيئات وقلة الحسنات فقد خسر نفسه بما سيناله من العذاب. ﴿ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ أي: بما كانوا يكذبون بما جاءهم من البينات.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الأعمال توزن يوم القيامة حيث يحولها الله إلى أجسام، كما توزن محالها وأصحابها؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرءوا:** ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[3].

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ

---

(١) سورة النساء الآية ٤٠ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه..)، فتح الباري ج٨ ص٢٧٩، برقم (٤٧٢٩)، والآية في سورة الكهف من الآية ١٠٥.

لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: جعلنا لكم قراراً في الأرض بما فيها من الرواسي، والجبال، والأنهار، كما قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾(١). ﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾ أي: هيأنا لكم فيها أسباب العيش والحصول على النعم بما فيها من المطاعم، والمشارب، والمساكن ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ أي: إنكم مع هذا ما تشكرون الله على هذه النعم كما قال عز وجل ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾(٢).

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ لما بيَّن الله ما أنعم به على خلقه، وما

---

(١) سورة الملك من الآية ١٥ .

(٢) سورة إبراهيم من الآية ٣٤ .

يجب أن يكونوا عليه من الإيمان والتذكر والشكر له عز وجل بيَّن عظمته في خلق الخلق بقوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: خلقنا أباكم آدم فتناسلتم من بعده ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: خلقناكم نطفاً صغيرة ثم صورناكم على صوركم الحسنة كما قال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[١]. ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[٢]. ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٣]. وقوله عز ذكره ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٤]. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ أي: قلنا للملائكة اسجدوا لآدم؛ ذلك أن الله عزوجل لما خلق آدم من طين لازب، ثم صوره بشراً ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة أن يسجدوا له، ليس اختصاصاً له بالسجود؛ لأن ذلك لا يكون إلا لله وإنما الأمر بالسجود تعظيم لله الذي خلقه وصوره، وقد استجاب الملائكة لأمر ربهم إلا إبليس فقد عصى، فلم يكن من الساجدين.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أي: ما الذي جعلك لا تسجد لآدم؟ وقد أمرتك بالسجود له كما هو الحال بالنسبة للملائكة، فقال إبليس عليه اللعنة ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أي: أنا خير من هذا الذي أمرتني بالسجود له، والسبب في زعمه لعنه الله قوله ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾

(١) سورة الانفطار الآية ٦ .
(٢) سورة الانفطار الآية ٧ .
(٣) سورة الانفطار الآية ٨ .
(٤) سورة غافر من الآية ٦٤ .

أي: أن النار أفضل من الطين، فالنار جوهر يضيء، والطين غير ذلك، وهذا خطأ منه في تقديره وتفسيره للأشياء، فكان ذلك سبب كفره وشقاوته.

﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾ كان جزاؤه على كفره وشقاوته أن قال الله ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾ أي: انزل من السماء، أو من الجنة. ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ أي: أن تتعالى، وتعدو قدرك؛ لأنك شرير، وأهلها ملائكة متواضعون، يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون لمن في الأرض. ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ أي: من الأذلاء الحقيرين الذين لا يستحقون منزلة الملائكة. ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أي: أمهلني إلى يوم البعث والحساب، فأجابه الله عز وجل بقوله ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ أي: تبقى حياً إلى يوم يبعث الله الخلق، وهذا لحكمة أرادها وقضاء قضاه لما له عزوجل من الحكمة والإرادة والمشيئة في خلقه.

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ لما قال الله لإبليس: إنك لمن المنتظرين إلى يوم البعث قال: فبما أضللتني ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: لأقعدنّ لغواية الخلق الذي أضللتني؛ بسبب عدم السجود لأبيهم وسوف أعمل على إضلالهم، وغوايتهم، وإبعادهم، وصدهم عن الصراط المستقيم حتى يهلكوا كما هلكت. ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: أفسد عليهم دنياهم. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: أفسد عليهم آخرتهم. ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ أي: أشككهم في دينهم ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ أي: أرغبهم في اتباع شهواتهم

والمعنى أني سوف أعمل على إضلالهم من كل جهة. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ أي: حتى تجد أكثرهم غير مطيعين ولا شاكرين.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ القائل هو الله عز وجل لإبليس أي: اخرج من الملأ الأعلى. ﴿مَذْءُومًا﴾ أي: محتقراً مخزياً ﴿مَّدْحُورًا﴾ أي: صاغراً مطروداً ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ اللام للقسم أي: أن من اتبعك منهم، سوف أملأ جهنم منه كما قال عز وجل ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾(١). والشيطان لايغوي إلا من اتبعه وصدق مايزينه له من الشهوات والمعاصي؛ أما المؤمنون فلا تضرهم غواية إبليس ولا وسوسته كما قال عزوجل ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾(٢).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير تمكين الله لخلقه في الأرض، وتيسير أرزاقهم وحياتهم. ووجوب شكرهم له على ما أنعم به عليهم. ومن الأحكام: تقرير خلق الله لأبي الخلق آدم وتصويره على أحسن الصور ونسلهم منه. ومنها: تقرير استكبار إبليس عن السجود له، على وجه التعظيم لا على وجه العبادة. ومنها: أن مفاضلة إبليس بين النار التي خلق منها وبين التراب الذي خلق منه آدم مفاضلة فاسدة؛ فالتراب في كل الأحوال أفضل من النار.

(١) سورة الإسراء من الآية ٦٣ .

(٢) سورة الحجر من الآية ٤٢ .

ومن الأحكام: تقرير خطر إبليس وأعوانه على بني آدم مما يوجب عليهم عصيانه فيما يأمر به أو يوسوس به. كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1].

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ لما حدث لإبليس ما حدث قال الله لآدم وزوجته حواء ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ أي: أقيما في الجنة، وكلا من كل الثمرات فيها. ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ وهي الشجرة التي حرمها الله عليهما لحكمته ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: إن أكلتما منها فستكونان ظالمين.

(١) سورة فاطر الآية ٦.

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ لما علم إبليس بما خص الله به آدم وزوجته وأكرمهما بالسكن في الجنة سعى إبليس لخديعة آدم لإخراجه منها. ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ وكان عليهما نور لايرى أحد منه عورتهما، وقال ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ أي: ماكان ربكما لينهاكما ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ هنا، فلو أكلتما منها لحصل لكما ميزة الملائكة والخلود في الجنة ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ أي: حلف لهما بأنه ما قصد إلا النصح والمحبة لهما؛ لأنه خلق قبلهما ويعرف أكثر منهما.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ أي: غرهما بنصحه ويمينه لهما. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ أي: لما أكلا من الشجرة، انحسر النور الذي كان يستر عورتهما. ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي: يقطعان ورق الشجر؛ ليسترا عورتهما. ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ أي: ألم أحذركما منها بعد أن حرمتها عليكما، فلماذا عصيتماني وأطعتما إبليس ؟ وقد قلت لكما ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ فلا تطيعوه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ الله حين يأمر أحداً من خلقه بأمر أو ينهاه عن نهي

إنما هو لمصلحة هذا الخلق؛ لأنه عز وجل أعلم بما هو أنفع له. ومن الأحكام: تقرير أنّ عمل إبليس هو الإغواء والوسوسة. ومنها: أن نصح إبليس لبني آدم إنما هو كذب وغرور، الهدف منه إيقاعهم في الخطيئة. ومنها: وجوب ستر العورة في الصلاة وفي غيرها.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ أي: لقد أخطأنا وظلمنا أنفسنا بسماع نصيحة إبليس ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ﴾ أي: تتجاوز عن خطيئتنا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ أي: لاتؤاخذنا بما فعلنا. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: ستكون خسارتنا عظيمة، وهذه هي الكلمات التي علّمها الله عزوجل آدم ليقولها بعد ماحدث له من خديعة إبليس كما قال عز وجل ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ أي: انزلوا من الملأ الأعلى إلى الأرض والمراد به

(١) سورة البقرة الآية ٣٧ .

آدم وزوجته وإبليس كما قال عزوجل ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾[١].
﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: أصبحتم أعداء إلى يوم البعث وقد انتقلت هذه العداوة من آدم إلى ذريته. ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: أصبح لكم بعد هبوطكم الأرض استقرار ومتاع فيها إلى أجل معلوم حكم الله به وقدَّره. ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي: تعيشون مدة معلومة. ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ أي: يحل بكم الموت فيها. ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ أي: بعد قيام الساعة كما قال عزوجل ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[٢].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير تعليم الله لآدم وزوجته أن يستغفرا من خطيئتهما بكلمات تعلماها فتاب الله عليهما، وهي قول الله عز ذكره على لسانيهما ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية. ومن الأحكام: تقرير سوء عاقبة المعصية فعدم تعظيم إبليس لآدم كان السبب في لعنه وطرده من رحمة الله، وكان تصديق آدم لإبليس السبب في إخراجه من الجنة وهبوطه وزوجته إلى الأرض. ومن الأحكام: أن الإنسان يحيا في الأرض ويموت فيها إلى أن يبعثه الله يوم ينفخ في الصور.

---

(١) سورة البقرة من الآية ٣٨ .

(٢) سورة طه الآية ٥٥ .

﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ﴾ في هذا امتنان من الله على خلقه فيما هيأه لهم من اللباس الذي ﴿ يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ أي: يسترها ﴿ وَرِيشٗا ﴾ أي: ثيابا فاخرة للزينة ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ أي: إن لباس التقوى هو الخير؛ لأن لباس الدنيا زائل؛ أما لباس التقوى فهو لباس الآخرة، وهو خير من لباس الدنيا. ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي: إن ماهيأه الله وبسره لخلقه من اللباس هو من آيات الله الدالة على صنعه، فلعل العباد يتذكرون النعم التي أنعم الله بها عليهم.

﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ النداء لبني آدم ينهاهم الله فيه عن فتنة الشيطان لهم بما يوسوس به في نفوسهم وما يسوله لهم من فعل المعاصي ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ أي: يفعل بكم مثلما فعل بأبيكم آدم

وأمكم حواء حين أغراهما بنزع لباسهما؛ لكي تنكشف سواءتهما. ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ أي: أنكم لاترون الشيطان وأعوانه وجنده من الجن، ولكنه يراكم هو وأعوانه كما في الحديث: (**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**)[١]. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الشياطين هم مصدر الشر للإنسان وهم لايقدرون على المؤمنين، وليس لهم عليهم من سلطان، ولكنهم أولياء للذين يبيعون دينهم بدنياهم ففقدوا الإيمان بالله وبما جاء به نبيه ورسوله محمد ﷺ.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير نعم الله على خلقه وتكريمه لهم بما جعل لهم من اللباس الذي يسترون به عوراتهم. تقرير أنّ خير اللباس لباس التقوى والإيمان؛ لأن هذا اللباس هو الباقي. ومن الأحكام: التحذير من غواية الشيطان وضلاله حيث إنه يرى الإنسان وهو لا يراه. ومنها: أن الشياطين يوالون ويحبون الذين لا يؤمنون بالله.

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء أو قبل ذلك للخصم، برقم (٧١٧١)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١٣ ص١٦٩ .

أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ أي: إذا فعلوا فعلاً قبيحاً كطوافهم في الجاهلية وهم عراة ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا ﴾ أي: إننا نفعل كما كان أباؤنا يفعلون. ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ أي: إنه لم يَنْهَنا عنها ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ أي: إنه جل وعلا لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالأخلاق الحسنة، وكل أفعال الخير، وإن ماقالوه كذب وافتراء على الله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾(١). ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: تنسبون إلى الله ما لا علم لكم به ولا بصحته.

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: أمر بالعدل. ﴿ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ أي: أمركم بعبادته، وطاعته ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي: توجهوا له وحده بالدعاء أن يثبتكم على دينه والإخلاص له في عبادته. ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ أي: كما بدأكم في الخلق تعودون إليه، فأخلصوا له العبادة. ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾ أي:

(١) سورة الأنعام من الآية ٢١ .

الذين آمنوا واستسلموا لله وأخلصوا له العبادة.﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي: علم الله أنهم لا يؤمنون بما جاءهم من البينات ولايهتدون بما جاءهم به رسول الله ﷺ. ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: إنهم استسلموا للشياطين، وجعلوهم أولياء من دون الله، يأتمرون بما يأمرونهم به، وينتهون عما ينهونهم عنه، وفي هذا دلالة على أن الله لم يضلهم إلا بسبب توليهم للشياطين. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: مع ضلالهم واتخاذهم الشياطين أولياء من دون الله يظنون أنهم مؤمنون بالله وهذا دليل على جهلهم، وضلالهم، وفساد عقولهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فساد تقليد ما يفعله الناس وهو مخالف لأوامر الله كما قال تعالى في ذم المتبعين لآبائهم، وهم على ضلال، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[١]. ومن الأحكام: تنزيه الله عز وجل عن الأمر بالفواحش، فتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ومنها: وجوب العدل؛ لأن الله أمر به كما قال عز ذكره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[٢]. ومنها: وجوب دعاء الله وأن يكون ذلك بإخلاص وصدق،

---

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٣ .

(٢) سورة النحل من الآية ٩٠ .

ومنها: أن الله يهدي الذين يؤمنون به ويستسلمون له ويضل الذين يتبعون الشياطين ويتخذونهم أولياء من دونه.

﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾.

بيان الآية:

لما ذكر الله عز وجل خديعة إبليس لآدم وزوجته بنصحهما بالأكل من الشجرة، وما أدى إليه أكلهما منها من انكشاف عورتهما، وما ذكره عن تقليد أهل الجاهلية لأسلافهم في فعل الفاحشة كالطواف بالبيت عراة أمر تعالى الناس بستر عوراتهم فقال عزوجل ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ أي: ثيابكم أو رياشكم. ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ أي: كلما صليتم أو طفتم بالبيت، وفي هذا رد على من كانوا يطوفون عراة بحجة أنهم لايريدون عبادة الله في ثياب أذنبوا فيها، وقد استمر أهل الجاهلية في صنيعهم هذا إلى أن بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه هذه الآية، فأمر بلالاً أن يؤذن في الناس ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[1].

﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ قيل: إن بني عامر كانوا يعظمون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ ..﴾، برقم (٤٦٥٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٦٨ .

حجهم، فلا يأكلون من الطعام إلا قليلاً كما لا يأكلون دسماً فقال المسلمون: نحن أحق بذلك منهم، فأنزل الله هذه الآية[١]. وفي تفسير هذه الآية: قال ابن عباس: كل ماشئت والبس ماشئت، ماأخطأتك اثنتان سرف ومخيلة[٢]. وقد روى المقدام بن معديكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**)[٣]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: الذين يسرفون في طعامهم وشرابهم.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب ستر العورة، وهذا الستر من فرائض الصلاة عند الأئمة أبي حنيفة[٤] والشافعي[٥] وأحمد[٦] وعند الإمام مالك: أنها فرض ديني لا تختص بالصلاة[٧]، ويجب تغطية البدن من السرة إلى الركبة

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ص٤٦١، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب اللباس، باب قول الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٢٦٤ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، برقم (٢٣٨٠)، سنن الترمذي ج٤ ص٥٠٩، وأحمد في المسند ج٤ ص١٣٢ .

(٤) البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني، ج٢ ص١١٩ .

(٥) الوجيز لأبي حامد الغزالي ج١ ص٤٨، وقال الشرط الثالث ستر العورة وهو واجب في غير الصلاة.

(٦) الكافي لابن قدامة المقدسي ج١ ص٢٤١ .

(٧) أسهل المدارك لأبي بكر الكشناوي ج١ ص١٨١، ويقول ستر العورة شرط في صحة الصلاة وقال الخرشي والعورة في الأصل الخلل في الثغر وغيره وما يتوقع منه ضرر وفساد، الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص١٩٠ .

للرجال؛ أما للنساء فلجميع أجزاء البدن، وقد وسع الله على عباده في لباسهم، فوجب أن تكون السترة للرجال ساترة لجميع البدن وفي هذا قال عمر: إذا وسع الله عليكم فأوسعوا[1]. ومن الأحكام في الآية: أخذ الزينة عند الصلاة وعند الطواف، وقد جاء الحكم بهذا؛ لخصوصيتهما في مناجاة الله ولقائه. ولا تحرم الزينة فيما عدا ذلك، فللإنسان أن يتجمل بلباسه في غير سرف ولا مخيلة والله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده.

ومن الأحكام في الآية: عدم تعدي الحد في الأكل والشرب بما يؤدي إلى الأسراف فيه، فهذا مكروه، وقد يكون محرماً إذا كان يؤدي إلى ضرر البدن.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ أي: قل يامحمد لهؤلاء

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان لنور الدين الهيثمي، ج٢ ص٣٩، برقم (٣٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة، ج٢ ص٢٣٦ .

الذين يحرمون بأهوائهم: لماذا تحرمون من عند أنفسكم ما أحل الله وارتضاه لعباده؟ فاقتضى هذا حل الزينة من الطيبات وفي هذا روى عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**) فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال: (**إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**)(١). كما روى أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ كان يكثر دهن رأسه ويسرح لحيته بالماء(٢).

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ أي: كل ما استلذ وطاب من الطعام وكان رسول الله ﷺ يأكل من الطيبات كالحلوى، والبطيخ، والعسل، والرطب(٣)، وما كان يكره شيئاً إلا إذا كان يرى فيه تكلفاً أو يؤدي إلى شهوات الدنيا التي تصد عن الآخرة. ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: إن هذه الطيبات للمؤمنين الذين يعرفون حقها، وذلك بطاعتهم لله وعبادته، وتوحيده، وشكره عليها، وقيامهم بحقها في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٧٣ .

(٢) أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح، برقم (٤٤٤٥)، كتاب اللباس، باب الترجل، ج٢ ص١٢٦٤.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب في الجمع بين لونين في الأكل، برقم (٣٨٣٦-٣٨٣٧)، ج٣ ص٣٧٦-٣٧٧، والترمذي في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل البطيخ بالرطب، برقم (١٨٤٣)، وفي باب ما جاء في حب النبي ﷺ الحلوى والعسل، برقم (١٨٣١)، سنن الترمذي ج٤ ص٢٤١، ٢٤٧ .

عدم الإسراف، وفي إطعام الأقارب المحتاجين والمساكين والبر بهم. ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: كما تكون الطيبات للمؤمنين في الدنيا تكون لهم في الآخرة جزاء إيمانهم. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾ أي: نبينها عن الطيبات وعن الإسراف وعن الحلال والحرام. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: للذين يعلمون آيات الله وأحكامه حق العلم.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ لما لبس المسلمون الثياب وهم يطوفون بالبيت، استجابة لأمر الله ورسوله محمد ﷺ بأخذ الزينة عيَّرهم المشركون فنزل قول الله جل ذكره ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾[1] أي: إن الذي حرمه الله هو الفواحش ومنها: طوافكم بالبيت عراة، وكل ماهو مستقبح من أفعالكم ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: ماكان واضحاً للعيان كالطواف عراة، أو ما كان باطناً مما لا يراه أحد. ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ المراد به أي فعل فيه معصية لله أو تعد على عباده. ﴿وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الظلم. ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: تعبدوا معه غيره ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ قال الزمخشري: هذا فيه تحكم؛ لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره[2]. ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: تفتروا على الله الكذب.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٤٩١-٤٩٢ .

(٢) الكشاف ج٢ ص٤٣٩ .

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بحل الزينة، وتشمل التجمل في الدنيا بالثياب وحسن المظهر. الحكم كذلك بحل الطيبات في المأكل والمشرب في غير سرف أو مخيلة. ومن الأحكام: تحريم الفواحش الظاهرة وهي كل ماظهر للعيان أو كان له دليل على ظهوره، وكذلك تحريم الفواحش الباطنة وهي كل ماخفي عن الأعين، وتحريم الإثم وهو كل مافيه معصية لله أو تعدٍ على عباده، وتحريم البغي وهو الظلم والتجاوز على عباد الله وأكل أموالهم بالباطل أو التعرض لدمائهم أو أعراضهم.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ أي: إن لكل أمة وقتاً معيّناً يكون فيه هلاكها. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: إذا حان وقتهم المعلوم لهلاكهم. ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ أي: لا يتأخرون عنه بمقدار ساعة وهي أقل أسماء الأوقات. ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ أي: ولا يتقدمون عن هذا الوقت بساعة.

وهلاك الأمم يحدث عندما ترتكب المحرمات وتستمرئ المعاصي، ولا يكون لها من نفسها رادع.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أي: إن أتاكم رسل منكم أي: من جنسكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ أي: يتلون عليكم مافرضته عليكم من الأحكام ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾ أي: من أصلح منهم باتباع ماجاءتهم به رسلهم ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ أي: لا يخافون من عذاب الآخرة ولا يحزنون على مافاتهم من الدنيا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: لم يصدقوا ماجاءتهم به الرسل ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ﴾ أي: تكبروا عن العمل بهذه الآيات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: هم أهل النار الذين يخلدون فيها.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الأمم تهلك كما يهلك الأفراد وهلاكها يحدث عندما تتولى عن أحكام الله، وتنتهك حرماته، وتستمرئ الفسوق والفواحش، وهذا هو ما حدث للأمم التي كذبت رسلها مثل قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط كما قال تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾[1]. ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[2]. ومن الأحكام: عدم قبول أعذار الخلق عن

(١) سورة الأعراف الآية ٩٧.

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٨.

ذنوبهم وذلك؛ لأن الرسل أرسلت إليهم بالبينات فمن اتقى منهم فقد أمن من الخوف في الآخرة وعدم الحزن على الدنيا؛ أما من استكبر وعتا فيخلد في العذاب.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ أي: كذب على الله بأن قال مالم يقله، أو قال خلاف ماأنزل على أحد من رسله، أو كذب بما جاء به رسله من البينات. ﴿ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ أي: يأتيهم ماكتبه الله لهم من رزق وأجل وسعادة وشقاء. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ أي: إذا

جاءتهم رسل الموت.﴿قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: يسألونهم سؤال توبيخ وتقريع قائلين لهم أين الذين كنتم تشركونهم مع الله؟﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي: ابتعدوا عنا، فلا نجد أنهم ينفعوننا بشيء.﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ أي: اعترفوا بكفرهم وافترائهم على الله وتكذيبهم لرسلهم.

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ﴾ أي: يقول الله يوم القيامة للذين افتروا الكذب على الله وكذبوا بآياته، وكذبوا رسوله، وهم مشركو العرب أدخلوا النار مع أمم من الجن والإنس كانوا مثلكم في أعمالهم.﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ أي: تلعن التي سبقتها إلى النار.﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾ أي: إذا اجتمعوا﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ أي: الأتباع﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ وهم المتبوعون﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ أي: ضاعف لهم العذاب؛ لأنهم الذين أضلونا عن الطريق القويم فيجيبهم الله بقوله ﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾ أي: للتابع والمتبوع.﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: لاتدرون ما يلاقونه من العذاب.

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ أي: قال المتبوعون للتابعين﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ أي: إنكم فعلتم مثل مافعلنا من افتراء الكذب على الله، وتكذيب آياته ورسوله﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ

تَكْسِبُونَ ﴾ أي: لاقوا العذاب الذي نلاقيه؛ جزاء اتباعكم لنا في الكفر ونظير هذا قول الله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾(١). ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(٢).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن من يكذب على الله أو يكذب بآياته هو أشر الناس ظلماً وأشدهم عذاباً. ومن الأحكام: تقرير توبيخ ملائكة الموت للظلمة والمشركين عند قبض أرواحهم. ومنها: تقرير لعن أهل النار لبعضهم واتهام كل منهم الآخر بأنه السبب في دخوله النار.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٦٧ .

هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا ﴾ المعنى في وصف هؤلاء في تكذيبهم لآيات الله واستكبارهم عنها. ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: لايرفع لهم عمل في الدنيا، ولا تفتح السماء لأرواحهم بعد قبضها وشاهد هذا أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها إلى السماء، فلا تمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ماهذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون: فلان، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون بابها، فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾[1]. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ أي: يدخل البعير في فتحة الإبرة وهذا من المحال. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ بسبب سوء عملهم ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ الفرش. ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ والمراد اللحف. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: هكذا يكون جزاء الكفار والظلمة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ لما ذكر الله عز وجل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص٢٨٧-٢٨٨، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص١٧٦-١٧٧، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٠٤ .

حال الظلمة، والكافرين، ومآلهم، ومايلاقونه من العذاب ذكر المؤمنين فقال عز ذكره ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ المراد أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين لم يكلفهم الله من العمل إلا ماوسعته نفوسهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: إنهم هم السعداء بما استحقوه من الجنة والخلود فيها.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: أخرجنا مافي قلوبهم من الحسد والبغضاء، فلا يحسد بعضهم بعضاً في تفاوت المنزلة في الجنة. ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: دلنا على هذا الثواب والمنزلة العالية والمقام الكريم في الجنة ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لولا لطف الله ورحمته بنا لما اهتدينا. ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ أي: هذه هي الجنة ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: صارت لكم مساكنها وخيراتها؛ جزاء عملكم في الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها يحرمون من دخول الجنة حرماناً أبدياً. ومن الأحكام: أن الإيمان سبب موجب لدخول الجنة والخلود فيها. ومنها: أن الله عز وجل لم يكلف عباده من الأعمال إلا حسب طاقتهم وقدراتهم. ومنها: أن أهل الجنة لا

يتحاسدون عندما تتفاوت منازلهم فيها. ومن الأحكام: أن الهداية من الله، وهذا يقتضي وجوب طلبها منه، وقد أرشد عباده أن يسألوها منه في قوله عز ذكره ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[1].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ حينما يدخل المشركون والكفار النار يناديهم المؤمنون على سبيل التوبيخ ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ أي: وجدنا الجنة التي وعدنا الله بها حقاً وصدقاً. ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ فيجيبونهم بـ ﴿نَعَمْ﴾ وجدنا ما وعدنا ربنا صدقاً وعدلاً، وهكذا يلقى الكفار المهانة والشماتة في

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٦.

الدنيا والآخرة. أما في الدنيا: فقد نادى رسول الله ﷺ قتلى المشركين في بدر قائلاً: (**يا أبا جهل بن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة هل وجدتم ماوعد ربكم حقاً ؟ فاني وجدت ماوعدني ربي حقاً**) فقال عمر: يارسول الله تخاطب قوماً قد جيَّفوا ؟ فقال: (**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا**)[١]. أما في الآخرة فإن الملائكة توبخهم وتقرعهم وتقول لهم ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[٢]. ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴾[٣]. ﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[٤].

قوله ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ حينما يسمع الملك المناداة بين أهل الجنة وأهل النار ينادي فيهم أن لعنة الله على الظالمين وقد وصفهم الله بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: يصرفون الناس عن اتباع شرع الله وأحكامه. ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا ﴾ أي: يريدون أن يكون هذا الشرع عوجاً غير مستقيم يتبع أهواءهم ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ أي: أنهم كافرون بالبعث والدار الآخرة.

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين وغيرهم، برقم (٢٠٧٤)، سنن النسائي ج٤ ص٤١٦، وأحمد في مسنده ج٤ ص٢٩ .

(٢) سورة الطور الآية ١٤ .

(٣) سورة الطور الآية ١٥ .

(٤) سورة الطور الآية ١٦ .

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أي: سور حاجز بين الجنة والنار كما قال عزوجل ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ ﴾(١). ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ أي: على أعراف السور وهي شرفته وعلوه رجال من المسلمين، تعادلت حسناتهم مع سيئاتهم، فمنعتهم سيئاتهم من دخول الجنة ومنعتهم حسناتهم من دخول النار فوقفوا على السور ينتظرون قضاء الله وحكمه فيهم. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ أي: يعرفون أصحاب الجنة ببياضهم، ويعرفون أصحاب النار بسواد وجوههم. ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي: نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي قالوا لهم: سلام عليكم بما أنعم الله عليكم من دخول الجنة ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ أي: إن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد وهم طامعون في دخولها؛ بسبب حسناتهم. ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ أي: إذا حولت وجوهم جهة النار. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: سألوا الله ألاّ يجعلهم معهم؛ لما رأوه فيها من هول العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير التحادث بين أهل الجنة وأهل النار، وذلك حين يريد من في الجنة مخاطبة من في النار ممن يعرفه في الدنيا. ومن الأحكام:

(١) سورة الحديد من الآية ١٣ .

ذم الذين يصدون عن سبيل الله، ويكفرون بالبعث ويريدون أن تكون سبيل الله حسب أهوائهم. ومنها: تقرير وجود حاجز بين الجنة والنار، يقف عليه أهل الأعراف، ينتظرون حكم الله فيهم؛ لتساوي حسناتهم وسيئاتهم، وهذا يقتضي أن من ثقلت حسناته على سيئاته نجا، ومن ثقلت سيئاته على حسناته هلك، ومن تساوت حسناته مع سيئاته يكون آخر من ينجو من النار.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا ﴾ أي: من المشركين. ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ أي: يعرفونهم بعلاماتهم وهي سواد الوجوه وقبح المنظر ﴿قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ أي قالوا لهم على سبيل الشماتة: ما أغنت عنكم كثرتكم، ولا أموالكم، ولا أولادكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن اتباع الحق ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ﴾ أي: هؤلاء المؤمنون الذين كنتم تعيرونهم وتستهزئون بهم وتستكبرون عليهم في الدنيا مثل سلمان، وصهيب، وبلال، وتقولون: إن الله لن

ينالهم برحمته. ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ أي يقال لهم: ادخلوا الجنة. ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الأموال والأولاد، وكل مافي الدنيا لا يغني شيئاً يوم القيامة؛ إذ لا يغني إلا العمل الصالح. ومن الأحكام: أن المؤمنين الذين كانوا مستضعفين في الأرض هم الذين يرثون الجنة كما أنهم يرثون الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[1].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ (٥٠) ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ (٥١)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ لما يكون أهل النار في حال من الضيق والعذاب وفقد الطعام والشراب، ينادون أصحاب

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

الجنة ممن كانوا يعرفونهم في الدنيا فيسألونهم ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من الطعام فيقول أهل الجنة لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: حرم طعام أهل الجنة على أهل النار وقد وصف الله عز وجل هؤلاء بأنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أي: نسوا دينهم وضيعوه. ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يعني اغتروا بلهوها ولعبها ونسوا ما أمرهم الله به من توحيده وطاعته وطاعة رسوله. ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾ أي: نذرهم في النار يذوقون عذابها. ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ أي: كما نسوا أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون. ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: وننساهم كما كانوا يجحدون بآياتنا.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم اتخاذ الدين هزواً ولعباً وهذا يشمل كل استهزاء به أو بأهله أو النيل منهم. ومن الأحكام: التحذير من الاغترار بمفاتن الدنيا وزينتها من الأموال والأولاد. ومنها: أن من نسي الله في الدنيا وجحد آياته نسيه في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ أي: أنزلنا عليهم القرآن. ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ أي: بيناه وأوضحناه. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: بما بيَّناه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: فيه الهدى، والرحمة لمن اتبعه وعمل ما فيه. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: للمؤمنين به المتبعين لأحكامه.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ سؤال استنكاري وتعجب أي: هل ينتظرون صدقه - المراد به القرآن - وما أخبر به من العذاب للكافرين. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: يوم يتبين ما جاء به وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يعترفوا بما جاءتهم به الرسل من الحق والقول الفصل. ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ أي: هل لنا من أحد ﴿فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ من هذا العذاب ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي: نؤمن ونصدق بما جاءنا من البينات. ونظيره قول الله عز وجل

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١). ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بلهوهم ولعبهم في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي: زال عنهم من كانوا يطيعونهم ويعبدونهم من دون الله.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام: أن القرآن نزل مفصلاً، وفيه هدى العباد ورحمتهم إذا آمنوا به، وصدقوه، واتبعوا أحكامه. ومنها: أنه إذا حل الأجل فلا ينفع نفسا إيمانها بالقرآن إذا لم تكن آمنت من قبل. ومنها: أن الذين يكفرون به يعترفون بما جاءهم من العلم، ويبحثون عمن يشفع لهم ثم يتمنون أنهم يردون إلى الدنيا؛ ليكونوا من المؤمنين ثم يرون أن ذلك مستحيل، وأن من كانوا يطيعونهم ويعبدونهم قد تخلوا عنهم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

(١) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ إخبار من الله تعالى أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وهي الأحد، والأثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، وقد يكون المراد باليوم اليوم المعتاد، وقد يكون المراد به ألف سنة كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[١]. كما قال بذلك ابن عباس.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الاستواء صفة من صفات الله العظيمة، ولقد ضل الذين تقولوا فيه وفي كيفيته، والأصوب ما عليه أهل السنة والجماعة أن الله عزوجل لا يشبهه شيء من خلقه، وإنما هو كما وصف نفسه بقوله عز ذكره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢]. ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي: يذهب ضياء النهار بظلام الليل، ويذهب ظلام الليل بضياء النهار، وكل منهما يتابع الآخر. ﴿حَثِيثًا﴾ أي: سريعاً في وقت معلوم، لا يتأخر أحدهما عن الآخر. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فكل هذه الأفلاك تسير بأمره كما قال عزوجل ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾[٣]. ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ

(١) سورة الحج من الآية ٤٧ .

(٢) سورة الشورى من الآية ١١ .

(٣) سورة يس الآية ٣٧ .

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[١]. ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[٢]. ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٣]. قوله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: له الملك والتصرف والتدبير لخلقه كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤]. وقوله ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[٥]. ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: تقدس وتنزه لارب غيره ولا إلَه سواه.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ في هذا أمر من الله لعباده، أن يدعوه فهو المستحق وحده لدعائه، فاقتضى هذا أن من يدعو غيره من الأموات أو يتوسل به، أو يعتقد أنه ينفعه أو يدفع الضر عنه إذا دعاه يعد مشركاً ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي: تذللاً، واستكانة، وخشوعاً يليق بعظمة الله. ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي: سراً؛ لابعاد مظنة الرياء؛ ولهذا أثنى الله على نبيه زكريا في قوله ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾[٦]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المراد به من يعتدون في الدعاء بتجاوز الحد فيه لقول

---

(١) سورة يس الآية ٣٨ .
(٢) سورة يس الآية ٣٩ .
(٣) سورة يس الآية ٤٠ .
(٤) سورة يس الآية ٨٢ .
(٥) سورة الأحزاب من الآية ٣٨ .
(٦) سورة مريم الآية ٣ .

رسول الله ﷺ: **(سيكون قوم يعتدون في الدعاء)**[١]. ومن ذلك الجهر الكثير، والصياح أو الدعاء بما لا يعقل، أو الدعاء بما ليس في الكتاب، ولا في السنة، وشاهده أن عبد الله بن مغفل لما سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، قال: أي: بني سل الله الجنة وعُذْ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول **(سيكون قوم يعتدون في الدعاء)**[٢].

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير خلق الله السموات والأرض في ستة أيام بقدر أيام الدنيا مع قدرته في خلقها بمجرد قوله: «كن». ومن الأحكام: أن استواءه جل جلاله على العرش صفة من صفاته العظيمة، ويحرم تأويل هذا الاستواء بأي صفة، ويجب الإيمان بما عليه أهل السنة والجماعة في هذا الأمر، وهو أنه عز وجل لا يشبهه شيء من خلقه وإنما هو كما وصف نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣]. ومن الأحكام: الحكم بأن الخلق والأمر كله لله، وليس هذا لأي أحد غيره.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء برقم (٣٨٦٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٧١، وأبو داود في كتاب الوتر، باب الدعاء برقم (١٤٨٠)، سنن أبي داود ج١ ص٥٥٠، وأحمد في مسنده ج١ ص١٧٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء برقم (٣٨٦٤)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٧١، وأحمد في مسنده ج٤ ص٨٧ .

(٣) سورة الشورى من الآية ١١ .

ومنها: وجوب دعائه وحده كما قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١). وهذا يقتضي حكماً تحريم دعاء غيره كما قال عزذكره ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢). ومن الأحكام: أن يكون دعاء الله مصحوباً بالتضرع إليه وأن لا يجهر به الداعي.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ في هذا نهي مطلق عن الإفساد في الأرض بأي صورة من صور الفساد ومنه القتل والظلم وترويع الآمنين، واستباحة كل ما حرمه الله، ومنع كل ما أحله والنهي

(١) سورة غافر من الآية ٦٠ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٧ .

هنا يقتضي التحريم. ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ والمراد أن يدعو الإنسان ربه وهو في خوف ووجل من الله عز وجل وطمعاً في رحمته وهدايته كما قال عز وجل في صفة المؤمنين ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1]. وقال ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: إن رحمته قريبة للذين يرجون الله وقلوبهم وجلة خاشعة، خوفاً منه وطمعاً في رحمته ومرضاته.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ لما ذكر الله عز وجل أنه الذي خلق السموات والأرض، وأنه يغشي الليل النهار قال عز وجل إنه هو الذي يرسل الرياح تبشر بنزول المطر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ أي: إذا حملت الرياح سحاباً ثقيلاً بالماء ﴿سُقۡنَٰهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ والمراد به البلد الذي لم ينزل فيه مطر، ولم ينبت فيه نبات فأصبح بمثابة البلد الميت. ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ﴾ أي: بالبلد. ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: بنزول المطر أنبتنا النبات، فأنتج الثمرات. ﴿كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ وفي هذا تنبيه على أن إنزال الماء على البلد الميت مثل إحياء الموتى من قبورهم، وهذا يكون بمطر ينزله الله على قبورهم، فتعود إليهم أرواحهم وفي هذا روى عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قوله:

(١) سورة الأنبياء من الآية ٩٠ .

(ثم يرسل الله - أو قال: ينزل الله - مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم)[١]. قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظون بما جاءكم من البينات.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ المراد أن البلد الطيب ذا التربة الطيبة إذا نزل عليه المطر أخرج نباتاً طيباً بإذن الله، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: إن التربة الحمأة أو السبخة إذا نزل عليها المطر لا تخرج نباتها إلا نكداً أي: عسيراً وهذا مثال المؤمن والمنافق، فالمؤمن مثل التربة الطيبة والمنافق مثل الأرض النكدة وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)**[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ... وبعث من في القبور، برقم (٢٩٤٠)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٧٢٠٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلَّم، برقم (٧٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٢١١ .

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الإفساد في الأرض بالشرك، أو الظلم، أو الفسق، أو بأي صورة من الصور؛ لما في ذلك من منافاة لحكم الله الذي أمر بعمران الأرض كما قال عز ذكره ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(١). ومن الأحكام: تقرير قرب الله ومحبته لأهل الإحسان. ومنها: أن المؤمن مثل التربة الطيبة لا تخرج إلا نباتاً طيباً؛ أما الكافر فهو مثل الأرض النكدة التي لا تخرج إلا نباتاً عسيراً.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر الله قصة آدم وإبليس وحذر عباده من كيده وأعوانه وأمر

(١) سورة هود من الآية ٦١.

عباده بستر عوراتهم، وأن يكون أكلهم وشربهم في غير سرف؛ ذكر قصة أصحاب الأعراف وعظمته وقدرته في خلق السموات والأرض ثم ذكر جل وعلا إرساله للرسل إلى قومهم؛ ليبلغوهم رسالة الله ولينذروهم من عواقب الشرك والكفر. فبدأ بذكر نبيه نوح وما كان له مع قومه فقال جل ذكره ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ واسمه نوح بن متوشلخ بن أخنوخ، وقد أرسل إلى قومه وهو ابن خمسين سنة وكان يمتهن التجارة. ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ﴾ أي: نادى قومه الذين أرسل فيهم ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: وحدوه وأطيعوه. ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ أي: ليس لكم معبود تعبدونه بحق إلا الله. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: أخشى أن يصيبكم عذاب عظيم؛ جزاء شرككم.

وكان قومه أول من عبد الأصنام؛ ذلك أن أناساً صالحين منهم ماتوا، فبنى قومهم عليهم معابد وصوروا صوراً لهم؛ لكي يتذكروهم فيتشبهوا بهم في العبادة، ومع مرور الزمان وضعوا مجسمات على تلك الصور ثم سموها بأسماء الصالحين فعبدوها وفي هذا قال الله عز وجل ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: كبراء وسادة قومه ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى

---

(١) سورة نوح الآية ٢٣ .

﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: إن ما تدعونا إليه هو ضلال بَيِّن فأجابهم ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ أي: لست ضالاً ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: إن الله أرسلني إليكم، لأمر مهم هو أن ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أي: أدعوكم إلى رسالات ربي التي أرسلت إلى جميع الخلق وهي عبادة الله وحده لا ند له ولا شريك. ﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ أي: جئت ناصحاً لكم؛ لكي تدرككم هداية الله ورحمته وتسلمون من عقابه. ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: إني أعلم قدرة الله وشدة عذابه للذين يكذبون رسالته.

﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ﴾ استفهام إنكاري ﴿أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ﴾ أي: كيف تعجبون لما جاءكم هدى ورحمة من ربكم على لسان واحد منكم ﴿لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ﴾ أي: ينذركم بأن تتقوا الله ولا تدعوا معه غيره. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ أي: لعله يرحمكم إذا اتقيتموه. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: استمروا على تكذيبه. ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: أنجيناه والمؤمنين الذين كانوا معه في السفينة. ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ أي: أهلكناهم في البحر كما قال عزوجل ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾[1]. ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾ أي: عمياً لا يبصرون الحق.

---

(١) سورة نوح من الآية ٢٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير نبوة نوح عليه السلام وإرساله إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله وطاعته، ووجوب الإقرار بتوحيد الألوهية، والتحذير من عاقبة الإعراض عن أوامر الله. ومن مسائل الآية أن السادة والمتنفذين في الأمم غالباً ما يعرضون عن دعوات الرسل خوفاً على مصالحهم ورئاساتهم. ومنها: أن الهلاك عاقبة المكذبين لرسلهم كما حدث لقوم نوح وغيرهم ممن كذبوا رسلهم.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ المراد أن الله أرسل هوداً إلى عاد وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح أما عاد فكانوا يسكنون جهة

حضرموت[١] وكانوا ثلاث عشرة قبيلة، وكانوا أهل زراعة وحضارة، وقد دعاهم نبيهم هود عليه السلام إلى عبادة الله. ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ أي: اعبدوه وحده مالكم من إله غيره فهو الذي خلقكم ورزقكم ومكَّن لكم في الأرض. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تخافون الله وتخشونه حتى لا ينزل بكم العذاب. ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ أي: قال سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أي: إننا نراك بدعوتك هذه سفيهاً حين تدعونا إلى ترك عبادة الأصنام التي كان يعبدها آباؤنا. ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾ أي: لست سفيهاً كما تزعمون. ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جئتكم برسالة من عند الله فيها خير لكم إن آمنتم بها.

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أي: إن الله أمرني أن أبلغكم ما أرسلت به إليكم. ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ أي: أن غرضي في نهيكم عما أنتم فيه من الغواية والضلال هو النصح لكم ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ﴾ استفهام إنكاري ﴿أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: موعظة على رجل منكم أي: من جنسكم. ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ أي: جعلكم تعمرون الأرض من بعد قوم نوح الذين أهلكهم الله. ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ أي:

---

(١) إحدى المدن العربية التاريخية المعروفة.

طولاً وقوة في أجسامكم ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ أي: تذكروا نعم الله عليكم. ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي: تنجون من عذاب الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير معنى عبادة الله بأنها توحيده وطاعته وإفراده بالعبادة، ونفي كل عبادة لغيره. ومن مسائل الآية: نفي الرسل عليهم السلام لما اتهمهم به قومهم من الكذب أو السفاهة وتوكيدهم أنّهم رسل الله إليهم لإبلاغهم أحكامه وآياته ونصحهم لهم خشية من هلاكهم وعذابهم.

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ أي: جئتنا بشيء لم نعهده ولا نعرفه وهو عبادة الله وحده. ﴿ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ أي: تريد منا أن نترك آلهتنا وأصنامنا التي كان يعبدها آباؤنا وهذا كقول غيرهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

مُّهْتَدُونَ﴾(١). ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: إن كنت صادقاً فأتنا بالعذاب الذي تقول.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ أي: وجب عليكم من ربكم السخط والغضب ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: تحاجّوني في أصنام وضعتم لها مسميات من عندكم، وهي صمود وصدى والهباء. ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: ليس لكم حق في عبادتها. ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ تهديد ووعيد لهم بما سينزل بهم من العذاب.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ أي: نجاه الله ومن آمن معه من العذاب الذي حل بقوم عاد. ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ المراد بقطع دابرهم استئصالهم وهلاكهم، وقد بين الله صفة هلاكهم بقوله عز ذكره ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾(٢). ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(٣). ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾(٤).

---

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٢.

(٢) سورة الحاقة الآية ٦.

(٣) سورة الحاقة الآية ٧.

(٤) سورة الحاقة الآية ٨.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فساد حجة من يدعي اتباع أسلافه الذين كانوا على ضلال. ومن الأحكام: تقرير سفاهة الكفرة والظلمة في استعجالهم العذاب ظناً منهم عدم وقوعه ثم ما يلبثون إلا وهم ملاقوه. ومنها: تقرير ضلال المشركين في عبادتهم أوثاناً لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل. ومنها: الحكم بأن الله ينجي المؤمنين ويهلك الكافرين.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ قبيلة ثمود تنتسب إلى ثمود بن عامر بن أرم بن سام بن نوح وهم من العرب العاربة، وكانت مساكنهم في وادي الحجر[1]. ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ أي: نبيهم. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ أي: وحدوا الله وأطيعوه، وهذه

---

(١) لا يزال هذا الوادي يعرف بهذا الإسم، ويبعد عن المدينة ٣٤٥ كيلاً.

هي دعوة عموم الرسل إلى أقوامهم أن تكون عبادتهم لله وترك الأوثان والأصنام ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البينة العلامة، أو الدليل. ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي: هي آية من آيات الله جاءتهم على خلاف العادة من غير فحل.

ويروى: أن قبيلة ثمود خلفت عاداً في أرضها بعد أن هلكت وقد أسبغ الله عليها الرزق وسائر النعم ومنها: طول أعمارهم مما جعلهم ينحتون بيوتهم في الجبال؛ بسبب تهالك بيوتهم بسبب هذا الطول وقد عثوا في الأرض فساداً وعبدوا الأوثان، فأرسل الله إليهم نبيه صالحاً يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته، فاتبعه قليل من المستضعفين منهم، ولما حذرهم من عقاب الله سألوه أن يأتي لهم بآية فقال لهم: أي آية ترغبون ؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا وهو يوم معلوم لهم من السنة، فندعو إلَهك وآلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا اتبعتنا، فوافقهم صالح على ما أرادوا فخرج معهم إلى أوثانهم ودعوهم وسألوهم الاستجابة فلم يجيبوهم.

ثم قام سيدهم فأشار إلى صخرة منفردة ناحية الجبل يقال لها الكاثبة فقال: اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة(١) جوفاء وبراء، فإن فعلت صدقناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق، لئن فعلت

---

(١) مخترجة إذا خرجت على خلقة الجمل البختي وهو نوع من الإبل يعرف بالإبل الخراسانية. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٢ ص٢٠، والمعجم الوسيط ج١ ص٤١.

ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا: نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما أرادوا، وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فآمن به الذي سأل ذلك ويدعى جندع بن عمرو وبعض من قومه وامتنع آخرون عن أن يؤمنوا، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء يوم لها ويوم لهم وفي يومها تفرج مابين رجليها فيحتلبون ما شاءوا من لبنها حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون منه ويدخرون، وإذا كان الصيف تصيفت في ظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم؛ لعظم جسمها، وإذا وقع الشتاء تشتت بطن الوادي فتهرب أنعامهم إلى ظهره .

وقد شق ذلك عليهم فزينت امرأتان لهم عقرها، حماية لأنعامهما فعقروها، واقتسموا لحمها، فانطلق ولدها حتى رقي جبلاً اسمه قارة فرغا ثلاثاً فقال لهم صالح: أدركوه عسى الله أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه، فانفتحت الصخرة بعد رغائه، فدخلها فقال لهم نبي الله صالح: تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة، وبعد غدٍ وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث تسود وجوهكم ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات رأوا أن يقتلوه، فألجأه الله إلى أرض فلسطين.

ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى، تحنطوا وتكفنوا بأنطاعهم، فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا[1].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٥ ص٢٢٤-٢٢٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٢١٧-٢١٩ .

قوله﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ أي قال لهم صالح: اتركوا الناقة تأكل في أرض الله فهي آية من آياته والأرض أرضه. ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ أي: لا تتعرضوا لها بأذى. ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: إنكم إذا تعرضتم لها بسوء، فسوف يعذبكم الله بعذاب شديد، وقد حدث لهم كما ذكر آنفاً. ولما نزل رسول الله ﷺ بالناس في تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها، ونصبوا لها القدور باللحم، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهراقوا القدور وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التى كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال: (**إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم**)[1]. وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر: (**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم**)[2]. وقال عليه الصلاة والسلام لعلي: (**ياعلي أتدري من أشقى الأولين؟**) قال: الله ورسوله أعلم قال: (**عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين؟**)

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٢ ص١١٧، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢١٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، برقم (٤٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص٦١٣ .

قال علي: الله ورسوله أعلم قال: (**قاتلك**)[١].

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾ الخطاب لثمود أي: تذكروا ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ أي: جئتم بعدهم ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعل لكم فيها مساكن. ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تشيدون الدور والقصور. ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ إشارة إلى أنهم اتخذوا بيوتهم في الجبال لطول أعمارهم؛ لأن بيوتهم كانت تتهدم قبل نهاية أعمارهم. ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي: تذكروا نعمه. ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تنشروا الفساد في الأرض بعصيانكم الله وتكذيبكم لرسوله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله يرسل رسله، ومعهم المعجزات التي تدل على صدقهم ومن هذه المعجزات: ناقة نبي الله صالح عليه السلام. ومن مسائل الآيات: تذكير الرسل لأقوامهم بالآيات وما أعطاهم الله من النعم وتمكينهم في الأرض، وتحذيرهم من معصية الله، وتكذيب رسله. ومنها: وجوب الاتعاظ حين زيارة أماكن الأمم الهالكة، والاعتبار بما أصابها.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند بلفظ قريب من هذا الحديث ج٤ ص١٣٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩ ص١٣٧ .

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ المراد بهم الذين كذبوا صالحاً، واستكبروا على دعوته لهم ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ المراد بهم الذين كان المستكبرون يستضعفونهم، ويذلونهم، ويتجبرون عليهم ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: المستضعفين منهم. ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهذا استفهام منهم على سبيل السخرية والاستهزاء، فأجابهم المستضعفون. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: مصدقون لما جاء به صالح فرد عليهم المستكبرون الكفرة على سبيل التحدي. ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: مكذبون لما جاء به صالح .

﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ﴾ قيل: إن الذي عقرها قدار بن سالف ومصدع ابن مهرج ومعهما سبعة نفر من ثمود، فكمن قدار للناقة في أصل صخرة، وكمن لها مصدع في أصل أخرى، فرماها بسهم ثم شد على الناقة بالسيف، فخرت على الأرض ورغت رغاة واحدة، تحذر فصيلها ثم طعن في لبتها فنحرها[1]. وهؤلاء قال الله فيهم ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[2]. ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: استكبروا وتجبروا. ﴿وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ أي: بما تخوفنا به من عذاب ربك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: إن كنت صادقاً أنك رسول.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ المراد بها الزلزال الشديد أو هي صيحة نزلت عليهم من السماء. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ ﴾ أي: في مساكنهم ﴿جَٰثِمِينَ ﴾ أي: أمواتاً هامدين.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أي: أعرض عنهم لما يئس من قبولهم الدعوة ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ أي: لقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم من عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام

---

(١) قيل إن المرأتين التي حرضتا على قتل الناقة وعدت إحداهما قدار أن تزوجه إحدى بناتها الجميلات أما الأخرى فعرضت نفسها على ابن عم لها فأجابها. تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢١٩، وتفسير البغوي ص٤٧٤ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٨ .

وكنت أنصح لكم خشية أن يصيبكم العذاب. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي: لم تقبلوا ما نصحته لكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الرؤساء والسادة هم الذين يستكبرون عن اتباع الحق، خوفاً من ضياع سلطانهم؛ أما الضعفاء فيؤمنون برسالات الأنبياء ويصدقونها وتكون لهم العزة والسيادة بفضل إنعام الله عليهم جزاء إيمانهم. ومن الأحكام: تقرير عذاب الله للمكذبين بآياته ورسله.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلُوطًا﴾ أي: أرسلنا لوطاً وهو لوط بن هاران بن آزر، فهو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ المراد بهم أهل

سدوم[١]. وماحولها من الأماكن. ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ يعني إتيان الذكور دون الإناث. ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني لم يكن أحد من الأمم الماضية يأتي مثل هذه الفاحشة التي تأتونها. ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: إنكم غيرتم الطبيعة والفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي إتيان الرجال للنساء. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي: متجاوزون في ظلمكم وشرككم إلى إتيان هذه الفاحشة الشنعاء.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ يعني أن أولئك القوم قالوا فيما بينهم: أبعدوا لوطاً ومن يؤمن بدعوته من قريتكم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يعني أنهم لايأتون ماتأتونه وتفعلونه.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: نجاه الله من إثمهم وما حل بهم من العقاب. ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ وكما نجاه الله نجى أهله ومن تبعه من المؤمنين. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ فإنها كانت على دين قومها. ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الباقين الذين أهلكهم الله بعد أن أمر الله لوطاً أن يسرى بأهله من القرية .

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أي: أرسل الله عليهم حجارة كما

---

(١) تفسير البغوي ص٤٧٦، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٢٠ .

قال عز وجل ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾[١]. ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[٢].﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: انظر يا محمد كيف نهلك الذين يكذبون رسل الله ويرتكبون ماحرمه ؟ وفي هذا تسلية له عليه الصلاة والسلام عما وجده من قومه.

أحكام ومسائل الآيات:

اختلف العلماء في عقوبة من أتى هذه الفاحشة المنكرة فعند الإمام أبي حنيفة: يعزر الفاعل، ولا يعد زانياً؛ لأن عقوبة الزاني معلومة، وهذه الفاحشة لا تدخل فيها[٣]. وعند الإمام مالك: يرجم سواء أحصن أم لم يحصن[٤]. وعند الإمام الشافعي: يحد حد الزنى فيجزى بجزاء المحصن، ويجزى بجزاء البكر[٥]. وفي المذهب الحنبلي: يحد كحد الزنى[٦]. والسبب في كونه يُحدُّ حدّ زنى عند الإمامين مالك والشافعي خلافاً لأبي حنيفة أن اللواط فاحشة، والزنا فاحشة فأصبحا متساويين في الاسم وفي محل الفعل، بل هو أشد نكراً أو أفحش من

---

(١) سورة هود من الآية ٨٢ .

(٢) سورة هود الآية ٨٣ .

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، ج٣ ص١٨٠ .

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لمحمد عرفة الدسوقي، ج٤ ص٣١٤ .

(٥) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الشربيني الخطيب، ج٤ ص١٤٤.

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع لمنصور يونس بن إدريس البهوتي ج٦ ص٩٤ .

الزنا. والجمهور: على أن من يرتكب هذه الفاحشة وهو بالغ، يقتل فإن كان غير بالغ يعزر بالضرب، والأصل في ذلك قول رسول الله ﷺ: **(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به أحصنا أم لم يحصنا)**(١). وقد روي أن أبابكر رضي الله عنه حرق رجلاً عمل عمل قوم لوط بالنار، ووافقه على ذلك علي بن أبي طالب، فإن خالد بن الوليد لما كتب إلى أبي بكر في ذلك جمع أبوبكر أصحاب رسول الله ﷺ واستشارهم فيه، فقال علي: إن هذا الذنب لم تعص به أمة إلا أمة واحدة، صنع الله بها ماعلمتم أرى أن يحرق بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ على ذلك وفعل ذلك ابن الزبير في زمانه، وكذا فعله هشام بن الوليد، وكذا فعله خالد القسري(٢).

قلت: والعالم في هذا الزمن يشهد هذه الفاحشة النكراء، وقد سنت بعض الدول أنظمة تبيح ممارستها، بل وصل الحد إلى إعلانها زواجاً جهاراً تتحدث عنه وسائل الإعلام بالخبر والصورة، وهو أمر يصعب على ذوي العقول والفطر السليمة تصوره؛ ذلك أن الله حرم هذا الفعل وجرَّمه وأنزل على مرتكبيه قوم لوط أشد

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، برقم (٤٤٦٢)، سنن أبي داود ج٤ ص١٥٣، والترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللواط، برقم (١٤٥٦)، سنن الترمذي ج٤ ص٤٧، وابن ماجة في كاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، برقم (٢٥٦١)، سنن ابن ماجة ج٢ ص٨٥٦، وأحمد في المسند ج١ ص٣٠٠ كلهم بدون ذكر «أحصنا أم لم يحصنا».

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٤٤ .

العذاب. ولم يعرف بعدهم أن أمة من الأمم استباحته حتى البدائيون الذين يعيشون في الأدغال، يعرفون بفطرهم التي فطرهم الله عليها أن الله خلق الأنثى للذكر، وحرم ماعداه، ولو علم هؤلاء الذين أباحوا هذا الفعل المنكر سوء عاقبته، لأدركوا أن هذا يجعلهم ينقرضون وتنقرض حضارتهم مع مرور الزمن؛ لأن استمرار الفاحشة وعدم إنكارها يؤدي إلى تطورها مع مرور الأجيال، ناهيك بما فيه من احتمال العذاب الذي سينزل بمرتكبيه، والراضين بفعله، وعدم المنكرين له. وناهيك أيضاً بما فيه من الانحراف الإنساني الذي تعافه وتكرهه النفوس. ألم تر أن الحيوانات -وهي العجم التي لا عقول لها- لا تمارس الاتصال إلا مع إناثها.

إن المسلمين وهم الأمة التي جعلها الله الأمة الوسط التي تشهد على خلق الله يوم العرض عليه ويشهد عليها رسولها عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]. هذه الأمة مطالبة أن تنكر هذه الفاحشة في إعلامها، وأدبياتها؛ لأن الله حين وصفها بالخيرية قيَّد هذا الوصف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله عز وجل ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٣ .

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[١]. وإنكار المنكر يقتضي الخيرية حتى يسلم المُنْكِرُ من العقوبة. وقد ورد أن الله لما أمر الملك أن يخسف بقرية قوم لوط قال: يارب إن فيها عبدك فلاناً قائماً يصلي فقال عزوجل اخسف به أولاً؛ فإن وجهه لم يتمعر فيّ ولو مرة واحدة، والأصل فيه ومصداقه قول الله عز ذكره ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[٢]. ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[٣]. أما في السنة: فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض**)[٤].

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠.
(٢) سورة المائدة الآية ٧٨.
(٣) سورة المائدة الآية ٧٩.
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٣٦-٤٣٣٧)، سنن أبي داود ج٤ ص١٠٦.

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مدين: بلد نبي الله شعيب عليه السلام[1] وهو شعيب بن ميكيل بن يشجر. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ هذه دعوة الرسل من قبله لقومهم، فكل واحد منهم يدعو قومه هذه الدعوة؛ لأنها أساس الألوهية المنافية للشرك. ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني جاءكم دليل وبيان هو مجيء الرسالة. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ والمراد ألا تخونوا وتغشوا الناس في

---

(١) وقيل مدين القبيلة، والأرض الأيكة، ومكان شعيب ومغائره الثابتة بالدلائل التاريخية هو اليوم (البِدْع) بكسر الموحدة وسكون أو فتح الدال المهملة، بلدة ذات مزارع وسكان في وادي عُفال على (٢٢٠) كيلاً من منطقة تبوك غرباً في المملكة العربية السعودية وتتصل معها بطريق معبدة، ولها مركز يتبع منطقة تبوك وترتبط معها بطريق معبدة وبها مدارس ولآثارها حراس، وتبعد مدين عن ساحلها على البحر الأحمر (٧٣) كيلاً إلى الداخل. انظر: معجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج٨ ص٦٨ .

تعاملكم معهم بنقص المكاييل التي تكيلون بها، والموازين التي تزنون بها كما قال عز وجل ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[١]. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[٢]. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٣].

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ أي: لا تفسدوا ماكان صالحاً قبلكم من حسن التعامل بين الناس، وعدم بخس بعضهم لبعض في بياعاتهم. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني أن هذا الإصلاح في الأرض وعدم الفساد فيها هو الخير لكم؛ لأن بخس الكيل والوزن ظلم، والأرض لاتصلح إذا عم فيها الظلم. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن هذا خير لكم وهو الإصلاح إذا كنتم فعلاً مؤمنين.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي: لا تتوعدوا المارة في الطريق ولا تخيفوهم؛ لكي تصدوا عن سبيل الله من آمن به. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: تريدون أن تجعلوا سبيل الله عوجاً -حسب أهوائكم- ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ أي: تذكروا واعتبروا أنكم كنتم عدداً قليلاً فكثر عددكم. ﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

(١) سورة المطففين الآية ١ .

(٢) سورة المطففين الآية ٢ .

(٣) سورة المطففين الآية ٣ .

أي: واعتبروا بما حدث للأمم الظالمة والفاسدة قبلكم وكيف أن الله أهلكهم بعذابه.

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ يعني إن كان طائفة صدقت وآمنت بما جئت به من وجوب العدل في الكيل والميزان. ﴿ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ أي: كذبت واستكبرت عن الحق. ﴿ فَٱصْبِرُوا۟ ﴾ أي: انتظروا، وهذا على سبيل التهديد والوعيد. ﴿ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ ﴾ أي: يحكم بيننا وبين الذين اختلفوا علي. ﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أي: إن حكمه هو الحكم الحق والعدل الذي لاريب فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

جعل الله للمال حرمة كحرمة الدم ذلك أنه المسدد لحاجات الناس ومبتغياتهم، فكان له محبة كبيرة كما قال عزوجل ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾(١). ولهذا حكم الله أن يتعامل الناس بالعدل والحق، فلا يبخس بعضهم بعضاً؛ وهذا يقتضي ألا يأكل أحد مال آخر، فإن فعل فإنه يُعدّ آكلاً بالباطل كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾(٢).

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٠ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٨ .

وقد بخس الناس أموالهم مَن غشّهم أو بَاعَهُم بيعاً فيه غبن لهم، أو طفف في الكيل أو الوزن لهم، وقد أفسد في الأرض؛ لأن الله لما قال ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ أعقب ذلك بقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾. ومن الأحكام: تحريم إخافة المارة في الطرق والصد عن سبيل الله.

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ (٨٨) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ (٨٩)﴾.

بيان الآيتين:

هذا بيان من الله عز وجل عن سلوك قوم شعيب مع نبيهم وتطاولهم عليه وتهديدهم له بطرده. ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ المراد بهم ساداتهم ورؤساؤهم، وهؤلاء غالباً مايكونون المكذبين برسل الله؛ لأنهم يزعمون أنهم ينزعون منهم قوتهم ورئاستهم في قومهم. ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ يعنى إن لم تنته عن دعوتنا لنطردنك. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ﴾، وفي هذا دلالة على أن

قوم شعيب ليسوا كلهم كافرين بل كان منهم مؤمنون، والمراد بالقرية مدين أو أصحاب الأيكة[1]. ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أي: لتكونُنّ من ضمننا في اتباع ملتنا. ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: لوكنا كارهين لملتكم وكفركم.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ قال الزمخشري: وكيف أجابهم بهذا الجواب والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الصغائر إلا ماليس فيه تنفير، فضلاً عن الكبائر، فضلاً عن الكفر. فلما قالوا ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾ فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعاً إجراء للكلام على حكم التغليب، وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ وهو يريد عود قومه؛ إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب.

﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ أي: ولا نرجع إلى الكفر إلا بمشيئة الله هذا على جهة التسليم لله عز وجل وإلا فهو سبحانه لايرد عباده

---

(١) هم قوم شعيب عليه السلام - كما ذكر من قبل - وكانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل، تفسير البغوي ص٧٠٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٨ ص٤٨، تفسير سورة الحجر.

المؤمنين إلى الكفر ونظيره قوله تعالى على لسان نبيه ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1]. وكان من دعاء رسول الله ﷺ **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[2]. ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ أي: هو العالم بما كان وما سيكون. ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ أي: توجهنا إليه بقلوبنا معتمدين عليه. ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ المراد بهم أهل مدين وأصحاب الأيكة. ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ أي: خير الحاكمين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من عادة المستكبرين والكفرة تهديد الدعاة والمصلحين؛ لكي يتركوا دعوتهم، أو يتعرضوا للطرد من المكان الذي يدعون إلى الله فيه، وهذه سنة مطردة في كل زمان ومكان فكما حدث هذا في الماضي يحدث اليوم في الحاضر وسيحدث في المستقبل. ومن الأحكام: أن على الدعاة الذين عرفوا الحق وآمنوا به أن يثبتوا على إيمانهم، ويوقنوا أن الله سوف ينصرهم كما قال عز وجل ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3]. ومن الأحكام: وجوب

(١) سورة هود من الآية ٨٨ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ٩٠، برقم (٣٥٢٢)، سنن الترمذي ج٥ ص٥٠٣، وأحمد في المسند ج٤ ص١٨٢ .

(٣) سورة الحج من الآية ٤٠ .

الاستثناء بالمشيئة فيما يريد العبد عمله كما قال عز وجل ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾[1]. ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2].

ومنها: وجوب التوكل على الله والتضرع إليه أن يحكم بالنصر لعباده المؤمنين على الظالمين.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ أي قال رؤساؤهم: لمن هم دونهم من أتباعهم ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ يعني إن قبلتم دعوته واتبعتموه؛ فإنكم هالكون ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ والمراد بها الزلزال، أو الصيحة من السماء. ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ أي: هامدين بعد هلاكهم. ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ﴾ المراد أن الذين كذبوا شعيباً أهلكوا بالرجفة

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٣ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٢٤ .

فكأنهم لم يقيموا في قريتهم التي أرادوا إجلاء شعيب وقومه منها. ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ والمراد أن الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الهالكين وهذا رد عليهم؛ لما قالوا لمن اتبع شعيباً إنكم إذا لخاسرون.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ أي: أعرض عنهم بعدما تعرضوا للعذاب ﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أي: قمت بما يجب علي نحوكم. ﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾ أي: أبديت لكم ما يجب عليكم مخلصاً في ذلك راغبا في اتباعكم للحق. ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ أي: لا آسف، ولا أحزن على قوم كافرين لم ينتفعوا بالنصح ولم يهتدوا بما جاءهم من الهدى.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير صد المتبوعين من الرؤساء والسادة أتباعهم عن سبيل الله واتباع رسله وتقرير هلاكهم جزاء كفرهم. ومن مسائل الآيات: استحباب توبيخ الظلمة على أفعالهم، وعدم الأسى، أو الحزن على هلاكهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ

عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا ٱلضَّرَّاءُ وَٱلسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا ﴾ المراد أن القرية التي أرسلنا إليها نبيّاً فكذّبه أهلها ﴿أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَاءِ ﴾ أي: مايصيبهم في أبدانهم من الأمراض. ﴿وَٱلضَّرَّاءِ ﴾ أي: مايصيبهم من الفقر والجوع. ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ أي: يدعون الله، ويخشونه، ويخافونه، ويتوبون من ذنوبهم. ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ أي: بدلنا أحوالهم، فجعلنا لهم الغنى بعد الفقر، والشبع بعد الجوع. ﴿حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ أي: تكاثروا في أموالهم، وأولادهم. ﴿وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا ٱلضَّرَّاءُ وَٱلسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: بعد أن ابتلوا بالشدة ثم بالرخاء، ولم يعتبروا ولم يغيروا من سلوكهم فاجأناهم بالعذاب فجأة ليكون ذلك أكثر ألماً لهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

بيان سنة الله في عباده أنه يرسل إليهم رسلاً، فإذا كذبوهم أصابهم الله بالأمراض والفقر، لعلهم يتوبون إليه فيتوب عليهم ويبدل أحوالهم فيغنيهم بعد فقرهم ويشفيهم بعد أمراضهم، وهذا

من رحمته عز وجل بعباده؛ أما إذا أصروا على كفرهم، واستكبارهم استدرجهم ثم عاقبهم كما قال عز وجل ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[1].

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ القرى جمع قرية وهي مكان اجتماع عدد من الناس والمراد بهم الذين كذبوا الرسل ويشمل أهل مكة. ﴿ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: صدقوا بالله ورسوله. ﴿ وَٱتَّقَوْا۟ ﴾ أي: عبدوا الله حق عبادته ولم يشركوا به. ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي:

---

(١) سورة الأنعام الآية ٤٤ .

أنزلنا عليهم المطر من السماء، وأنبتنا لهم الأرض ليأكلوا من ثمراتها ونظير هذا قوله عز ذكره ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[١]. وقوله ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾[٢]. وقد نادى نوح قومه أن يستغفروا ربهم حتى ينزل عليهم المطر كما قال الله على لسانه ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾[٣]. ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾[٤]. ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾[٥]. قوله ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ أي: كذبوا رسلهم، فأخذناهم بالهلاك والعذاب جزاء تكذيبهم.

﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ استفهام إنكاري ﴿ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴾ أي: أآمنوا أن يأتيهم عذاب الله في الليل وقت نومهم وراحتهم. ﴿ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ أو آمنوا أن يأتيهم عذاب الله أثناء الضحى، وهم لاهون وسادرون في لهوهم. ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ ﴾ استفهام إنكاري أيضاً المراد وهل أَمِنوا استدراج الله وبأسه ونقمته عليهم؟ ﴿ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ

(١) سورة الذاريات الآية ٢٢ .

(٢) سورة الجن الآية ١٦ .

(٣) سورة نوح من الآية ١٠ .

(٤) سورة نوح من الآية ١١ .

(٥) سورة نوح من الآية ١٢ .

﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: ولا يأمن أحد استدراج الله وبأسه إلا من خسر نفسه وسبب لها الهلاك.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ أي: ألم يبين للذين خلفوا من كان قبلهم من الأمم ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: أهلكناهم بتكذيبهم للرسل وكفرهم بما جاؤوا به. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: نصيبهم بالعذاب، ونجعل على قلوبهم غشاوة. ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يستجيبون لدعوة تدعوهم أو موعظة تذكرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام أن العباد إذا آمنوا بالله حق الإيمان، أنزل عليهم المطر وبارك في أرزاقهم وأعمارهم؛ فإن كفروا عاقبهم الله جزاء عملهم. ومنها: تحذير العباد من الغفلة واللهو في الحياة وما يؤدي إليه ذلك من العقاب المباغت لهم. ومنها: تحريم الأمن من مكر الله والاستهانة بأوامره؛ لما يؤدي إليه ذلك من الخسران في الدنيا والآخرة. ومن الأحكام: وجوب الاتعاظ بما أصاب الأمم الهالكة بسبب خطيئاتها.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ المراد بها القرى التي قص الله خبرها على نبيه ورسوله محمد ﷺ وهي القرى التي أرسل إليها أنبياءه نوحاً، وهوداً، وصالحاً، وشعيباً، ولوطاً. ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أي: نبين لك أخبارها وفي هذا تسلية له عليه الصلاة والسلام عما لحقه من قومه، مثله في ذلك مثل الأنبياء الذين سبقوه. ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالأدلة والبراهين الواضحة الدالة على وجوب توحيد الله. ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ المراد أنهم استمروا على تكذيب رسلهم مصرين على هذا التكذيب. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يطبع الله على قلوب الكافرين مثل طبعه على قلوب هؤلاء الذين كذبوا رسلهم ممن قص الله على نبيه ورسوله أخبارهم.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي: ماوجدنا لأكثر الأمم التي خلت أنهم وفوا بالعهد الذي أخذناه عليهم في ظهر أبيهم آدم

من وجوب عبادتنا وعدم الشرك بنا كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[1]. قوله ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ أي: عاصين لله مكذبين لرسله وآياته.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أنّ الله قص على نبيه ورسوله محمد ﷺ أحوال الأمم السابقة وما كانت عليه من المعاصي التي كانت سبباً في هلاكها. ومن مسائل الآيات: أن من الخلق من لا يؤمن بالأدلة والبراهين الربانية بسبب سيطرة الكفر على عقله. ومنها: أن سبب هلاك الأمم السابقة هو عدم وفائهم بالعهد الذي أخذ عليهم من وجوب عبادة الله وتوحيده والبراءة من الشرك به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ أي: بعثنا موسى من بعد الرسل السابقين وهم: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ أي: بمعجزاتنا وهي عصا موسى كما سنرى. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ المراد به ملك مصر حينذاك ومن معه من قومه. ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: جحدوها ولم يصدقوا بها وهم يعرفون أنها حق وصدق كما قال عزوجل ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1]. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: انظر يا محمد ما كانت عليه عاقبة فرعون من إغراقه، ومن معه؛ بسبب فسادهم وتكذيبهم لموسى وماجاءهم به من المعجزات.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ﴾ لما أرسل الله موسى إلى فرعون وقومه جرت بينهما مناظرة طويلة كما يلي: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ﴾ نادى موسى فرعون قائلاً ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: لم آتكم من عندي، وإنما أمرت من رب العالمين آن آتيكم؛ لأبلغكم رسالته إليكم

---
(١) سورة النمل من الآية ١٤ .

بعبادته وحده. فرد فرعون عليه قائلاً: لقد كذبت فرد عليه موسى ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي: حق علي ألا أقول لكم إلا الصدق وأن أبلغ الرسالة التي أرسلني الله بها إليكم. ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: أتيتكم بحجة وبرهان بَيِّن على صدق رسالتي لكم. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: اترك شأنهم وماهم فيه من الأسر والضيق واتركهم كذلك يعبدوا ربهم فلم يتقبل فرعون طلبه ورد عليه ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يعني إن كان معك آية كما تقول فأرنا ننظر إليها لنعرف مدى صدقك.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ أي: رمى بها أمام فرعون وقومه. ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي: تحولت إلى ثعبان كبير.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أي: أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ كما قال الله عز وجل ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ (١). أي: من غير مرض.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن جحود آيات الله كفر بواح وعاقبته الهلاك. ومن مسائل الآيات: بيان ما جرى بين موسى وفرعون من الجدال واستكبار

(١) سورة النمل من الآية ١٢ .

فرعون عن قبول الحق وإصراره على الكفر رغم ما جاء به موسى من البينات الدالة على صدقه، كتحول عصاه إلى ثعبان كبير.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: خاصته وجلساؤه والقائل: -ابتداء- هو فرعون أما قومه فصدقوه أو هم قالوه بعد أن بلغهم أنه قاله؛ لأنه ماكان لهم أن يقولوا مالم يقله خاصة، وهو معروف ببطشه وتسلطه عليهم. ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ أي: قال لهم: إن موسى يريد أن يخرجكم من أرضكم وكان بقوله هذا يريد أن يشجعهم على مقاومته خاصة؛ لأن إخراجهم من أرضهم ليس بالهين عليهم. ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أي قال لهم فرعون: وماذا ترون في شأنه؟

﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ أي: أجّل أمره وأخّره ﴿ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ﴾ أي: ابعث في الأقاليم والأماكن ﴿ حَٰشِرِينَ ﴾ أي: من يجمع السحرة منها، وفي هذا دلالة على تفشي السحر في أرض مصر حينذاك. ﴿ يَأْتُوكَ

﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ أي: إذا فعلت ذلك فسوف يأتيك من السحرة من هو أعلم من موسى وأكثر مهارة منه في السحر؛ ذلك أن فرعون وقومه تصوروا أن الذي فعله موسى عليه السلام هو مجرد سحر وليس آية من آيات الله مما يدل على غبائهم وجهلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير كفر ملأ فرعون بالآيات التي جاء بها موسى مما جعلهم يتهمونه بالسحر. وبسبب خوفهم من فرعون وبطشه أرادوا التقرب إليه بأن موسى يريد إخراجهم من ملكهم. ونصحهم لفرعون أن ينتظر قليلاً ويجمع السحرة من أرجاء مصر؛ لكي يغلبوا موسى وسحره؛ لكونهم أعلم منه، وأعظم منه قدرة.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ أي: تجمعوا قادمين من الأقاليم -كما أريد

لهم- وبدؤوا يتعاقدون مع فرعون وقومه على الأجر الذي سوف يدفع لهم في حالة غلبتهم فقالوا ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: إن فرعون وافق على منحهم أجوراً في حال غلبتهم، بل وعدهم أنهم سيكونون من المقربين عنده ومن خاصته.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ﴾ جعلوا لموسى الخيار بحيث يلقي هو السحر كما يزعمون ثم قالوا ﴿وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ أي: لامانع من أن تبدأ أنت، أو نبدأ نحن فأجابهم موسى عليه السلام ﴿أَلْقُوا﴾ أي: ابدؤوا أنتم أولاً فاستجابوا لذلك. ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أي: لما ألقوا حبالهم وعصيهم. ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أي: خيلوا لهم أن مافعلوه حقيقة. ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: أرهبوهم وأخذوا عقولهم بما رأوه من التمويه عليهم ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ أي: في ظاهره، ولكنه ليس عظيماً في حقيقته؛ لأنه مجرد تمويه حيث قيل: إنهم ألقوا حبالاً فيها زئبق، فكانت تتحرك بفعل الزئبق.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بجواز الاستئجار للعمل، وأخذ الأجرة عليه كما قال

تعالى على لسان ابنة شعيب ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـْٔجِرۡهُ ﴾[١]. والاستئجار للعمل وأخذ الأجرة عليه مقيد بشرطين: أولهما- ألا يكون الاستئجار للعبادة إلا ما اقتضته الضرورة، كأخذ الأجرة في النيابة في الحج، أو عدم وجود مصدر رزق لمن يقوم بعمل من أعمال العبادة كالأذان. وثاني الشرطين- أن يكون محل العمل مشروعاً، فلا يجوز الاستئجار ولا أخذ الأجرة إذا كان المحل محرماً كاللهو والسحر والأعمال الباطلة. ومن مسائل الآيات: تقرير تأثير السحر كما قال تعالى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ ﴾[٢].

﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ (١١٩) وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٢) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ ﴾ هذا إخبار من الله تعالى أنه أمر موسى أن يلقي عصاه ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴾

(١) سورة القصص من الآية ٢٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٠٢ .

أي: تلتهم حبالهم وعصيهم وماكان معهم من وسائل السحر وعندئذٍ تبين للسحرة أن موسى ليس ساحراً، وأن الذي رأوه آية من آيات الله، ومعجزة من معجزاته وفي هذا قال الله تعالى ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: تبين وظهر لهم الحق ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: عرفوا بطلان عملهم في السحر. ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ ﴾ أي: انهزموا في ذلك المشهد. ﴿ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾ أي: صاروا أذلاء بعدما تبين للناس ماجاء به موسى من الآية العظيمة الدالة على أنه رسول من عند الله. ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ أي: خروا ساجدين بعدما رأوه من ضخامة الثعبان وتلقفه لما كان بأيديهم من وسائل السحر، وعندئذٍ ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ أي: آمنا وصدقنا برب موسى وهارون ورب الخلق أجمعين، وقد آمن معهم أناس آخرون، ولما رأى فرعون مارأى من خروجهم من ملته ومن طاعته ودخولهم في دين الله اشتد حقده عليهم وجرت بينهم وبينه مناظرة كما سيأتي.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير حقيقة المعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام إلى فرعون.

الحكم بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وأن الباطل مهما كانت قوته لا يصمد أمام الحق. ومن الأحكام: أن السحر عمل باطل وكفر وظلم،

ومنها: أن بيان الحق للعصاة قد يكون سبباً لهدايتهم كما حدث مع السحرة الذين جاء بهم فرعون من آفاق مملكته، فانقلبوا عليه لما تبين لهم الحق الذي جاء به موسى عليه السلام.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ أي قال فرعون للسحرة: آمنتم بموسى دون إذني، وهذا تهديد ووعيد لهم على مافعلوا ثم قال لهم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ﴾ أي: إن ما حدث من موسى كان بالتشاور والاتفاق معكم وقد ذكر السدي، عن ابن عباس وابن مسعود في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ ﴾ قال: التقى موسى عليه السلام وأمير السحرة فقال له موسى: أرايتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ماجئت به حق؟ قال كبير السحرة: لآتين غداً بسحر لايغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأؤمنن

بك، ولأشهدن أنك حق وكان فرعون ينظر إليهما لهذا قال فرعون ما قال من زعم عن مكر موسى والسحرة(١).

﴿لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ﴾ أي: إنكم اتفقتم مع موسى؛ لإخراج أهل مصر حتى تكون له ولكم الغلبة والسلطة فيها. ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ هذا تهديد ووعيد لهم ثم قال ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ أي: أقطع أيديكم اليمنى وأرجلكم اليسرى. ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي: سوف أصلبكم على الخشب، أو على جذوع النخل فكان فرعون بفعله هذا أول من قطع من خلاف وصلب على الأعواد. ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ أي: كل السحرة ومن آمن معهم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: مهما عذبتنا فإننا تائبون عما فعلنا من السحر، وقد رجعنا إلى ربنا وآمنا به وبما جاء به موسى من عنده. ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَا﴾ هذا جواب منهم لفرعون بأنك مانقمت علينا، إلا لما آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا على لسان موسى، فليكن هذا الانتقام منك ولا نبالي به ثم توجهوا إلى ربهم مما يحيكه لهم فرعون فقالوا ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ أي: أنزل علينا الصبر والاحتمال عندما يفعل بنا فرعون القطع والصلب. ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ أي: أمِتْنا ونحن على دين

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٢٢، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٢٨ .

الإسلام وقيل: إن فرعون قطعهم كما توعدهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ الطغيان إذا سيطر على الإنسان أعماه عن إدراك الحقائق، فلا يبالي حينئذٍ بما يفعل من الكذب والظلم. وأن الإيمان يجعل صاحبه أكثر صلابة وأشد قوة، فلا يبالي بما يفعله به الطغاة. ومن الأحكام: وجوب سؤال الله الصبر عند حدوث البلوى كما قال عزوجل ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]. ومنها: استحباب دعاء المسلم ربَّه أن يتوفاه على دين الإسلام، وأن تكون خاتمته عليه.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٦ .

بيان الآيات:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: خاصته وجلساؤه وبطانته يحثونه على الانتقام منهم بقولهم ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: إن تركتهم على حالهم هذه، فسوف يفسدون عليك ملكك ويفرقون رعيتك. ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ أي: يتركك موسى وأتباعه. قيل: إن فرعون كان يعبد الأصنام، وقد صنع أصناماً له وسخر الناس لعبادته، وقد حكى الله ذلك عنه بقوله عز ذكره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[1]. وقوله ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[2]. فأجاب قومه بقوله فيما حكاه الله عنه ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ أي: سنقتل أطفالهم. ﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ أي: نتركهم ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ أي: لنا عليهم الغلبة والقهر فلا نخشاهم.

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾ أي: لاخيار لكم أمام فرعون وقوته، إلا أن تستعينوا بالله؛ لأنه وحده الذي يعينكم وأن تصبروا على ماتلاقونه منه من الظلم. ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ يعني إن الأرض أرض الله، فهو المالك لها والمتصرف فيها، ويورثها لمن يشاء من عباده ويختار، والمعنى أن

---

(١) سورة القصص من الآية ٣٨ .

(٢) سورة النازعات الآية ٢٤ .

أرض مصر ليست لفرعون وقومه، وإنما هي ملك لله. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إن العقبى لاتكون للظلمة والمعاندين لله ولرسوله، وإنما تكون لأولياء الله الذين يؤمنون به ويصدقون رسله.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال بنو إسرائيل لموسى ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ أي: لاقينا الأذى والهوان وقتل أولادنا من قبل فرعون قبل مجيئك بالرسالة وبعد مجيئك بها فلا زال يمتهننا ويستعبدنا ويتسلط علينا فأجابهم موسى فيما حكاه الله عنه بقوله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ أي: لعل ربكم أن يهلك فرعون وبطانته ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يمكن لكم فيها ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ينظر ما إذا كنتم تطيعونه وتشكرونه على نعمه أم تكفرون بها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فساد بطانة فرعون وخاصته حين حثوه على الاستمرار في عداوة موسى، وهذا يقتضي وجوب اختيار البطانة الصالحة والجلساء الصالحين والبعد عن البطانة الفاسدة التي تزين الباطل وتحث عليه وتعادي الحق وتنهى عنه. ومن الأحكام: وجوب الاستعانة بالله عند الشدائد والصبر عليها كما قال عز وجل ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ

وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[١]. ومنها: أن الأرض ومن فيها ملك لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده كما قال عز ذكره ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾[٢]. ومن الأحكام: تقرير صبر الأنبياء عليهم السلام على قومهم ووعدهم لهم بنصر الله إذا استمروا على إيمانهم وصبروا على ابتلائهم.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ أي: بلوناهم بالجدب والقحط. ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ أي: قلة بركة فيها. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي: لعلهم يتعظون ويرجعون إلى الله .

---

(١) سورة البقرة الآية ٤٥ .

(٢) سورة مريم من الآية ٤٠ .

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ أي: إذا أنعم الله عليهم بالمطر وخصب الأرض. ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: أعطينا هذا لما نستحقه. ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ أي: يصابوا بالجدب أو الأمراض. ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي: يتشاءموا بهم ويقولوا: لولا هذا ومن معه ما أصبنا بما نحن فيه. ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن ما يأتيهم من خير وشر، إنما هو من عند الله وبحكمته في خلقه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: لايعلمون حكمة الله.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ﴾ لقد مكث موسى عليه السلام يدعو فرعون وقومه أكثر من عشرين سنة، وقد أكدوا له أنهم لن يقبلوا ولن يصدقوا ما جاء به وشاهده ماحكاه الله عن فرعون وقومه ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ﴾ أي: أيّ آية جئتنا بها لن نؤمن لك وقولهم ﴿ءَايَةٖ﴾ على سبيل قوله إنها آية، أما هم فلا يرونها آية، بل يرونها سحراً ﴿لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا﴾ أي: لتصدنا عما نحن فيه. ﴿فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: مصدقين.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ الطوفان: المطر الكثير، وقيل: إنه دام عليهم ثمانية أيام لا يرون فيها الشمس ولا القمر ولايخرجون من دورهم[١]. ﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾ معروف. ﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾ أي: السوس

(١) زاد المسير في علم التفسير ص٥١٤ .

الذي يتعرض للحنطة، أو هو الدبى صغار الجراد الذي لا أجنحة له، والجراد في عمومه معروف بأكل النبات. ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ حيوان يعيش في المياه الراكدة ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أي: ما يخرج من الجسد. ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ أي: خمس بينات للعيان هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ أي: عاندوا واستنكفوا عن عبادة الله. ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾؛ بسبب عدم إيمانهم بهذه الآيات؛ ذلك أن موسى عليه السلام لما سأل فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل فأبى أرسل الله على فرعون وقومه الطوفان -وهو المطر- فخافوا أن يكون هذا عذاباً لهم فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا ما نحن فيه، فإن رفعه آمنا بك وصدقناك وأرسلنا معك بني إسرائيل، فدعا ربه فاستجاب له فطلب منهم موسى أن يؤمنوا بما وعدوه فنكثوا عهدهم، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل زروعهم ونباتهم وأشجارهم، فأتوا موسى وواعدوه إن رفع الله عنهم الجراد آمنوا به، وأرسلوا معه بني إسرائيل فدعا ربه فاستجاب له، ثم طالبهم موسى أن يوفوا بوعدهم، فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم القمل وهو سوس الحنطة، فطلبوا من موسى أن يرفع الله عنهم ذلك الأذى فرفعه عنهم فلم يوفوا بوعودهم، وهكذا تمت خمس آيات وهم يعدون موسى وينكثون بما وعدوه[١].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٣٤-٣٩، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٣٠-٢٣٢.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير التدرج في العقوبة؛ ذلك أن الله عز وجل ينبه عباده بما يصيبهم به من الشدائد، كالقحط لعلهم يتذكرون فيتوبون إليه، فإن تابوا تاب عليهم وبدل ضعفهم قوة. ومن أحكام الآيات: تحريم التطير والتشاؤم بالأشخاص أو البنين أو غيرها؛ لأن السبب فيما يحدث للعباد من شدة وبلاء مرجعه إلى المعاصي كما قال عزوجل ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[1]. ومنها: تقرير كفر فرعون وقومه رغم البينات والمعجزات التي جاء بها موسى إليهم.

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ ﴾ أي: العذاب. ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ أي: بما عهد به إليك والمراد النبوة

(١) سورة الشورى من الآية ٣٠ .

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ أي: العذاب الذي حل بنا. ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ أي: نصدق ماقلت ونتبعك. ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كما طلبت ذلك. ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ أي: الأجل الذي حدد لهم. ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي: يخلفون ماوعدوا به. ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: جازيناهم على نكثهم العهد. ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ﴾ أي: أغرقناهم في البحر جزاء تكذيبهم بالآيات وجزاء نقضهم؛ لما كانوا يَعِدُونَ به موسى من الإيمان به، وإرسال بني إسرائيل معه.

أحكام ومسائل الآيات:

الغالب في الظلمة أنهم عندما يتعرضون للشدائد، يلجأون إلى الله لكشف ضرهم؛ فإذا كشفه الله عنهم، فمنهم من يشكره ويؤمن به ويثبت على إيمانه، ومنهم من يعود إلى ضلاله كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1]. ومن أحكام الآيات: أن سبب ضلال الضالين هو تكذيبهم بآيات الله، والغفلة عنها، والاستهزاء بمن يدعوهم إلى الله مما يقودهم إلى الهلاك.

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥ .

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾ المراد بهم بنو إسرائيل الذين كانوا مؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني كانوا مسخرين للخدمة في زمن فرعون. ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ قيل: هي أرض الشام ومصر[1] على زمن مملكة سليمان عليه السلام. ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بما أنزل الله فيها من البركة في الثمار وخصب الأرض. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: منة الله عليهم بإغراق فرعون وجنده. ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أي: جزاء صبرهم على مانالهم من الأذى والاستعباد من فرعون. ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ أي: بإهلاك فرعون وجنده ثم تدمير كل ماصنعه أو بناه من القصور.

أحكام ومسائل الآية:

إن سنة الله وحكمته في خلقه اقتضت أن من آمن به واتقاه يمكّن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ص٥١٥، ومعالم التنزيل ص٤٨٦ .

له في الأرض كما قال عز وجل ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾(١). وهذا أمر عام في كل البشر في كل أزمانهم وأماكنهم.

قلت: وما كان هذه النعم لبني إسرائيل، إلا بسبب إيمانهم في ذلك الوقت بما جاء به موسى من وجوب توحيد الله وطاعته وبسبب كفر فرعون ومعاندته لله وجحوده لآياته ولم يكن هذا حباً لهم أو كرامة لهم، أو خصوصية لهم، ولكنه الإيمان؛ فمن آمن بالله استحق جزاء إيمانه بالحسنى، ومن كفر به استحق جزاءه بالعذاب، ولهذا لما كفر بنو إسرائيل بما جاءهم به نبي الله عيسى عليه السلام استحقوا جزاءهم فلم يعد لهم ميراث معين في الأرض المذكورة بل عادوا إلى تيههم كما كانوا من قبل، فالأساس في كل الأحوال الإيمان بالله وطاعته.

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ

(١) سورة النور من الآية ٥٥ .

أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي: قطعناه بهم وأُغرِق فرعون وقومه ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ قيل: إنهم من الكنعانيين، وكانوا يعبدون البقر ومعنى يعكفون أي: يلازمون عبادة هذه الأصنام وقد أغرى ذلك بني إسرائيل رغم أن الله قد نجاهم في ذلك الوقت فلم يشكروه على ما أنعم عليهم، بل أرادوا عبادة البقر ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ أي: طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها من دون الله، كما هو حال من رأوهم يعبدونها. ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: إنكم جهلة ضالون، وإلا فكيف تطلبون هذا الطلب والله قد نجاكم ورأيتم من آياته مارأيتم. ولعل في إخبار الله لرسوله محمد ﷺ بما فعله بنو إسرائيل تسلية له مما عايشه من اليهود في المدينة وكيدهم له.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي: إن ما يفعله أولئك من عبادة الأصنام عمل خاسر، وسوف يجزون عليه بالعذاب. ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: إن عبادتهم لغير الله عمل باطل وهو يضرهم ولا ينفعهم.

﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ استنكار وتعجب أي: هل أطلب لكم إلَها غير الله تعالى. ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ المراد بالتفضيل هنا إهلاك عدوهم فرعون في زمنهم.

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ في هذا تذكير لليهود الذين كانوا في المدينة يناصبون رسول الله ﷺ العداوة فخاطبهم الله بما منَّ به على أسلافهم من نجاتهم من فرعون، وتعذيبه لهم وقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم. ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ أي: إن إنجاءهم من فرعون كان ابتلاء لهم لمعرفة شكرهم، فلم يشكروا بل كفروا بما جاءهم من البينات.

أحكام ومسائل الآيات:

كان أمر أسلاف بني إسرائيل عجباً، فقد أهلك الله عدوهم ونجاهم، وقد دعاهم نبيهم إلى عبادة الله وتوحيده، ولكنهم طلبوا منه أن يجعل لهم إلَهاً يعبدونه مما يدل على جهلهم. ومن المؤسف حقاً أن الجهل هو السبب في فساد عقائد الكثير من البشر، ومنهم بعض المسلمين الذين يتقربون إلى الأموات ويدعونهم ويتصورون أنهم يشفعون لهم ويكشفون شدائدهم. ومن أحكام الآيات: وجوب إنكار المنكر وإعلان بطلانه وتبصير أصحابه بما يجب علهيم بما هم فيه من النعم ليشكروا المنعم بها أو تذكيرهم بما أصابهم من البلاء ليتعظوا ويتوبوا.

﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ المراد أن الله تعالى واعد موسى أن يناجيه في جبل الطور بعد أن يصوم ثلاثين يوماً وهي شهر ذي القعدة. ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ أي: أتم عشراً من ذي الحجة؛ لتكون مدة صيامه أربعين يوماً[1]. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ أي: كن خلفي فيهم وذلك بعد غيابه لمناجاة الله. ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾ أي: تعهد أحوال بني إسرائيل. ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ أي: اثبت على ماعندك من الهدى ولا تتبع سبيل من يريد منهم إفسادك.

أحكام ومسائل الآية:

مشروعية تحديد المواعيد، ووجوب الوفاء بها. ومن الأحكام: أنه يجب على الحاكم إذا غاب عن رعيته أن يستخلف فيهم من هو أهل للخلافة والصلاح واتباع سبيل المؤمنين، واجتناب سبيل المفسدين

---

(١) تفسير البغوي ص٤٨٧، ج٢ ص٥٠٠، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٣٣ .

والصلاح، والابتعاد عن الفساد واجب في كل حياة العبد حتى يكون متبعاً سبيل الله مجافياً ومنكراً لسبيل الظالمين.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ المراد الموعد الذي وعد الله له ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ أي: أرجو أن أنظر إلى ذاتك العلية ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: لن تراني في الدنيا ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ أي: انظر إلى جبل الطور ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ المراد أن الله أوحى إليه أن رؤيته له جل وعلا مستحيلة في الدُّنيا؛ لأن الجبل بعد رؤية الله سوف يتحول إلى ركام ولهذا

قال جل ذكره ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي: لما ظهر الله للجبل تحول إلى ركام وبعده رأى موسى ما رأى، فسقط مغشياً عليه وهو معنى قول الله عز ذكره ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: لما ذهب الغشيان والإغماء ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: إجلالاً وتعظيماً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: تبت من سؤالي رؤيتك ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنا أول من يؤمن بأنه لا يراك أحد في الدنيا.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: اخترتك على أهل زمانك. ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾ أي: بإنزال التوراة عليك ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ أي: بتكليمي لك وكما خص الله موسى بكلامه خص رسوله ونبيه محمداً ﷺ بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل شريعته آخر الشرائع ودينه آخر الأديان، فهو أشرف الأنبياء والمرسلين ويأتي بعده إبراهيم ثم موسى عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام. ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ أي: ما أعطيتك من شرف النبوة والرسالة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: من المقرين بفضلي عليك وإحساني إليك.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ المراد بالألواح: التوراة، ففيها كل شيء يحتاجه بنو إسرائيل في زمانهم من الأحكام، والقواعد التى تبين لهم الحلال والحرام ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ

﴿شَيْءٍ﴾ أي: جاءت مفصلة لكل ما أمروا به من أمر الدين والدنيا. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: خذ التوراة بعزم ونشاط ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: آمرهم بتدبرها والعمل بأحكامها كما وردت. ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ دار فرعون وقومه وما حل بهم من الهلاك والإغراق في البحر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم باستحالة رؤية الله في الدنيا وإمكان رؤيته جل جلاله في الآخرة، وهذا غاية ما يتمناه عباده المؤمنون وهم في دار كرامته. ومن مسائل الآيات: تقرير كرامة الله لنبيه موسى باختياره على أهل زمانه وإنزال التوراة عليه وتكليمه له. ومنها: تقرير أن التوراة فصلت لأسلاف بني إسرائيل أحكام دينهم ودنياهم في زمانهم.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)﴾.

بيان الآيتين:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ المراد سأحرم الذين يستكبرون في الأرض من فهم آياتي فيطبع الجهل والضلال على قلوبهم، فلن ينتفعوا بشيء من هديي ثم بيَّن ذلك بقوله عز وجل ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾أي: بسبب تكبرهم تختلط أفهامهم، وتضل عقولهم فيتبعون طريق الضلال، ويتركون سبيل الرشاد كما قال عزوجل ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾(١). ثم بين عز وجل السبب في ذلك فقال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي: جحدوها وأنكروها ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ أي: غير ناظرين ولا متفكرين فيها، فهم في غفلة عنها. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ أي: خسرت أعمالهم وأفعالهم فلا ينتفعون بشيء منها ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: أنهم يجزون بما كسبوا، فإن كان عملهم خيراً كان لهم جزاؤه، وإن كان شراً كان لهم كذلك جزاؤه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الاستكبار والطغيان في الأرض يصرف أصحابه عن

---

(١) سورة الصف من الآية ٥ .

فهم آيات الله وهديه. ومن الأحكام: أن التكذيب بآيات الله والغفلة عنها سبب شقاء العبد في الدنيا والآخرة.

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي: بعد أن خرج موسى إلى الطور؛ لمناجاة ربه. ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ أي: من حلي نسائهم ﴿ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾: ذلك أن السامري طلب من نسائهم - وكان صائغاً - إعطاءه حليهم؛ لأنه غنيمة من نساء الأقباط لا تحل لهم فجعله على شكل عجل قائم له خوار، أي: له صوت يشبه صوت خوار البقر، وقد نتج هذا الصوت من دخول الريح فيه، وقال لهم: هذا إلَهكم وإله موسى فاعبدوه فعبدوه. فقال الله لموسى عند مناجاته ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾[1].

(١) سورة طه من الآية ٨٥ .

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: ألم يكن لهم عقول يفقهون بها أن هذا مجرد جسد لا يكلمهم ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يدلهم على هدى. ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي: عبدوه إلَهاً لهم. ﴿وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾ أي: إنهم بفعلهم هذا ظلموا أنفسهم حيث إنهم أشركوا مع الله.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لما عرفوا أنهم أذنبوا ندموا على مافعلوه ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ أي: انحرفوا بما فعلوه من الإشراك مع الله. ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: قالوا في أنفسهم وفيما بينهم: إن الله إن لم يرحمنا برحمته ويغفر لنا خطيئتنا لنكونن من الهالكين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير غلبة الجهل على عقول أسلاف بني إسرائيل حين أطاعوا السامري، فعبدوا العجل الذي صنعه لهم وقال: هذا إلَهكم وإلَه موسى، مع أن نبيهم موسى علَّمهم عبادة الله وتوحيده. ومن أحكام الآيتين: وجوب يقظة العبد من غفلته، والتحلل من خطيئاته، وسؤال الله أن يرحمه ويغفر له ما مضى من سيئاته.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى

مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ في هذا إخبار من الله تعالى أن موسى لما رجع من مناجاة الله في الطور غضب غضبًا شديداً، لما رآهم فيه من عبادة العجل من دون الله. ﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ هذا فيه توبيخ وتقريع لهم أي: بئس ماعملتموه من بعدي فكنتم خلف سوء. ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾ أي: سبقتم أمر ربكم وهو عودتي إليكم بعد الموعد الذي قدره الله. ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ أي: رماها وفي هذا دلالة أنه عليه السلام غضب لما رآه من قومه فرمى الألواح من شدة الغضب ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ﴾ أي: أمسك بشعر هارون. ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ من شدة الغضب ظنا منه أنه قصر في خلافته مما جعلهم يعبدون العجل. ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾ القائل هارون لأخيه موسى وقد ناداه باسم أمه، ربما لعزتها عليهما جميعا مع أنه ابن أمه وأبيه، أو لاستعطافه لرقة جانب الأم وحنانها. ﴿إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾

أي: استقووا علي. ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ أي: قاربوا قتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ أي: لا توبخني ولا تغضب علي؛ فإن ذلك يجعل بني إسرائيل يشمتون بي. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تنظر إلي، وكأنني مع هؤلاء الذين عبدوا العجل فأنا كنت ضد فعلهم ولكن لم أستطع ثنيهم عما كانوا يفعلون.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ لما سكن غضب موسى مما رأى من قومه جعل يرضي أخاه هارون حتى لايشمت به بنو إسرائيل فطلب من ربه أن يغفر له ولأخيه مما قد يكون من تقصير منهما في الخلافة ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ تكرار لدعائه عليه السلام أن يشمله الله وأخاه، ومن آمن معهما برحمته فإنه لا راحم إلا هو.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أنّ الإنسان قد يتعرض للغضب نتيجة حادثة أو أمر تعرض له ويختلف الناس فيه، فمنهم: من هو حاد في غضبه، ومنهم: من دون ذلك والأنبياء عليهم السلام قد يغضبون مثلهم في ذلك مثل البشر، ولكنهم لا يغضبون إلا من أجل دين الله، ففي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت النبي ﷺ قد اشتد غضباً

في موعظة منه يومئذٍ قال: (**يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة**)(١).

ومن مسائل الآية: استحباب الاعتذار عن الخطأ، واستحباب قبوله إذا توفرت شروط هذا القبول. ومنها: تحريم الشماتة بالمخطئ، وعلى المخطئ أن يدعو الله أن يغفر له خطيئته ويتوب عليه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي: إن الذين عبدوا العجل أنزل الله عليهم غضبه، فأمروا أن يقتل بعضهم بعضاً كما قال عزوجل ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾(٢) قوله ﴿ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: هوان

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب هل يقضي أو يفتي وهو غضبان، برقم (٧١٥٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ص١٤٦ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٥٤ .

ومسكنة، أو الشتات والتفرق في البلدان ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ أي: الذين يشركون مع الله غيره.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ المراد أن الذين ارتكبو السيئات كعبادة العجل. ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ أي: حققوا التوبة بشروطها، وآمنوا بالله حق الإيمان. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يمحو سيئاتهم ويتجاوز عن خطيئاتهم، فهو يفرح بتوبة عباده وإنابتهم إليه.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ أي: هدأت نفسه وسكن غضبه ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ التي رماها لما وجد قومه بعد رجوعه من الطور يعبدون العجل. ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: هدى للمهتدين بها من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من عذاب الله. ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي: يخافون ويخشونه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وعيد الله للذين يعملون السيئات، أما إذا تابوا منها بشروط التوبة، فإن الله يتوب عليهم، بل يبدل سيئاتهم حسنات.
ومن مسائل الآيات أن الكتب التي أنزلها الله لعبادة على لسان رسله كلها هدى ورحمة.

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾.

بيان الآيات:

مازال السياق في بني إسرائيل فقوله تعالى ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾؛ ذلك أن موسى لما رجع من الطور ورأى مارأى من قومه من عبادة العجل، جعل الله له موعداً يأتيه فيه مع سبعين من خيار بني إسرائيل؛ لطلب التوبة منه عما فعله قومهم، فلما وصلوا إلى الطور عمت الجبل غمامة كبيرة، فأخذ موسى يناجي

ربه، وهم يستمعون له، فعندئذ قالوا لموسى: لن نؤمن بأن ربك هو الذي يكلمك حتى نراه جهرة فغضب الله من قولهم، فنزلت بهم صيحة أهلكتهم وهو قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ أي: الصيحة ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَۖ﴾ أي قال: لو شئت يارب لأهلكتنا جميعا قبل أن نأتي إلى هنا حتى لا يتهمني بنو إسرائيل بأني تسببت في موت خيارهم. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ أي: بمافعله سفهاؤنا من عبادة العجل﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: اختبارك وابتلاؤك لنا.﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ أي: تضل بالفتنة من تشاء من عبادك.﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُۖ﴾ فلا هادي إلا أنت، ولا مضل إلا أنت ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: ناصرنا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ أي: اغفر لنا ما كان من سفهائنا، واشملنا برحمتك فأنت خير الغافرين وأرحم الراحمين لا غافر، ولا راحم إلا أنت.

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: اقسم لنا فيها حياة كريمة وتوفيقاً لمرضاتك ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ﴾ أي: تبنا وأتينا إليك.﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُۖ﴾ أي: أصيب به من يستحقه ممن يعرض عن الحق.﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍۚ﴾ أي: هي عامة لا حدود لها، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**إن لله عز وجل مائة رحمة، أنزل منها رحمة بين الجن**

والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحوش على ولدها وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)[1]. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: سأعطيها للذين يتقون الله ويوحدونه والتقوى: إطار شامل لكل ما وجب على المسلم من صلاة وصيام ونحو ذلك. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ أي: الذين يؤدونها طيبة بها نفوسهم ومع أنها داخلة في عموم التقوى إلا أن الله خصها بالذكر؛ لأن إخراج المال مما يثقل على النفس، فمن أخرجها طيبة بها نفسه كان من المتقين ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ لما ذكر الله جل وعلا أنه سيكتب رحمته للمتقين الذين يؤدون زكاة أموالهم ويؤمنون بآياته نعتهم بأنهم يتبعون الرسول، وهؤلاء هم أمة محمد ﷺ ممن آمن به والأمي: هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف الحساب وهذه من صفات رسول الله ﷺ كما قال الله عز وجل ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2]. ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ أي:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٨٧٠ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٨ .

موصوفاً فيهما وفي هذا روى البخاري: عن محمد بن سنان عن فليح قال: حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً، ومبشراً، ونذيراً، وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ، ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا لا إلَه إلا الله ويفتح بها أعيناً عمياً وآذانا صمّاً وقلوباً غلفاً)[١]. قال عطاء: ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً إلا أن كعباً قال بلغته قال: (قلوباً غلوفياً وآذاناً صمومياً وأعيناً عمومياً)[٢]. وفي حديث أبي صخر العقيلي قال: حدثني رجل من الأعراب قال: جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم في اقتفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها يعزي بها نفسه على ابن له في الموت أحسن الفتيان وأجمله فقال رسول الله ﷺ: **(أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي)** فقال برأسه هكذا، أي: لا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، برقم (٤٨٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٤٩ .

(٢) تفسير القرآن العظم لابن كثير ج٢ ص٢٤٣ .

فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة، إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد ألا إلَه إلا الله وأشهد أنك رسول الله فقال (**أقيموا اليهودي عن أخيكم ثم تولى كفنه وحنطه وصلى عليه**)[1].

﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ أي: هذا هو شأن وصفة رسول الله ﷺ، يأمر أمته بالمعروف وهو كل عمل فيه خير، وينهاهم عن المنكر، وهو كل عمل فيه شر. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ أي: يحل لهم ما أحل الله لهم من الطيبات كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[2]. ويحرم عليهم الخبائث وهو كل ما هو مستقذر كالدم، ولحم الخنزير، والميتة، ونحو ذلك مما حرمه الله ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ الإصر الحمل الثقيل وهذا على خلاف ما كان عليه بنو إسرائيل، فإذا أصاب البول ثوب أحدهم قرضه، وإذا جمعوا الغنائم نزلت نار، فأهلكتها وإذا حاضت نساؤهم لم يقربوها وأمروا بقتل أنفسهم من أجل توبتهم وتحريم العمل عليهم يوم السبت، أما شريعة محمد ﷺ فكلها يسر ورحمة، فقد أحلّ الله لها الغنائم، ومؤاكلة الحائض وغسل البول بالماء، وقد

---

(١) تفسير القرآن العظم لابن كثير ج٢ ص٢٤١، وأخرجه أحمد في المسند ج٥ ص٤١١ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٧٢ .

بين الله ذلك في قوله عز ذكره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١]. وقال الله بعد كل سؤال قد فعلت قد فعلت[٢]. هذا في الكتاب؛ أما السنة فقول رسول الله ﷺ: **(إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)**[٣]. وقوله عليه الصلاة والسلام **(إن الله تجاوز لأمتي ماحدثت به أنفسها مالم تعمل أو تكلم)**[٤]. قوله ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ يعني صدقوا به ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ﴾ المراد به القرآن وما أوحى الله إليه به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ في كل قوم سفهاء، ومن الواجب على قومهم سؤال الله

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٢) تفسير البغوي ص١٨٦ .

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٤٣)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٩، والتبريزي في المشكاة برقم (٦٢٨٤)، وقال الألباني «صحيح».

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان، باب قوله تعالى ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ برقم (٦٦٦٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٥٧ .

عزوجل ألا يؤاخذهم بما يفعل سفهاؤهم، هذا مع وجوب الإنكار عليهم. ومن مسائل الآيات أن على العبد أن يسأل ربه أن يقسم له حياة كريمة في الدنيا، هي مرضاة الله، وحياة كريمة في الآخرة، هي الجنة. ومن الأحكام: أن رحمة الله واسعة لا حدود لها وقد كتبها جل ثناؤه للمتقين عموماً وخصوصاً للذين يؤمنون بآياته، ويؤدون الزكاة طيبة بها نفوسهم ويتبعون رسوله وفي هذا شرف عظيم لأمة المسلمين لكونهم يتصفون بهذا الوصف. ومن الأحكام: وجوب الإيمان برسالة رسول الله ﷺ وتصديقه وتصديق الكتاب الذي جاء به واتباع أحكامه.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾.

بيان الآية:

لما ذكر الله عز وجل أن صفة نبيه ورسوله محمد ﷺ مكتوبة في التوراة والإنجيل كما هي في القرآن أمره الله أن يبين للناس صفته ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: قل يا محمد للناس: إنك رسول الله إليهم كبيرهم وصغيرهم ذكرهم،

وأنثاهم، أبيضهم، وأسودهم، وأحمرهم، وغنيهم، وفقيرهم. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: قل لهم: إن الذي بعثني إليكم هو مالك السموات والأرض وأنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: آمنوا بالله ربكم وخالقكم وآمنوا برسوله الذي وجدتم صفته في التوراة. ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ أي: الذي بعثه الله وهو لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يحسب. ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: يصدق بالله وكتابه وأنه الخالق الإلَه الحق. ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ أي: سيروا على طريقه كما قال عزوجل ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾(١). ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: تفلحون في دنياكم وأخراكم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن رسالة رسول الله ﷺ عامة لكل الناس ذكرانهم وإناثهم، وعربهم، وعجمهم، وأبيضهم، وأسودهم وهذا يقتضي حكماً وجوب الإيمان برسالته، وتصديقه، واتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، فمن ابتغى سبيلاً غير سبيله، فقد ضل سواء السبيل.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥٣ .

ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر الله ماكان من بني إسرائيل من عبادة العجل وطلبهم من نبيهم موسى رؤية الله جهراً وما كان منهم من العصيان استثنى الله منهم قوماً صالحين فقال عز ذكره ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ أي: من أصحاب موسى طائفة. ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مهتدون في أنفسهم باتباعهم للحق الذي جاء به نبيهم ويهدون به غيرهم. ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يحكمون بالقسط.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ أي: جعلناهم قبائل

﴿أُمَمًا﴾ وصف للأسباط، وقد سبق ذكر ذلك في سورة البقرة وهذا تذكير لما أنعم الله به على بني إسرائيل من سقيهم من العيون التى تفجرت لهم وتظليل السحاب عليهم، وإنزال المن والسلوى عليهم. ثم أشار الله عز وجل إلى أن الذين ظلموا منهم بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم أي: لما قيل لهم ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قالوا: حبة في شعيرة؛ استهزاء بما قيل لهم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ دخلوا متوركين على أستاههم وقد سبق ذكر ذلك في سورة البقرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من أسلاف بني إسرائيل طائفة مؤمنة حكمت بالعدل واتبعت الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، وهذا الوصف قائم لتلك الطائفة في زمانها فحسب؛ أما بعد ختم الرسالات برسالة رسول الله محمد ﷺ فلا يوصف أحد بالإيمان إلا من كان متبعاً لهذه الرسالة وصاحبها. ومن أحكام الآيات: أن من بدل ما أنزل الله من الأحكام يعد ظالماً متبعاً لهواه ويكون عرضة لعذاب الله.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

قوله تعالى ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ أي: اسأل يا محمد اليهود الذين عندك في المدينة عن أسلافهم أهل القرية ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ أي: على ساحله وهي «أيلة» وتسمى حالياً «إيلات»[1] من قرى فلسطين التي اغتصبها اليهود. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ أي: يعتدون يوم السبت بصيد الحيتان مع أن الله حرم عليهم الصيد في هذا اليوم ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ أي: تأتيهم في هذا اليوم طافية على الماء ظاهرة لهم، فيسوقونها إلى حياض أعدت لها فتجتمع فيها ويأخذونها يوم الأحد ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ أي: إنها تختفي بقية الأيام. ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم ﴾ أي: نختبرهم بإظهار الحيتان لهم يوم السبت المحرم عليهم الصيد

---

(١) إيلات تقع في أقصى جنوب فلسطين وتبعد نحو ثلاثمائة وخمسين كيلاً جنوبي القدس على الحدود مع مصر والأردن على البحر الأحمر وكانت تسمى قبل احتلال فلسطين من قبل اليهود أم الرشراش وهي مدينة سياحية مشهورة.

فيه ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ المراد أن هذا حدث لهم؛ جزاء كفرهم وعصيانهم وجرأتهم على ارتكاب محارم الله.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: قالت طائفة لأخرى منهم. ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: كيف تعظون هؤلاء وهم قد عصوا الله بصيدهم يوم السبت فاستحقوا العذاب بسبب عصيانهم. ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: فعلنا مافعلنا من وعظهم حتى يكون ذلك عذراً لنا عند الله. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: وعظناهم لعلهم يتقون الله بالتوبة من ذنوبهم والمعنى أن هناك ثلاث طوائف من بني إسرائيل طائفة ارتكبت المعاصي حين خالفت أمر الله بالصيد يوم السبت، وطائفة نهتها عن هذا الفعل، وطائفة تركتها فلم تنهها فقالت هذه للتي نهت مرتكبة المعصية: لماذا تعظون قوماً الله مهلكهم؟ فردّت هذه بأن النهي عن المنكر واجب علينا وقمنا به ليكون عذراً لنا عند الله، ومن جهة أخرى أردنا منه نصح هؤلاء العصاة لعلهم يتقون الله بالتوبة إليه.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: لما نسي العصاة وعظ الواعظين ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ أي: نجيناهم من العذاب بسبب نهيهم عن المنكر. ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ أي: عاقبنا العاصين بعذاب بئيس أي: شديد. ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ أي: بسبب ما ارتكبوه من المعاصي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه

قال: ياليت شعري مافعل بهؤلاء الذين قالوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ قال عكرمة: فقلت: جعلني الله فداك؛ ألا ترى أنهم كرهوا ماهم عليه وخالفوهم وقالوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فلم أزل به حتى عرفت أنهم قد نجوا(١). وقال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان(٢).

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ أي: أنهم لما تمادوا في معصية الله بصيدهم الحيتان في اليوم الذي حرم الله عليهم صيدها فيه قلنا لهم ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ أي: كونوا قردة مطرودين حقيرين.

أحكام ومسائل الآيات:

تكريم الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ بما أوحى إليه عن حال أسلاف بني إسرائيل وابتلائهم؛ بسبب فسقهم وفي هذا توكيد، لنبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام وهو يحاجّ اليهود في المدينة ويرد على أباطيلهم وتكذيبهم له. ومن الأحكام: فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا أعرضت أمة أو طائفة عن المعروف وجب أمرها باتباعه، فإن قبلت ما أمرت به نجت، وإن تولت هلكت وحينئذٍ ينجي الله الآمرين بالمعروف والناهين لها عن المنكر.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٩٤، والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٠٧، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٤٨ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٦ ص٩٥، والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٠٧ .

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي: أعلم أو تعهد ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ﴾ والمراد أن الله أمر رسوله أن يقول لليهود إن الله أعلم أنه سيبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة. وهذا ماحدث لهم بالفعل، فقد تعرضوا للعذاب والإهانة من قبل اليونانين والكلدانيين والرومان والأسبان والنصارى، وآخر ذلك ماحدث لهم مع الألمان مما هو معروف في التاريخ الحديث، وما كان ذلك إلا بسبب مكايدهم وعصيانهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ﴾ لمن عصاه سواء هم أو غيرهم ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

أي: يغفر ويرحم من يتوب إليه من عباده. وعلى هذا إذا تاب اليهود من معاصيهم وتابوا وأنابوا إلى الله ودخلوا في دينه الذي ارتضاه لعباده أصبحوا ممن يشملهم الله برحمته ومغفرته، مثلهم في ذلك مثل عباده الآخرين.

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ أي: فرقناهم في الأرض طوائف، وهذا هو ماحدث لهم بالفعل، فهم إلى اليوم متفرقون في أنحاء الأرض قلة أو كثرة، فمنهم طائفة في الهند، والصين، وروسيا، وأوربا، وفي بلاد المسلمين، وأكثرهم؛ يتجمعون في أمريكا، وفلسطين بعد أن غزوها بسبب ضعف المسلمين، وقوة الغرب الذي ناصرهم. ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ ﴾ المراد من آمن منهم بالإسلام وأقر برسالة رسول الله محمد ﷺ منذ عهدها الأول كعبد الله بن سلام، ومن معه إلى يومنا هذا، حيث يوجد منهم مسلمون صالحون. ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ يعني الكافرين منهم. ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ ﴾ أي: اختبرناهم بسائر النعم. ﴿وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ الشدائد. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: يتوبون إلى الله من معاصيهم .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾أي: جاء بعد اليهود الذين تفرقوا في الأمصار ذريتهم ممن كان منهم في المدينة وهؤلاء ورثوا التوراة منهم. ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾ أي: يأخذون مايعرض

لهم من الدنيا ولو كان حراماً كالربا ونحوه. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أي: يتقولون على الله بأنه سيغفر لهم معاصيهم. ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ أي: من شدة طمعهم وحبهم للدنيا لايتورعون عن الحرام. ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ المراد به التوراة التي بأيديهم ومافيها من الأحكام التي توجب عليهم ألا يحلوا ما حرم عليهم من المكاسب الخبيثة وأن يبينوا مافيها من الحق كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(١). قوله ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ أي: قرؤوا مافيها من المواعظ والأحكام ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في هذا تذكير من الله لهم أن الآخرة خير للذين يتقون الله بطاعته وترك معاصيه. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تتفكرون وتعلمون أن الآخرة خير لكم من طمع الدنيا وشهواتها.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: الذين يؤمنون بما جاء في التوراة من وجوب الإيمان والتصديق برسالة رسول الله محمد ﷺ. ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أدوها. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ أي: لانضيع أجرهم، بل نجازيهم عليه بالإحسان.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

أحكام ومسائل الآيات:

بيَّن الله في هذه الآيات أحوال بني إسرائيل في عدة أحكام: أولها: تعرضهم للعذاب، وقد حدث هذا لهم على مر التاريخ. وثانيها: تفرقهم أشتاتاً في البلدان وهذا معروف ومشهود. وثالث الأحكام: ابتلاء أسلافهم بالنعم والشدائد. ورابعها: تقرير أن منهم صالحين ومن ذلك على سبيل المثال عبد الله بن سلام ورفاقه، وكل من أسلم وآمن منهم على مر التاريخ فيشمله هذا الوصف. وخامسها: أن منهم كافرين وهم الذين لم يدخلوا في دين الإسلام. وسادسها: أن من اليهود الذين كانوا في المدينة زمن رسول الله ﷺ من كان يرتكب الحرام، كالربا، والرشا، رغم تحريم ذلك عليهم في كتابهم. وسابع الأحكام: أن من آمن منهم برسالة رسول الله ﷺ وبالقرآن الذي أنزل عليه؛ فإن الله لن يضيع أجره.

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

بيان الآية:

قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: رفعناه فوق رؤوسهم كما قال عز وجل ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾[1]. ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ أي:

(١) سورة النساء من الآية ١٥٤ .

كأنه سحابة تظلهم، والظلة اسم لكل ما أظل ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمۡ﴾ أي: ظنوا أن الجبل سيقع عليهم؛ ذلك أنهم لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة ورفع الله جبل الطور على رؤوسهم؛ ليقبلوها بما فيها أو ليقع على رؤوسهم، فلما نظروا إلى الجبل خروا سجدا على حواجبهم اليسر وكل منهم ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفاً من سقوطه عليه ويقول اليهود: إن سجدتهم تلك هي التي أزالت عنهم العقوبة ويقولون: إن موسى لما نشر الألواح التي فيها التوراة اهتز لها الجبل، والشجر، فلهذا عندما يقرؤونها نراهم يهتزون.

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ أي: قال الله: خذوا ما في كتابكم واعملوا به، بما فيه من الميثاق. ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ أي: تذكروا دائماً مافيه من أوامر الله، ونواهيه لكم. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: إذا أخذتموه على هذا الأساس لعلكم تتقون الله.

أحكام ومسائل الآية:

العجب من أمر بني إسرائيل في عدم قبولهم أحكام التوراة إلا بعد أن رفع الله الجبل فوق رؤوسهم، فلما رأوا أنه واقع بهم لا محالة سجدوا لله خوفاً من سقوط الجبل عليهم، وهذا يقتضي أن من الإنسان من لا تنفع فيه المواعظ وحدها، وإنما ينفع فيه التهديد والوعيد.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ أي: اذكر يامحمد لليهود وغيرهم حينما أخذ ربك ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أخرجهم من أصلابهم وأخذ عليهم الميثاق. وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك مافي الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال: نعم قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك)**(١). ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: دلهم على عظمته وخلقه لهم حتى شهدت بذلك نفوسهم. ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ أي: نعم أنت ربنا أقررنا بربوبيتك ووحدانيتك وعظمتك ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ أي: تنكروا ذلك يوم القيامة وتقولوا إنا كنا غافلين. ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: تقولوا يوم القيامة لقد أشرك آباؤنا من قبلنا. ﴿وَكُنَّا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم (٣٣٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤١٩ .

﴿ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ أي: اتبعناهم كما قال عز وجل على لسانهم ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾[١]. ﴿أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ استفهام إنكاري منهم معناه: كيف تهلكنا بسبب أعمال المبطلين، فهم الذين تركوا لنا الشرك. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ أي: نبيِّن لهم الآيات ونوضحها. ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ عن إشراكهم مع الله غيره.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله أخذ على بني آدم العهد وهم في أصلابهم بأنه ربهم ومليكهم، وأنه لا رب إلا هو ولا إلَه يعبد بحق إلا هو وأنه المتصرف فيهم وقيل: المراد أنه أخذ هذا العهد على أبيهم آدم، فيكون هذا العهد ملزماً لهم، وقد يكون المراد أنه أخذ العهد عليهم جميعاً كما ورد في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة..**) الحديث[٢]. وهذا هو الأصح؛ لأن قدرة الله وعظمته لا تحد بحدود، ولا توصف بوصف، فهو يقول للشيء: كن فيكون فهذه الذرَّة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى بالعين، تسير

---

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، برقم (٣٠٧٦)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٤٩، والتبريزي في مشكاة المصابيح في كتاب الإيمان، برقم (١١٨)، المشكاة ج١ ص٤٢ .

بنظام وتعيش بنظام، فلا يسيرها ولا يعلم أسرارها وخفاياها إلا الذي خلقها وكوّنها فجل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وصفاته. ومن الأحكام: أن الله يفصل الآيات ويبينها لعباده لتكون هدى لهم إلى الطريق الذي يوصلهم إلى مرضاته.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: اقرأ يامحمد على قومك ومن اتبعك ﴿ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ قيل: إنه بلعام بن باعورا الكنعاني أيام موسى(١) وقيل: إنه أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة فلما أقبل موسى في بني إسرائيل يريد قتال الكنعانيين سألوا بلعام أن يدعو على موسى، فلما دعا تحول

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٥٢٨ .

دعاؤه على أصحابه فقيل له في ذلك: فقال: لا أقدر على أكثر من هذا، واندلع لسانه على صدره. وقيل: نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان قارئاً للكتب، وعلم أن الله سوف يرسل رسولاً في زمانه وتمنى أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله محمداً ﷺ حسده وكفر به وقال فيه رسول الله: (**آمن شعره وكفر قلبه**)(١). ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي: نزع الله منه العلم الذي آتاه لقاء حسده وكفره. ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: لحق به، فكان من أوليائه وأعوانه. ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ الضالين، ولعل القول الأول هو الأصح، وأياً كان اسمه فالمراد أنه أوتي علماً، فانسلخ من علمه بعد أن أضله الشيطان.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي: لرفعناه إلى منازل الصالحين بتلك الآيات التي أوتيها ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: رغب في الدنيا وترك الآخرة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: لم يحتكم ويعمل بما آتاه الله من العلم؛ وإنما اتبع هواه كما قال عز وجل ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٢).

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ أي: صفته في الدناءة والمهانة مثل

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٨٥-٣٨٦، والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣١٩-٣٢٠، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

الكلب ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ فمن آتاه الله علماً ولم يعمل به، وإنما اتبع هواه فهو ضال سواء أنصحته أم لم تنصحه مثله في ذلك مثل الكلب في لهثه في حال سيره أو وقوفه. ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: ومثل الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها كمثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فكانوا من الغاويين الضالين. ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: قص هذا القصص يا محمد على بني إسرائيل وغيرهم ممن يكذب بآياتنا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يعقلون فيحذرون من تكذيبك ومعاداتك.

﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ أي: قبح مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا كونهم مثل الكلاب الذين لا غاية لهم ولا هدف. ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ أي: أنهم ظلموا أنفسهم بتكذيبهم آيات الله، أما الله فحاشاه أن يظلمهم.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ﴾ المراد أن الله جل وعلا يهدي المهتدين الذين آمنوا به وصدقوا رسله، وآخرهم وخاتمهم: محمد ﷺ ويضل الذين ضلوا في أنفسهم فلم يستجيبوا لنداء الله ونداء رسله. ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله قد يمنح أحد عباده علماً وحكماً، ليعلم -وهو

العليم- إن كان يشكر أم يكفر فإن شكر زاده علماً وحكماً، وإن اتبع هواه أعرض عنه فتتولاه عندئذٍ الشياطين فيصبح من الغاوين الضالين وتكون صفته في الدناءة والمهانة مثل الكلب الذي يلهث في سيره ووقوفه. ومن الأحكام: أن أسوء الأمثال يضرب للذين يكذبون بآيات الله ويظلمون أنفسهم بتكذيبهم لها. ومنها: أن الله عز وجل يهدي من يصدق بآياته ورسوله ويضل الذين يكذبون بها ولا يتوبون من تكذيبهم بها.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾.

بيان الآية:

لما ذكر الله تعالى أنه نتق الجبل على بني إسرائيل، وأنه أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم، ثم أمر نبيه أن يقص على اليهود قصة بلعام بن باعورا قال ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ أي: خلقنا. ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي: لا ينتفعون بها. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ أي: لا يفرقون بها بين الصدق والكذب، والهدى والضلال. ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي: لايسمعون مايتلى عليهم من الذكر

والمواعظ بسبب ما انطبع على قلوبهم، وأبصارهم، وأسماعهم من الضلال. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ أي: مثلهم مثل الأنعام التي لا تعقل ولاتعرف إلا الأكل والشرب، بل هم أضل منها؛ لأن الله جعل لهم عقولاً وأبصاراً وأسماعاً؛ ناهيك أن الأنعام تعرف مصالحها فتجتنب المخاطر! ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ أي: الذين نسوا ذكر الله ومواعظه فأنساهم أنفسهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله خلق لجهنم كثيراً من الإنس والجن؛ ذلك أنه أنعم عليهم بقلوب يعقلون بها، وأنعم عليهم بأبصار يبصرون بها وآذان يسمعون بها، ولكنهم لم يستخدمونها لفهم ما كتب الله عليهم من طاعته، وإنما استخدموها في معصيته فأصبحوا من الخاسرين. ومن الأحكام: تقرير أن مثل من يستخدم ما أنعم الله به عليه من الحواس في معصيته مثل الحيوان الذي لا يعقل، بل هو أضل منه.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

بيان الآية:

هذه الآية نزلت في رجل من المسلمين، كان يدعو ربه ويقول:

يارحمن يارحيم فسمعه أحد المشركين فقال: أليس محمد وأصحابه يزعمون أن لهم رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية[١]. قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: إن له جل وعلا أحسن الأسماء وأجملها، لما فيها من تقديسه وتعظيمه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدة لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر**)[٢]. وأسماؤه عز وجل ليست محصورة في هذا العدد، بل هي أكثر من ذلك، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**ما أصاب أحدٌ هَمٌّ ولاحزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استاثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً**)[٣]. فقوله: (**أو استأثرت به فى علم الغيب عندك**) دل على أن لله أسماء استأثر بها عنده، فلا يعلمها أحد من خلقه. قوله ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي: اسألوه بها على أن يكون السؤال

(١) تفسير البغوي ص٥٠٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، برقم (٦٤١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٢١٨ .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ ص٣٨٣ .

عن الشيء متفقاً مع الاسم القدسي المناسب له فيقول السائل: ياهادي اهدني بهداك، ويارحمن ارحمني برحمتك، ويافتاح افتح لي أبواب رحمتك وهكذا أو يدعو بالاسم العام (يا الله).

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ الإلحاد في أسماء الله يكون بالتحريف فيها كما فعله المشركون العرب حين سموا بها أوثانهم وأصنامهم فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان، وقد ذكر ذلك ابن عباس[1]. أو يكون بالزيادة فيها كمن يأتي باسم لله من عنده دون أن يكون له سند من قرآن، أو سنة، أو يقلل من أسمائه عز وجل أو تصغيرها أو العدول بها عن معناها ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: سيجازي الله الذين يلحدون في أسمائه بما يستحقونه من العذاب.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب دعاء الله بأسمائه الحسنى التي ورد بيانها في الأثر ويجوز الدعاء بأسماء الله التي استأثر بها في علم الغيب عنده. ومن الأحكام: تحريم الإلحاد في أسماء الله سواء بتحريفها أو تأويلها أو زيادتها بما لا يتفق وقدسية الله وعظمته. ومنها: تقرير العذاب للذين يلحدون في أسماء الله وصفاته.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص٥٣٠، وتفسير البغوي ص٥٠٤ .

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر الله عز وجل أنه جعل في جهنم كثيراً من الجن والإنس قال ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ ﴾ أي: ممن خلقنا من الأمم أمة ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: يتبعونه ويدعون إليه ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ أي: يحكمون ويقضون به وفي هذا روى معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ قال: (**لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة**) وفي رواية (**حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**)(١). كما روى عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق على من ناوأهم حتى يأتي أمر الله وينزل عيسى عليه السلام**)(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، برقم (١٩٢٠-١٩٢٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ ص٥٢٩٣-٥٢٩٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص٤٢٩، والكشاف للزمخشري ج٢ ص٥٣٥.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ المراد بهم المشركون والكافرون ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم ﴾ أي: نسبغ عليهم النعم في أنفسهم وأموالهم وذرياتهم. ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: من حيث لا يشعرون حيث يظنون أن هذه النعم تدوم لهم وأن تكذيبهم بآيات الله لن يضرهم ثم يأخذهم الله وهم على غفلة، كما قال عز وجل ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾[١]. ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٢].

﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ ﴾ أي: أمهلهم وقتاً أطول. ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾ أي: إن مكري شديد.

﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ ﴾ أي: لم يعقلوا ويتدبروا ماجاءهم من البينات. ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾ إنكار وتكذيب لقولهم: إن محمداً مجنون كما قال الله عز وجل على لسانهم ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾[٣]. وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ قام على الصفا فدعا قريشاً بأسماء أفخاذهم وبطونهم قائلاً: يا بني فلان يا بني فلان قوموا إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك

---

(١) سورة الأنعام الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٥ .

(٣) سورة الحجر من الآية ٦ .

به. وكان يحذرهم مما قد يحيق بهم من العذاب إن لم يقبلوا رسالة الله إليهم فكانوا يقولون: إن صاحبكم هذا مجنون بات يصوت إلى الصباح[١].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: لم يكن كما تدعون وتكذبون، بل هو نذير لكم من العذاب إذا استمررتم على شرككم.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: أو لم يتدبر هؤلاء المكذبون بآيات الله في صنعه وخلقه للسموات بغير عمد يرونها وخلقه للأرض ومافيها من البحار والأنهار. ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ أي: من الآيات الدالة على قدرته وأنه الواحد الذي لا شبيه له ولا ند له ولا نظير، وأن ماعداه مخلوق لايملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: ولم يتدبروا في آجالهم التي قد تكون قد اقتربت فأصبحوا في عداد الموتى الذين لا ينفعهم إلا ماقدموه من عمل صالح. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: إذا لم يؤمنوا بما جاءهم به محمد ﷺ من القرآن والبينات فلن يؤمنوا أبداً.

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ أي: من يضله الله بسبب إعراضه عن ذكره فلن يهديه أحد. ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي: يترك الله المعرضين عن ذكره حيارى غير مهتدين.

---

(١) تفسير البغوي ص٥٠٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص٥٣١ .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه سيكون ممن خلق الله أمة ظاهرة منصورة تعرف الحق وتحكم به لا يضرها من خالفها، وهذه الأمة هي الطائفة التي ذكرها رسول الله من أمته. ومن أحكام الآيات: أن الله يستدرج الذين يكذبون بآياته ومنها: كتابه العزيز إلى أن يهلكهم. ومنها: إنكار الله على الذين كذبوا رسوله ﷺ واتهموه بالجنون، والتوكيد على أنه سليم في عقله، وأنه أرسل نذيراً للإنس والجن. ومن الأحكام: إنكار الله على المكذبين بسبب جهلهم وعدم تفكرهم في قدرة الله في خلق السموات والأرض، وكذلك عدم تفكرهم في اقتراب آجالهم. ومنها: أن من يعرض عن ذكر الله فلن يهديه أحد ويذره الله في ضنك وحيرة من أمره حتى يهلك كما قال عز وجل ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1]. ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾[2]. ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[3].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ

(١) سورة طه الآية ١٢٤.

(٢) سورة طه الآية ١٢٥.

(٣) سورة طه الآية ١٢٦.

كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: يسأل المشركون عن الساعة ليس توقاً إليها بل تساءلوا في حال من إنكارهم لها. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ أي: يسألون عن منتهاها وقيامها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقول لمن سأله عنها إنما علمها أي: قيامها عند ربي وليس لأحد غيره علم بها. ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يظهرها لوقتها إلا هو، فهو العليم بها وحده. ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والمراد أن علمها كما خفي علي وعلى الأنبياء من قبلي فقد خفي على أهل السموات من الملائكة وعلى أهل الأرض كلهم. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ هذا توكيد أنها لا تقوم إلا في حال فجأة ولكن لها علامات لا تقوم إلا بعد ظهورها. وفي هذا روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾[١]. ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها)[٢].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ أي: كأنك ملح في السؤال عنها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي قل: يا محمد لمن سألك عنها: إن علم قيامها عند الله وحده. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن الله هو المختص بعلمها وحده.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي قل: يا محمد لمن سألك عن الساعة أو عن أي أمر من أمور الغيب: إنني بشر وعبد من عبيد الله لا أرد عن نفسي ضرّاً ولا أملك لها نفعا كما قال عليه الصلاة والسلام: **(لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)**[٣]. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا ما شاء الله أن يعطيني.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ برقم (٤٦٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٤٧، والآية في سورة الأنعام من الآية ١٥٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب (٤٠)، برقم (٦٥٠٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١١ ص٣٦٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ برقم (٣٤٤٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥٥١ .

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير في أمر الدنيا كالنصر في الحرب وفي أمر الآخرة بزيادة العمل الصالح. ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: لوكنت أعلم الغيب لعرفت متى يكون النصر، ولما غلبت في الحرب كيوم أحد.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لست إلا نذيراً للعالمين الذين يكذبون بآيات الله فأنذرهم سوء عملهم وما سوف يحيق بهم من العذاب، كما أني بشير للذين آمنوا بالله، واتبعوا ما جاءهم به رسوله؛ بأن لهم الجنة، وأنه لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن علم الساعة عند الله وأن أحداً من أهل السموات والأرض لا يعلمها. الحكم بأن الساعة لا تأتي إلا بغتة ولكن لها أشراط وعلامات تكون مقدمة لاقترابها كخروج الدابة والدجال. ومن الأحكام: أن رسول الله ﷺ بشر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فالنافع والضار هو الله وحده، وهذا يقتضي حكماً ببطلان عمل من يطلب النفع أو دفع الضر من الرسل أو الأولياء والصالحين أو غيرهم فهذا شرك محبط لعمل صاحبه، بل هو مخلد في النار إذا مات ولم يتب منه.

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ أي: آدم. ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴾ أي: خلق من آدم زوجته حواء؛ لكي يأنس ويألف بها ولتسكن به وتتألف به كما قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١). ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ أي: واقعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ المراد به حمل الولد في بدايته؛ لأنه يكون خفيفاً. ﴿ فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ ﴾ أي: استمرت بالحمل. ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴾ أي: صار الحمل ثقيلاً بحكم مرور الوقت عليه ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ أي: دعا آدم وحواء ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ أي: بشرا سوياً في خلقته ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ أي: شاكرين لك بما أنعمت به علينا بشراً سوياً.

---

(١) سورة الروم من الآية ٢١ .

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ وليس المراد بأن آدم وحواء هما اللذان جعلا له شركاء؛ إذ لا يعقل أنهما أشركا بالله بعدما جاءهما الولد ومن قال ذلك فقد غلط وإنما المعنى راجع إلى المشركين من بني آدم كما قال رسول الله ﷺ: **(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**[1]. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: تقدس وتنزه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: المشركون من بني آدم وهذا يدل على أنهم المراد من قوله ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾؛ لأنه قال يشركون وهذا مراد به الجمع ولم يقل يشركان.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن أصل الإنسان من آدم وزوجته حواء عليهما السلام، وأن الزوج يسكن إلى الزوجة وتسكن إليه. ومن أحكام الآيتين: نفي الشرك عن آدم وزوجته، وعلى هذا فإن المشركين من ذرية آدم هم المراد من قول الله تعالى ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ (١٩٣)﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم (١٣٨٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٢٩٠ .

بيان الآيات:

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ أي: يعبدون أحداً لا يقدر على خلق شيء كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾(١). ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي: أن مايعبدونه من أصنام أو غيرها مخلوق.

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ أي: أن هذه الأوثان التي يعبدونها لا تحقق لمن يعبدها نصراً. ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ أي: لايقدرون على نصرة أنفسهم بشيء؛ لأنها مجرد جماد أصم لا تعقل ولا تبصر ولا تسمع.

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ ﴾ أي: إن تدعوا أصنامكم وأوثانكم إلى ما فيه هدى لكم. ﴿ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ المراد أنهم لاينفعوكم بشيء. ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ ﴾ جهاراً أم أنتم وقفتم عندهم صامتين فهذه الأوثان جمادات لا تفعل شيئاً، فمن كانت هذه حاله هل يعقل أن يعبد من دون الله الذي خلق الخلق وقدَّر أرزاقهم وآجالهم وهو القادر على نفعهم وضرهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين وسفاهتهم في كونهم يشركون مع الله

---

(١) سورة الحج من الآية ٧٣ .

مخلوقين مثلهم لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا غيرهم ولا يملكون لها نفعاً ولا ضراً فلما كانت هذه حالهم، فمن المحال إذاً أن ينصروا أو ينفعوا غيرهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ ﴾ المراد أن هؤلاء الأصنام الذين تعبدونهم هم عباد الله مثلهم مثلكم في خلقهم؛ لأن كل ما في الوجود من البشر والحيوان والجماد هو من خلق الله وصنعه كما قال عز وجل ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾[1]. فاعبدوه

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٢

وقوله عز ذكره ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[١].

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: اطلبوا منهم النفع. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنهم ينفعون وفي هذا توبيخ وتسفيه لعقولهم واعتقادهم أن هذه الأصنام تنفعهم. وفي هذا: روي أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار كان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن جبل من الشباب الذين أسلموا فإذا جاء الليل ذهبا إلى أصنام المشركين يتلفانها ويتخذانها حطباً للأرامل والمحتاجين، فكان لعمرو بن الجموح والد معاذ صنم يعبده ويعتني به، فيجيء المعاذان إلى الصنم فيلطخانه بالعذرة، فيجيء عمرو فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفًا ويخاطب الصنم ويقول له: انتصر ثم يعودان لمثل ذلك، ويعود عمرو لمثل ما يفعل من الاعتناء به، وفي ذات مرة قرنا الصنم مع كلب ميت ودلّياه في حبل في بئر من آبار المدينة، فلما جاء عمرو ورأى ما عليه الصنم أيقن أن اعتقاده فيه باطل، ثم أسلم رضي الله عنه وحسن إسلامه وقتل شهيداً في معركة أحد[٢].

قلت: وفي هذا دليل على أن الجهل إذا غشي النفوس أصبحت لا

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٤٤ .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن محمد الجزري ج٣ ص٣٦٠-٣٦١.

ترى الحقائق كما هي، وما كان الإسلام إلا ليجلي تلك الغشاوة التي طبعت بثقلها على نفوس العرب في جاهليتهم، فالحمد لله على ما منَّ على هذه الأمة بدينه، فأبصرت الحق وزالت عنها غشاوة الظلام.

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾ أي: هل لهذه الأصنام أرجل مثلكم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾ أي: يتصرفون بها. ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ﴾ أي: يرون بها الضوء من الظلام. ﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أي: هل يسمعون من يكلمهم، ففي هذا استفهام إنكاري على المشركين الذين يعبدون هذه الأصنام، وهي جمادات هامدة لايعبدها إلا من طبع الجهل قلبه وأعمى بصره فأصبح مثل هذه الجمادات. ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقول للمشركين ادعوا هذه الأصنام. ﴿ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ أي: كيدوني أنتم وأصنامكم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ أي: لاتؤخروا كيدكم.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ﴾ أي قل يا محمد: لهؤلاء المشركين: إن ولي الله الذي يتولاني -وهو حسبي وملاذي- لا أتوكل إلا عليه، ولا ألجأ إلا إليه. ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: القرآن. ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: يتولى الصالحين من الأنبياء وكل صالح آمن به وتوكل عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي: إن الذين تدعونهم من دون الله من الأصنام والأوثان وغيرهم. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ﴾ أي: لا

ينفعونكم بشيء ولا ينفعون أنفسهم كذلك بشيء، إنما النافع والضار هو الله. ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: إن دعوتموهم إلى الهدى ﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾. ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ أي: ترى هذه التماثيل تنظر إليك، لكون أعينها مفتوحة ولكنها لا تبصر؛ لأنها جماد. فمن كانت هذه حاله فهل يعبد من دون الله، وقد يكون المراد أنك يامحمد ترى المشركين ينظرون إليك ولكنهم لا يبصرون الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير جهل المشركين في كونهم يعبدون جمادات لا تتوفر فيها أي صفة من صفات الحياة، فلا يعبدها إذاً إلا من ساء عقله وعميت بصيرته. ومن الأحكام: أن ولاية الله هي أعظم ولاية فيجب على العبد أن يتوكل عليه ويلجأ إليه.

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ أي: مُرْ بالمعروف وكل ما فيه خير. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي: السفهاء،

فلا تمار فيهم وكن حليماً عليهم كما قال عز وجل في صفة المؤمنين ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾[١]. وفي هذا روى جابر بن سليم قوله: ركبت قعودي ثم أتيت إلى مكة فطلبت رسول الله ﷺ، فأنخت قعودي بباب المسجد فدلّوني على رسول الله ﷺ فإذا هو جالس، وعليه برد من صوف فيه طرائق حمر فقلت: السلام عليك يا رسول الله فقال: (**وعليك السلام**) فقلت: إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء فعلمني كلمات ينفعني الله بها قال: (**ادنُ**) ثلاثا فدنوت فقال: (**أعد علي**) فأعدت عليه قال: (**اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً، وأن تلقى أخاك بوجه منبسط، وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي وإن امرؤ سبَّك بما لا يعلم منك فلا تسبّه بما لا تعلم فيه، فإن الله جاعل لك أجراً وعليه وزراً، ولا تسبّن شيئاً مما خولك الله تعالى**) قال جابر: فوالذي نفسي بيده ما سببت بعده شاة ولا بعيراً[٢].

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ ﴾ ذكر الله عز وجل وجوب الإعراض عن الجاهلين إلا أن ذلك لايمنع وجود سفه وسوء أدب منهم، سواء لرسول الله ﷺ أو لأي أحد من أمته، وما يحتمل مع هذا السفه أن تنشأ عند المرء حالة من الغضب؛ بسبب سوء أدب الجاهل أرشد الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ وأمته بقوله ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ

(١) سورة الفرقان من الآية ٦٣ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند بلفظ قريب من هذا اللفظ ج٥ ص٦٣-٦٤، وابن المنذر في الترغيب والترهيب ج٣ ص٤٢٢ .

﴿ نَزْغٌ ﴾ أي: إذا تعرضت من الشيطان لنزغ أي: فساد كالغضب أو الوسوسة ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ أي: اتجه إلى الله بالاستعاذة منه كما قال عزوجل ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾(١). ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾(٢). وقال ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾(٣). ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾(٤). ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾(٥). ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾(٦). ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: يسمع ويعلم استعاذتك من الشيطان ويعيذك منه.

وفي هذا روى أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**يأتي الشيطان أحدكم فيقول له: من خلق كذا ومن خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولْيَنْتهِ**)(٧). ولما قال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال: (**وقد وجدتموه؟**) قالوا: نعم قال: (**ذلك صريح الإيمان**)(٨).

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٩٧ .
(٢) سورة المؤمنون الآية ٩٨ .
(٣) سورة الناس الآية ١ .
(٤) سورة الناس الآية ٢ .
(٥) سورة الناس الآية ٣ .
(٦) سورة الناس الآية ٤ .
(٧) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم (٣٢٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣٨٧ .
(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم (١٣٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص٨٣٧ .

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب التحلي بالأخلاق الكريمة، ومن ذلك كظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم كما قال عز وجل في مستحقي الجنة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾(١). ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٢). ومن ذلك البر بكل صوره ومعاملة الناس باليسر والعلاقة الحسنة. ومن الأحكام: وجوب الإعراض عن الجهلة والسفهاء وذوي الأخلاق السيئة. ومنها: وجوب التعوذ بالله من الشياطين وأعوانهم والتعوذ من الوسواس وطغيان الغضب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ أي: إن الذين آمنوا وصدقوا. ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ كوسوسته وإيهامه وتخييله. ﴿تَذَكَّرُواْ﴾

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٤ .

أي: استذكروا ثواب الله وعقابه. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ أي: دفعوا عنهم ما يكون الشيطان وسوس لهم به، هذا بالنسبة للمتقين؛ أما إخوان الشياطين فيكونون مدداً وتعضيداً للشياطين وهو معنى قوله تعالى ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يتوقفون عن إغوائهم.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ إذا لم تأت بآية تقرؤها عليهم. ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ أي: أتيت بها من عندك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ أي: إني لا آتي بشيء من عندي، وإنما هو وحي من الله يوحيه إلي. ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: هذا هو القرآن الذي جئت به إليكم دليل وبرهان على صدق ما أدعوكم إليه. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: يهدي به الله من تدبره واتبعه وأحل حلاله وحرم حرامه، وهو رحمة له في الدنيا ورحمة له في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ الشيطان لا يضر أهل التقوى؛ لأنه إذا وسوس لهم، أو زين لهم الباطل غلبوه بذكر الله وتقواه، فلا يستطيع أن ينفذ إليهم. ومن الأحكام: أن إخوان الشياطين وأعوانهم يمدون الشياطين بالضلال. ومنها: أن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين كما قال عز وجل ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

لما ذكر الله جل ذكره فضل القرآن وما فيه من الهدى والرحمة للمتقين قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ ﴾ أي: أنصتوا له في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة وفي هذا روى محمد بن كعب القرظي: أن رسول الله ﷺ إذا قرأ في الصلاة أجابه من وراءه فإذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم قال مثل قوله حتى يقضي فاتحة الكتاب والسورة، فلبث في ذلك ماشاء الله أن يلبث فنزلت هذه الآية[1].

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ أي: اذكر ربك يامحمد وكل واحد من أمتك. ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ أي: رغبة فيما عنده من الثواب، ورهبة مما عنده من العقاب. ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي: لا يكون دعاؤك جهراً، وإنما دونه وفي هذا روى أبو موسى الأشعري أن الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار، فقال لهم رسول الله ﷺ: **(يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً**

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٥٤ .

إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)[١].

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أي: اذكر ربك أول النهار وآخره. ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ أي: لا تكن ممن يغفل عن ذكر الله.

لما ذكر الله وجوب ذكره وعدم الغفلة عنه مدح الملائكة فقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ المراد لا يتكبرون عن عبادته، بل هم مطيعون له عباد له كما قال عز وجل ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٢]. ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ أي يقدسونه ويعظمونه. ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ إجلالاً وتعظيماً وتقديساً له.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستماع للقرآن عند قراءته سواء الاستماع للإمام في الصلاة الجهرية، أو الاستماع له عند القراءة في أي حال كسماعه من الإذاعة أو التلفاز أو نحو ذلك؛ لما في الاستماع له من مظنة الرحمة. ومن الأحكام: وجوب ذكر الله تضرعاً إليه وأن يكون هذا الذكر سراً دون الجهر. ومنها: التحذير من الغفلة عن ذكر الله وقد مدح الله الملائكة؛ بسبب ذكرهم وطاعتهم له وتسبيحه وتقديسه وتعظيمه.

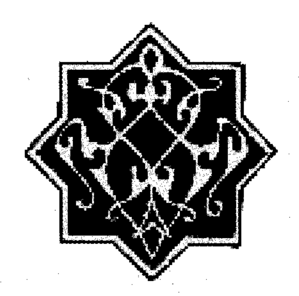
---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الدعوات والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم (٢٧٠٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ ص٦٧٩٣ - ٦٧٩٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٠ .

فهرس المجلد الثالث

تفسير سورة الأعراف ٣٠٠



مطابع دار البحوث الرياض
٤٨٥٢٦٦٣